

نظام العالم والامم

أو

الحكمة الاسلامية العليا

تأليف

العلامة المفضل خلاصة الحكماء وصفوة العلماء حضرة *

الشيخ طنطاوي جوهري

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية

سنة ١٣٥٠ هجرية - ١٩٣١ ميلادية

يُطْبَعُ مِنَ الْمَكْتَبَةِ الْبَحَارِيَّةِ الْكَبِيرَةِ بِأَوَّلِ شَارِعِ مُحَمَّدٍ عَلِيٍّ بِمِصْرَ
لِصَاحِبِهَا : مُحَمَّدُ مَحْمَدُ



نظام العالم والامم

أو

الحكمة الاسلاميه العليا



تأليف

العلامة المفضل خلاصة الحكماء وصفوة العلماء حضرة *

الشيخ طنطاوي جوهري

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية

سنة ١٣٥٠ هجرية - ١٩٣١ ميلادية

يطلب من المكتبة البخارية الكبرى بأول شارع محمد علي بمصر

لصاحبها : مصطفى محمد

كلمة الناس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله وآله . أما بعد فإن الأمم في إبان نهضتها ومبدئ رقيها تبدأ بالآداب اللغوية وأساليب الإنشاء والأشعار المروية حتى إذا بلغت أشدها وأخذت تجارى الأمم الراقية فى سعادتها هبت لحوز العلوم الرياضية والطبيعية والفلكية وما شاكلها

وها هى ذه الأمم الإسلامية اليوم قد سارت فى المرحلة الأولى شوطا واسعا وارتقت إلى درجة النهوض الحقيقية وابتدأت ذلك اليوم بشوقها للثقافة العامة وحوز العلوم والحكمة

ومن عادة الله عز وجل أن يهيئ للأمم أناسا ينبغون فيها متى أراد رقيها فشرح قلوب رجال قاموا فى الشرق الأدنى اليوم يمزجون الدين بالأدب والعلوم التى بها السعادة والفلاح

ولقد شابه عصرنا هذا وهو الرابع عشر العصر الرابع الهجرى اذ ظهرت ثمرات العصور الثلاثة فيه ونبع كتاب كؤلفى اخوان الصفاء وابن سينا والإمام الغزالي بعد عصرهم وامتزج العلم بالأدب وحاز المسلمون درجة علمية راقية اذ ذاك وان كانوا فى سياستهم فى أواخر شوطها وتدل شأنها بين العالمين

فها هو ذا التاريخ العلى يعيد نفسه اذ نرى بعض علماء عصرنا يضاهون من بعض الوجوه علماء تلك القرون وبينهما ألف سنة مع أن أمم الإسلام اليوم فى مبدأ رقيهم المادنى والسياسى فكأن علماء عصرنا أخذوا يبنون على ما أسسه آباؤنا اذ ذاك وضوءا اليه علوم أوروبا وهذا لعمر الله مبشر بارتقاء مدنى عمرانى اسلامى واسع المدى لم يسبق له نظير

فترى المسلمين في أقطار الشرق الأدنى والأقصى مغرمين بما ينشره الأستاذ الحكيم الشيخ طنطاوى جوهرى من فنون العلوم والحكمة المزوجة بالدين بأسلوب مختص به سهل ممتنع عجيب

فما من امرئ يقرأ كتاباً من كتبه التى تعد بالعشرات الا يرى أن العلوم أصبحت اليوم تفسيراً يشرح الدين ويوضحه بعبارة بديعة أدبية تشرح الصدور وتسرى النفوس وهذا كتاب نظام العالم والأمة التى نباشر طبعه الآن (وقد نفذت نسخ الطبعة الأولى منه) أطبق حكماً الشرق والغرب فى زماننا على مدحه والإشادة بذكره ، كيف لاوها أنت ذا ترى بعد هذا المقال أن الجمعية الآسيوية الفرنسية تقول فى وصف عبارته إنها كلاء الزلال سلاسة وانسجاماً مملوءة حياة وحكمة ووصفت المؤلف بأنه جمع آراء اليونان والرومان والعرب وأوروبا الحديثة فى هذا الكتاب وردّ كل اعتراض يردّ عليه وأبانت أن كتابه ينفع كل من يريد السعادة فى الحياة لأنه يريد النفع العام إلى آخر ما سياتى

وأى نعمة للمسلمين فى زماننا أعظم من أن تشهد تلك الجمعية القديمة العهد فى أوروبا بأن الأستاذ الحكيم أثبت أن الإسلام دين الفطرة وهذا أعظم شرف فاز به عصرنا على كل العصور

ولما اطلع المرحوم اسماعيل باشا سرهناك على تقرير تلك الجمعية للأستاذ قال فى مجلس حافل إن هذه الجمعية يرجع تاريخها إلى ثلاثمائة سنة ولم تقرط فى تلك المدة كلها أكثر من أربعة علماء كتقريظها للأستاذ الجوهرى

وماذا تقول فى كتاب مؤلف يصفه الأستاذ البارون كراادوفو فى الجزء الخامس من كتابه (مفكرى الإسلام) الذى نشر سنة ١٩٢٦ فى أسلوبه فى بعض كتبه فيقول إن الأستاذ فى هذا الأسلوب يذكّرنا بأساليب علمائنا وأدبائنا فى أوروبا مثل توماس موروس Thomas Morus وكلمبانيلا Campanella ومعاصرينا هانريتر

كلمة الناشر

وقال في مقام آخر إنه أُعطِيَ الذوق العلمى الذى يبعث فى الشيوخ نشوة الشباب ويقلب الطبائع الإنسانية بما فيه من السحر الحلال وهو مفخرة لصرا والاسلام ثم قال إنه من جهة أخرى يشبه الفارابى فى التفكير والتخيل ويشبه ابن الطفيل فى الأسلوب . هـ

ويقول فيه الأستاذ سنتلانه التليانى كما سيأتى فى تقريره لبعض كتبه (إنه أحد رؤساء الحركة العلمية الإسلامية الواسعة النطاق وهكذا يقول الأستاذ كرادوفو وكتاب نظام العالم والأمم مزينة خاصة فإنه ألفه بعد أن نشر كتابا أخرى قبله وهو أرقاها وقد تواردت لدينا الطلبات عليه من الشرق والغرب فسارعنا إلى المؤلف حفظه الله فأذن بطبعه وطبع كتاب الأرواح تأليفه أيضا وهذه الطبعة تمتاز على سابقتها بشكل الآيات القرآنية وبما أضافه المؤلف من صور شمسية شارحة لبعض المسائل العلمية وبما اختاره من زيادة بعض المواضيع الجميلة ومن حسن الترتيب لأبواب الكتاب حتى التأمّت مواضيعه واتسقت فصوله وانتظمت كقلادة الحسنة ، وعسى أن تساعدنا العناية الإلهية فنطبع أكثر كتبه قياما بالواجب الدينى والعلمى وليَنصُرَنَّ الله من ينصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ مَا

مصطفى محمد

صاحب المكتبة التجارية الكبرى

تقريظ كتاب نظام العالم والأمم

الجمعية الاسيوية الفرنسية

والشيخ طنطاوى جوهرى والاسلام

دهشت الجمعية الاسيوية الفرنسية من ظهور الحقائق فى كتاب نظام العالم والأمم
فلذلك نشرت الجمعية المذكورة التى تدار بجمع من فحول الدكتوراة العظام والفلاسفة
الكبار من بينهم حضرات الآتى أسماؤهم

(١) المسيو باربيه منار (٢) ا. بارت (٣) ر. باسى (٤) شاقايه (٥) كليزمون
جانو (٦) هالقي (٧) هيبارت (٨) ماسبيرو (٩) ريبنس ريفا (١٠) سيتار
بمجلتها التى صدرت فى شهرى يناير وفبراير سنة ١٩٠٨ نمرة (١) مقالة ضافية
الذبول تحت العنوان الآتى

(الشيخ طنطاوى جوهرى أستاذ اللغة العربية بالمدرسة الخديوية بالقاهرة ونظام
العالم والعلم أو الحكمة الاسلامية العليا . المجلد الأول وعدد صفحاته ٤٣١ نشر فى
القاهرة سنة ١٩٠٥ افرنكية)

إن كتاب نظام العالم والأمم الذى ظهر المجلد الأول منه هو أحد كتب عديدة
ألفت للنشأة الحديثة الاسلامية وهذه الكتب بناها المؤلف على نظريتين اثنتين
أولاهما ان الدين الاسلامى دين الفطرة نئى ملائم للعقول الانسانية وموافق
للطباع البشرية

ثانيتها أن هذا الدين على مقتضى ماقرره المؤلف يسوق إلى استكناه جميع النواميس
العلية وسائر القوانين الطبيعية الشاملة لهذا الكون كله النازمة لعقده

ولقد وضع المؤلف قبل هذا الجزء ملخص الكتاب كله فى مؤلف صغير سماه (الزهرة)
وأبان فيه أغراض الكتاب بجزأيه وهى تسعة مباحث شرحها شرحا وجيزا فى زهرته
التى هى خلاصة الكتاب حتى تشمل الفائدة من لم يتسع له الزمن لدراسة الكتاب
ونبتدى الآن بإيراد ما فى الكتاب من المباحث باختصار فنقول أن مباحثه تسعة

(الأول) أن الانسان مسوق بغريزته للعلوم عاشق للحكمة وكيف أن هذا الميل العجيب أوحى اليه معرفة الأعداد المنطوية في نفسه وقاده إلى استنتاج مضاعفات الأعداد وترتيبها من الواحد وإيصالها إلى أبعد غاية بل إلى ما لا يتناهى مع ما اندرج فيها من عجائب الجبر والأعداد المتوالية ثم طبق ذلك على حساب الخطوط والسطوح والأجسام وانتهى به إلى الفلك فحسب الاجرام السماوية بهذا الحساب ثم طبقها على النواميس الطبيعية وانتهى منه إلى الله عز وجل مبدع الخلائق كلها والنفس المتضمنة ذلك كله

(الثانى) بحث واسع فى علم الفلك الحقيقى والهيئة

(الثالث) درس علم الطبيعة مع ايضاح قوانين (نيوتن) و (كيلر)

(الرابع) مبحث واسع فى علم النبات وأعجب الخواص الغريبة لحياة النباتات

(الخامس) مبحث مسهب فى الحيوان وسلسلة ارتقائه مقارنا بين مذهب اليونان والعرب وبين مذهب (داروين) من علماء الافرنج فى ذلك وشرح فيه مسألة ترتيب الحيوان شرحا وافيا جدا حتى انه لم يأل جهدا فى ايضاح ما يسميه (داروين) بقاء الاصلح والاوفق للوجود والارتقاء الذى تسميه العرب دائرة الوجود وترتيب المواليد وارتقاء بعضها عن بعض بنسبة عجيبة وقد ذكر المؤلف أن مذهب (داروين) كان معروفا قديما عند علماء العرب واليونان وانه كان يسمى دائرة الوجود وانهم كانوا يقولون العالم مرتب هكذا

— المادة الاثيرية — العناصر — المعدن — النبات — الحيوان — الانسان —

الملك — والله فوق الدائرة

وكانوا يربطون الانسان بالحيوان فى القرد والفيل والبلبل والحسان ولكنه ليس بالاشتقاق ويقول المؤلف أن مذهب (داروين) محصور فى الانسان والحيوان فقط فهو لذلك قوس من الدائرة التى شرحها العرب وان (داروين) ربط ما بين الانسان والحيوان بالقرد وحده فاستنتج من ذلك قصور (داروين) عن العرب من وجهين : (١) ضعف الرابطة (٢) وقصور البحث على قوس من الدائرة

(السادس) علم التشرىح أى تشرىح الجسم الانسانى

(السابع) علم النفس وفيه شرح فوائدها وملكاتنا وتأثيرها فى العالم فى جميع الازمان

(الثامن) الوحدة العامة فى العالم وهى ظاهرة فى هيئة الامة ونظام الكون (بمعنى أن

هيكل الامة منطبق تمام الانطباق على هيئة نظام هذا السكون المتقن)

وقد أثبت ذلك بإيراد آيات قرآنية وبآراء قدماء الفلاسفة (كفيثاغورس)
والعلامة الفيلسوف (الفارابي)

(التاسع) في العمران الاسلامي والسعادة والحرية وجدول للعلوم والفنون التي
يراها المؤلف موافقة لأن تعرض على بساط البحث والتمحيص لتنتشر في هذا العصر
الحاضر بين المسلمين وواجبات المعلمين الذين يخصصون أنفسهم لهذا التعليم وأهم هذه
الواجبات هو الرجوع دائما إلى القرآن والسنة وقد ختم هذا المبحث بالغاية العظمى
التي تنشأ عن السياحات شرقا وغربا طلبا لدراسة أحوال الأمم شرقية وغربية
وقد أنشأ المؤلف نظرية في التوحيد أي (الوحدة العامة) عجبية بفتنة وحكمة
وذكاء عجيب ومهارة فائقة ودراية تامة منطبقة تمام الانطباق على مبادئ القرآن
وملائمة كل الملائمة لما شرحه العرب من دائرة الوجود والنظريات الافرنجية والدورة
الفلكية وسلسلة المواليد الثلاثة في الطبيعة وهي نظرية الترقى من البسيط إلى المركب
ومن الجزء إلى الكل التي بنى عليها المؤلف طريقة الوحدة العامة

وكما أن الواحد نشأ عنه جميع الأعداد التي لا تنتهي فهكذا نشأت الأنواع التي
لا تنتهي من فعل الله عز وجل (صفحة نمرة ٩٠) وما يليها ولا جرم أن هذه منطبقة
تمام الانطباق على دوران الأفلاك ومذاهب العرب والافرنج في سلسلة الموجودات
الطبيعية والمواليد الثلاثة

ولل مؤلف عناية كبرى برد كل اعتراض يمكن وروده عليه فهو بهذا دائم الاحتراس
ولقد أنحى المؤلف على جملة من العلماء المسلمين (للاحققين صفحة نمرة ١٨)
ورماهم بجهل مقصود القرآن وخواه لقصورهم واقتصارهم على علم الفقه الاسلامي
إذ ظنوا أنه وحده ينجي في الحياة الدنيا والآخرة وذكرهم بأنهم فاتهم أن المسيحيين
بنو غم في العلوم العقلية والنواميس الطبيعية والحكمة والأدب قد سبقوا المسلمين
شوطا بعيدا مع أن ماصرفوا فيه عنايتهم وأفرغوا فيه جهدهم هو مقصود القرآن والغرض
الحقيقي منه

ان القارى لهذا الكتاب يصادف عجا عجييا فيه وأمرأ مدهشا غريبا يرى أن المؤلف
يقارن ما بين معجزة خليل الله ابراهيم المذكورة في القرآن وهي آية الطير و ابراهيم
(وإذ قال ابراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن
ليطمئن قلبي قال نخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا
ثم ادعهن يأتينك سعيًا واعلم أن الله عزيز حكيم)

(السورة الثانية آية ٢٦٢)

قارن المؤلف بين هذه القصة وبين التحليل والتركيب الكيماويين للماء (صفحة نمرة ١٢٤) ذلك أن خليل الله ابراهيم طلب من الله دليلا ليطمئن قلبه ويصدق بطريق الحس والمشاهدة بمسألة البعث فأمره الله بذبح طيور معلومة فذبحها ثم قطعها ثم أمر بتدائها فحيث باذن الله فكان ذلك اطمئنانا لابراهيم عليه السلام

فن مهارة المؤلف المدهشة مقارنته لهذا بالتحليل والتركيب الكيماويين وحقيقة انه لافرق بينهما وبذلك صار علم الكيمياء من دلائل اليقين في التوحيد الاسلامي فصار طلبه من أهم علوم التوحيد والقرآن يأمر به

(وبالجمله فان المؤلف بتفسيره العجيب الدال على حكمة عالية وعلم غزير واقتدار تام لآيات القرآن يثبت اتحادا تاما بين الاكتشافات المتجددة العصرية ومعاني القرآن ويستدل على ذلك بآيات من الكتاب المقدس (القرآن)

صرح المؤلف في (صفحة نمرة ٦١) بأن من عرف تفسير القرآن والعلوم العصرية ولم يبين للناس اتحادهما ويفهمهم تلك الحقيقة فذلك آثم أشد الاثم لشدة حاجة المسلمين لذلك وأكده في (صفحة ١٢٤) أن المسلمين الذين يظنون تنافى القرآن والنواميس العلمية هم أجمل الناس بالأمرين وأبعدهم عن كلا الحقيقتين ثم تمنى المؤلف أن تغرس بذور الفضائل الاسلامية في عقول المسلمين بعناية تامة حتى يجتنب الشبان المسلمون ما أورثته المدنية الغربية لأبنائها والمفاسد الناشئة من اطلاق العنان للنفس وترك حبلها على غاربها بلا لجام يكبحها ولا زاجر يردعها

وقد شبه المؤلف بمجموع الأمة بآلة ميكانيكية لن تظهر نتائجها ويدوم عملها الا بصلاح كل جزء منها أولا وحسن تركيبها وانتظامها ثانيا فكلما أن الآلة لا تدوم إلا بقوة كل جزء منها وبحسن تنظيمها وتركيبها فهكذا الأمة لا دوام لها الا بصلاح أفرادها أولا وبالنظام الشامل والدستور المنظم لأجزائها المبني على العلم وبالحكومة العادلة ثانيا (هذا مقصود كثير من تعاليم الكتاب)

نحن لا يسعنا الا الاعتراف للشيخ طنطاوى جوهرى بسعة المدارك والاطلاع الواسع المقرون بعقل رزين وحكمة وذكاء فانظر كيف أتى بالفلسفة العالية والنواميس الطائعية وفنون الآداب العربية الواسعة وأبرزها بمهارة وعبرة عالية ثمينة وبلاغة باهرة تترقق حسنا وتنبه عجباً تكاد تسيل سلاسة ورقة كالماء الزلال سهولة وانسجاما مملوءة حياة وحكمة

وليس اجلالنا لهذا الاستاذ لما تقدم فقط بل لأنه أيضا ترجم آراء مؤلفي الانكليز

مثل (افبرى) و (سينسر) و (داروين) و بحث في الفلسفة الاعربية واللاتينية وجمع زبدة آراء جميع العصور المختلفة وحصرها في كتاب صغير بعارة جملة دقيقة كما وصفناها واتبع الفائدة أينما وجدها

الشيخ طنطاوى جوهرى رجل فيلسوف حكيم بمقدار ما هو عالم بالدين وبها تين الصفتين قد فسر القرآن الذى أثبت أنه دين الفطرة بما هو أكثر ملاءمة للطباع البشرية ووافقة للحقائق العلمية والنواميس الطبيعية أيما موافقة بخلاف فريق من العلماء الغابرين الذين وقفوا على القشور وجمدوا على الألفاظ جمودا مميا أدى الى الخطاط المدارك الاسلامية فى العصر المتأخرة فانحطت بذلك الأمم الاسلامية فهذه المباحث يخاطب المؤلف الأمم الاسلامية عموما وعميق البحث من كل أمة ويحاول إزالة الغشاوة عن أعين الأمم الاسلامية وتحرير عقولهم من الجود الخيم عليها فى جميع الاقطار وسائر الممالك على اختلاف مذاهبهم وتباين مشاربهم حتى أنه لا يخص مذهبا دون مذهب ولا مملكة دون مملكة بل انه فوق ذلك يخاطب كل عاقل يريد الحياة والاطلاع على الحقائق من أى دين وأى نحلة ببلاد الشرق لان بحثه عام فى الكائنات ونداءه عام حتى يلتحق الشرق الأدنى بالأمم الغربية فى المعارف والموم والمدنية والحضارة اه وبعد أن انتهت المجلة من تقريرها كتاب نظام العالم والأمم كتبت كلة عن (التاج المرصع) ترجمنا منها ما يأتى

هذا المؤلف أهدى الى الميكادو ليقدم الى مؤتمر الأديان الذى انعقد فى سنة ١٩٠٦
أفرتكية باليابان

ان احالة المؤلف بالإشارة ولسان الحال للقارى على كتاب نظام العالم والأمم فى كثير من مباحث الكتاب يدلنا على أن الكتائين يرميان لغرض واحد وان كتاب التاج المرصع كتمم لنظام العالم والأمم

وقد وعد حضرة محمود سالم بك المؤلف أن يترجمه الى اللغات الاوروباوية فى حين أن شابا قازانيا ترجمه فعلا الى اللغة التركية ونشره فى فارس والروسيا وختم مقدمته بنشر صورة الجواب الذى أرسله الى الميكادو وذكر موضوعه وسبب وضعه

ان القارى لهذا الكتاب يستنتج أن من اطالع على الحقائق العلمية ودرس غوامض الفلسفة وخلص من الغرض والتعصب فانه يجدها متطابقة تمام الانطباق على الدين الاسلامى اه التقريظ

هذه الترجمة حصلت بمعرفة حضرة محمد توفيق عزيز أفندى — وقد اطلع عليها

ووجدها طبق الأصل سعادة صالح حمدى حماد بك
يرى القارىء أن فلاسفة الفرنسيين قد قدروا كتب حضرة المؤلف حق قدرها
وزيد القارىء علما أن أكثر مؤلفاته ترجمت الى اللغة التركية بهمة العلماء الروسين .
أفليس مما ينجلنا نحن معاصر المصريين أن لانعم نشرها فيما بيننا وربما نشرنا مؤلفات
حضرة قريبا لتكون سدادا من عوز للفقراء وحكمة للمتعلمين والأغنياء ان شاء الله

وهاك قطعة من هذا التقريظ باللغة الفرنسية : —

demande des retouches assez considérables.

Jean PÉRIER.

Tant'âouy Djauhary, professeur au Collège Khédival du Caire,
Nidhâm el'alam oul oman àou àllikmat el islâmyat el'oliâ
(*L'organisation des mondes et des nations ou la haute philosophie
de l'Islam*). — Volume I, 431 pages, Le Caire, 1905.

Nidhâm el'alam, dont le premier volume seul a paru, fait partie
d'un ensemble de publications destinées aux jeunes générations
musulmanes. Ces publications sont fondées sur deux idées
maitresses : «1» la vérité islamique est la religion naturelle par
excellence; «2» cette vérité synthétise, dans son esprit, toutes les
lois scientifiques qui régissent l'univers.

En tête du volume figure, sous le titre *Ezzah'rat* « la fleur »
un résumé en neuf chapitres, destiné aux personnes qui n'auraient
pas le loisir de lire le livre en entier.

Les matières étudiées par l'auteur peuvent se résumer ainsi :

«1» Du penchant inné de l'homme pour la science. Comment
ce penchant lui a révélé la connaissance des nombres et l'a conduit
à tirer de l'unité un système de numération illimité. Il a appliqué
ce système au calcul des surfaces et des volumes, puis à celle des
corps célestes, pour aboutir au créateur de toutes choses.

«2» L'étude étendue de la cosmographie propre.

«3» L'étude de la physique avec explication des lois de
Newton et de Kepler.

«4» L'étude du règne végétal et des particularités les plus curieuses de la vie des végétaux.

«5» L'étude du règne animal et de l'échelle des organismes avec parallèle entre les théories des anciens : Grecs et Arabes, et la doctrine de Darwin (transformisme, sélection naturelle). Les savants arabes, dit l'auteur, avaient conçu «le cercle de la création» dans cet ordre : minéraux, végétaux, animaux, humanité, et au sommet, le Créateur. Le tout formait un cercle dans lequel l'homme était rattaché au règne animal par le singe, l'éléphant, le rossignol et le cheval, mais comme les anneaux d'une même chaîne, et non par voie de descendance directe, comme le voudrait Darwin. Le savant anglais, d'ailleurs, n'envisage qu'un arc du grand cercle, celui où la chaîne est reliée par deux anneaux voisins, dont l'un est le singe et l'autre l'homme.

«6» L'histoire naturelle de l'homme.

«7» De l'âme humaine et des problèmes qu'elle a suscités dans tous les temps.

«8» De l'unité universelle; l'unité de la race humaine attestée par le Qoran et connue des anciens : Pythagore et Alfaraby.

«9» De la civilisation de l'Islam. Le bonheur, la liberté, etc.

(وهذا ما جاء في مجلة العلوم الشرقية للأستاذ سانتلانه الطلياني سنة ١٩١١)

Non è chi non conosca, in Egitto, il Sceikh Tantàui, Giauhari, professore alla Scuola Normale Nàsiria : scrittore fecondo, oratore eloquente, quest'uomo di grande ingegno è uno dei capi autorevoli del movimento politico sociale, che ha ormai pervaso tutte le classi della popolazione musulmana, e che sotto il nome di Nazionalismo comprende un vasto e vago programma d'indipendenza politica, di riforma religiosa, di conciliazione della scienza col Corano, di ritorno alle grandi tradizioni della civiltà islamica. Questi ideali l'autore ha cercato di diffondere colla parola e cogli scritti, tra cui meritano speciale menzione due opere, intitolate (Sistema del Mondo e dei Popoli) « Nizam Al Alam Wal Umam »; « il Risorgimento (o la Riscossa) Nazionale » (Nahdat Al Umma). Il libro più recente del fecondo pubblicista è

ليس من يجهل بمصر الشيخ طنطاوى جوهرى المدرس بمدرسة المعلمين الناصرية . فهو ذلك الكاتب التحرير والمحرف الشهير . ذلك الانسان ذو العقل الكبير بل هو أحد رؤساء الحركة السياسية الاجتماعية التى انتشرت فى كافة طبقات الشعب الاسلامى تحت اسم « الجامعة الوطنية » وتلك الحركة ترمى الى الاستقلال السياسى والاصلاح الدينى طبقا لمنهج مرسوم بعيد المدى مشوب بشئ من الأبهام . وذلك بقصد التوفيق بين العلم وبين ما جاء به القرآن الكريم . وبقصد الرجوع الى تلك التقاليد الجليلة التى ازدانت بها حضارة الاسلام فى غابر الأيام . فقد أراد المؤلف أن ينشر هذه الأفكار ويبثها بين قومه تارة بالخطابة وأخرى بالكتابة . فما دون فى هذا المعنى كتابان جديران بالذكر وهما « نظام العالم والأمم » و « نهضة الأمة وحياتها »

وهذا بعض ما جاء في كتاب مفكرى الاسلام الذى ظهر فى سنة ١٩٢٦ للبارون كراديفو . إذ جاء فى المجلد الخامس من الوصف الاجمالى للنهضة المصرية الحديثة وللشيخ طنطاوى جوهرى القدح المعلى نذكره هنا فهو يقول :

L'Egypte moderne	مصر الحديثة
L'esprit modern en religion	روح الديانة المصرى
L'Université d'El Azhar	جامعة الأزهر
El Cheikh Mohamed Abdou	الشيخ محمد عبده
Le réveil islamique par El Cheikh Tantawi Gowhari.	النهضة الاسلامية للشيخ طنطاوى جوهري
Formation de l'Egypte moderne Mohamed Ali.	نشأة مصر الحديثة فى عهد محمد على باشا
Nous allons exposer en Egypte trois principaux aspects du modernisme : —	وأنا سنبين الثلاث مظاهر الرئيسية لتطور مصر الحديث وهى :
(1.) Mohamed Ali, accompagné par la gracieuse figure de .Rifaah Bey, représentera le goût du progrès et l'intérêt porté aux sciences de l'Occident.	أولاً — الميل الشديد الذى أظهره محمد على باشا ورفاعه بك إلى التقدم والالتفات إلى معارف ومواهب أهل أوربا
(2.) Deux personnages apparten- ant au monde religieux; le Cheikh Abdou et le Cheikh Tantawi symbo- liseront l'effort accompli par l'islam pour se mettre au courant et se tenir au niveau de la pensée moder- ne.	ثانياً — العناية التى أظهرها وجلان من رجال الدين وهما الشيخ عبده والشيخ طنطاوى فى تمثيل الدين الاسلامى وتأثيره فى النفوس للنهوض بها إلى التطور الحديث
(3) Le nationalisme récent et passionné, qui aura pour types représentatifs : Moustafa Kamel et Saad Zaghloul.	ثالثاً — الوطنية الحديثة الوهاجة التى مثلها خير تمثيل كل من : مصطفى كامل وسعد زغلول

مقدمة الطبعة الأولى

نظام العالم والأمم

الحكمة والأدب

الأدب سلم الحكمة وسبيل المودة وصلة التعارف ومستوى تسمع فيه صرير أقلام
القلوب المتناجية والحكمة هي الفن الباحث عن حقائق الموجودات علويها وسفليها
وعن العمران والسياسة ورقى الأمم ونضالها في معترك الحياة فالحكمة قلب والأدب
لسانه وهي معنى وهو الكلم وهي روح وهو الجسم وهي شجر وهو الورق . وشأن
الأمم في أبان نشأتها أن تدرجها في مدارج الحياة أن تبدأ بالأدب ثم ترقى إلى الحكمة
وناهيك بالدولة العربية إذ نرى أمثال أبي تمام والبحترى والمتنبي . وأضرابهم في نحو
القرن الرابع مولعين بالأدب فما جاء القرن الخامس والسادس إلا وقد نجم فيهم أمثال
ابن مسكويه والغزالي فولوا وجوههم شطر الحكمة ونظموها في أسماط الأدب فلم
تظلم طرق استفادتهم بالعقد الأعجمية كما ترى في كتب العجم إذ عطل جيدها من جمان
الحكمة بل جلوا تلك 'الآلى' في انماطه فناخى لديهم الأدب والحكمة .

أجمع جهابذة الانشاء أنه لن يؤثر المنشئ إلا متى أوحى إليه الوجدان وساعده
الطبع وأملى عليه الضمير . هنالك يكون القول ناجعا والقائل مبهجا والسامع هاشا
باشاً لأن القول إذا خرج من القلب دخل القلب وإن خرج من اللسان لم يتجاوز
الآذان .

لامعين على الانشاء أجمل من استجلاء الحقول ومشاهدة مباحج المناظر الطبيعية
البهيجة والارتياض بما نحادث به الأزهار في أجامها والاثمار في أغصانها والغدران
والنبات في حقولها والنجوم في أشراقها والشموس في أضوائها ، هنالك يتناجي القلب
مع رسل العالم وجند الحكمة ويعلم ما لم يكن يعلم ويؤتى ما لم يكن ليخطر على قلب من
وقف على الألفاظ وقوف الفقيه في حواشيه والنحوى في مبادئه فان ارتقى الناظر الى
درس تلك العلوم وبرزها في قالب الأدب كان ذلك نورا على نور وأصبحت الحكمة

حلى مصوغا وجوهراً منظوما وقراءة كتاب فى ذلك تمنح قوة فى الشعور وقدرة فى التفكير وسلامة فى الذوق وملسكة فى الانشاء يضل دونها من لم يسلك هذه السيل . الحكمة وان عطلت من الادب كما فى انشاء ابن رشد فهى أفضل منه فان نسجت على منواله وصيغت فى قالبه ورصعت ترصيعاً وجليل فى خبره فقد أضحت زينة فى لآلئها وبهجة فى أنوارها كما ترى ابن سينا وبعض كتاب هذا للعصر والغزالي وفى كتابنا (نظام العالم والأمم) أصبح الأدب وحده أدنى منها بمراتب يتسلى به أقوام فان كنت فى شك مما شرحنا فاسمع ماقاله الغزالي رحمه الله تعالى فى كتابه جواهر القرآن .

قال فى صفحة ١٨ عند الكلام على عجائب النحل والبرهنة على أن تسديس بيوت النحل أنسب الى جسمه قال (فلا شكل من الأشكال يقرب من المستدير ويتراص غير المسدس وذلك يعرف بالبرهان الهندسى فانظر كيف هداه الله الى خاصية هذا الشكل وهذا نموذج من عجائب صنع الله ولطفه ورحمته بخلقه فان الأدنى بينة على الأعلى وهذه الغرائب لا يمكن أن تستقصى فى أعمار طويلة أعنى ما انكشف لآدميين منها وأنه ليسير بالإضافة الى ما ينكشف واستأثر هو والملائكة بعلبه وربما ترى تلويحات من هذا الجنس فى كتاب الشكر وكتاب المحبة فاطلبه ان كنت أهلاً له والا ففرض بصرك عن آثار رحمة الله ولا تنظر اليها ولا تسرح فى ميدان معرفة الصنع ولا تفرج فيه واشتغل بأشعار المتنبي وغرائب النحو لسيويه وفروع ابن الحداد فى نواذر الطلاق وحيل المجادلة فى الكلام فذلك أليق بك نان قيمتك على قدر همتك (ولا ينفعكم نصحي ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم . وما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده) انتهى

وتأمل ماقاله العلامة السير جون لىك فى كتاب مسرات الحياة صفحة ١١٨ ناقلًا عن السير هكسلى اذ قام خطيباً فى كلية العمال فى جنوب لندن فقال

هب أن قوام حياة أحدنا على كسب دور فى لعب الشطرنج أفلا نحقر الوالد الذى أهمل ابنه فلم يعلمه الشطرنج أو مبادئه وكذا الحكومة المهمة تعاليم رعاياها . ذلك فلتعلموا أن حياة كل فرد منا تتوقف على لعبة أهم من لعب الشطرنج فرقة الشطرنج العالم كله وقطعه ما ظهر من العالم أمامنا وقواعده القوانين العامة والنواميس اودعة والاسرار والحكم وخصمنا فى اللعب لا نراه ولا نعلم عنه الا انه حلیم منزه وعدل لا يتجاوز عنا لجهلنا بالقواعد فاذا حذق أحدنا فى اللعب أفرغ عليه من جمال العالم جلباب وتحلى عقله بأبهى زينة وأجملها

وقال في صفحة ٢٢١ منه أن محبة النظر في الطبيعة موهبة ثمينة فمن عرى عنها فقد باء بالخسران المبين .

ثم قال بعد سطرين أن تلك المحبة أعظم مؤثر على العقول الانسانية .
وعلى هذا نرى علماء الشرق والغرب أجمعوا على هذه ونرى علماء أوروبا أخذوا النشء في مبدأ أمرهم بالنظر في الأشياء حتى فاقونا في معترك الحياة ولقد وجدت في الكتاب الحكيم نحو ٧٥٠ آية في هذه الحكمة فعجبت كيف تركناها ظهرياً ولقد وضعت كتباً مختلفة باختلاف طبقات الأمة في هذه الحكمة وأكبرها ومن أنفعها هذا الكتاب وأردت به أن أوجه وجهه للنشء والأدباء إلى الحكمة ومن طالع هذا الكتاب يعلم علم اليقين أننا مقصرون آثمون في ترك هذا العلم كما في كتابنا المقدس من الحث عليه وانظر كيف يكون الفقه كله من مائة وخمسين آية وهذا الفن يبلغ ٧٥٠ آية ولا معنى للتوحيد في الديانة الاسلامية إلا هذا وحده

وهذا الكتاب مقتبس من آراء علمائنا المتقدمين وعلماء الأوربيين ليبنى كل من ثمره فيرى الشيخ أنه في دينه وعلمه ويقرؤه سواء فيرى المدنية والعلوم الحديثة ورقى الأمة وسياسة الجمهور والاشراف على السياسة بأنواعها . كتاب يجمع كلمات التوحيد وملكة الانشا وعلم العمران وسياسة الأمم ونموذج العلوم والتبصرة والذكرى أخرى أن أهديه لأذكاء الأمة وعقلائها وأدبائها ويسرنى أن أرى كثيراً من النشء يجلسون على أرائك الحكمة متقابلين في رياض جنات العلم ولقد أجمع الحكماء أنه لن تنال درجة القرب من مبدع هذا العالم إلا بالالمام بجميع هذه العلوم وفي ظنى أن ما كتبناه إلى الآن كاف لبلوغ هذا الشأو .

لقد جمعنا في هذا الكتاب بين النظر بأنفسنا وآراء علماء الشرق وبعض علماء الغرب ونسجنه باملاء الوجدان فأسأل الله أن يجعله مؤيداً مدنية الشرقيين وموقف المسلمين ولعمرك ما حدا بي إلى هذا إلا قول الغزالي رحمه الله في تفسير قوله تعالى ووضع الميزان ألا تطفوا في الميزان وهذا نصه لا يعرف معنى الميزان إلا من درس العلوم حتى أدرك أن هذا العالم كله موزون ولقد حاولت في غير هذا الكتاب أن أصل إلى هذا السر حتى أتى سميت أحدها كتاب ميزان الجواهر إشارة لذلك فلم أصل لتمام المقصود منه . أما في هذا الكتاب فقد ظهر لي بالتدريج كاليان أن العالم كله موزون بميزان واطمأن قلبي بالبرهان وأرجو أن يشاركني فيه الاخوان الاذكاء العاشقون للحكمة .

الزهرة

إليك قارىء كتابى نظام العالم والأمم أقدم زهرة منه
لتقف على مقاصده ولبشوقك جمال منظرها الى التأمل فيما
أودع فيه من دقائق العلم والحكمة ولتكون صلة بين
الروحين ومحبة فى الدارين .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نحمدك اللهم يا جميل الصنع على ابداعك في مخلوقاتك ، واتقائك في مبدعاتك .
ونصلي ونسلم على نبيك ونوجه اليك نفوساً مشوقة بفرائضها . الى ما يحيط بها من العالم
وما يكتنفها من الأمم وسياساتها . وما المناسبة بين العالم ونظامه والأمم وسيرها . فكم
من حسرة تعترى العقلاء حين تتخطفهم المنون وهم يجهلون هذا الجمال والحسن والبهاء
في السماء وكواكبها . والأرض وزينتها وذلك الاعتبار في الأمم وأحوالها

أيها الانسان تأمل في نفسك غند خلواتك فارغا من الهموم . تجد قلبك يطالبك
بالاحاطة بما تراه العيون . وتتجسسه الظنون . ثم يناجيك هل هذا العالم الذي يحيط
بى سائر على نواميس صحيحة وقوانين منتظمة ؟ وهل ما أسمع في الكتاب المجيد من
قوله تعالى (وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ) ، (هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً
وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ) ، (وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ) ، (وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا
وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ) ، (وما من دابة في
الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا آممُّ أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء
ثم إلى ربهم يحشرون) هل هذا كله سائر على نواميس صحيحة بحيث يوقن الانسان
بذلك ايقاناً تاماً ثم تأمل الناس حولك تجدهم لا يخرجون عن ثلاثة أحوال : قسم
وهم السواد الأعظم بعمائشهم مشغولون من الضروريات والحاجيات والكفايات
والزينة ، وقسم يسترقون السمع عن تلك العجائب ولكنهم حائرون لا يدرون ما يقولون ،
وقسم ارتقت بصيرته عن السابقين فأدرك ما جهلوه وذكروا نسوه وعلم ان هذا
العالم من ناطق وصامت وجماد وحيوان وزرع ونبات وحدائق وجنات وأنهار
جاريات وعيون نابعات وجبال شائحات وثلوج متراكبات وبحار واسعات وأسماك

ساجحات وأنوار باهرات ورياح ذاريات وسحب سائرات كل ذلك على نواميس
محدودة وحكم معقولة

ولقد بعثنى على هذا النمط من العلم ما دعينا اليه من الآيات كقوله تعالى : (قُلْ
انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) ، (أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَهْلُهُمْ) ، (الَّذِينَ
يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا)

وقد أجمع العلماء ان الفكر في مثل ما انتهجنا غاية عبادة العلماء ونهاية حكمة
الحكماء . ومن العجيب امتزاج نهاية اللذات والسعادات بالعلوم والعبادات فترى ان
هذا النهج من الحكم موجب لسعادة الدنيا بالماديات والآخرة بالأدبيات . وأى
سعادة أرقى من عقل حصل على يقين أن كل ما يراه محكم ومنظم سائر على قوانين
فهمتها نفسه وألفها فكره ففي ذلك فليتنافس المتنافسون . فما أشد شوق الاذكياء
الى اليقين

موازنة

بين آراء علماء المشرق والمغرب

ومن العجيب أن يتحد على هذا المبدأ الشرق والغربي . فهل لك أن تعيرني
التفاته وتصفي الى ما ألقه لك عن العالم الشرقى المتوفى في أوائل القرن السادس من
الهجرة حجة الإسلام الغزالي وعن العالم الغربى السياسى الكبير جون لباك الذى
يشاركنا فى الحياة ويتمتع معنا بضوء الشمس وهبوب النسيم وتأمل سيدى كيف
اتفق الرجلان واصطحب العالمان واتحد الرأيان . أوليس من العجب بل من أهنا
السعادة فى الحياة أن يبحث كاتب هذه الرسالة عن هذا الاتحاد بين الشرق والغربى
فيعثر عليه وها أنا أملى عليك أولا كلام حجة الاسلام الغزالي ثم نطابقه بكلام العالم
الغربى المصرى قال الغزالي رحمه الله فى باب الحب (ان المدركات كلها التى هى

شاهدة على الله انما يدركها الانسان في الصبا عند فقد العقل ثم تبدو فيه غريزة العقل قليلا قليلا وهو مستغرق الهم في شهواته وقد أنس بمدركاته ومحسوساته وألفها فسقط وقعها على قلبه بطول الانس ولذلك اذا رأى على سبيل الفجأة حيواناً غريباً أو نباتاً غريباً أو فعلاً من أفعال الله تعالى خارقاً للعادة عجباً انطلق لسانه بالمعرفة طبعاً وأعضاؤه فقال « سبحان الله » وهو يرى طول النهار نفسه وأعضاءه وسائر الحيوانات المألوفة وكلها شواهد قاطعة لا يحس بشهادتها لطول الانس بها . ولو فرض انه بلغ عاقلاً ثم انقضت غشاوة عينه فامتد بصره الى السماء والأرض والأشجار والنبات والحيوان دفعة واحدة على سبيل الفجأة لحيف على عقله أن ينبهر لعظم تعجبه من شهادة هذه العجائب لخالقها . فهذا وأمثاله من الأسباب مع الانهماك في الشهوات هو الذي سدّ على الخلق سبيل الاستضاءة بأنوار المعرفة والسباحة في بحارها الواسعة . فالتاس في طلبهم معرفة الله كالمدهوش الذي يضرب به المثل اذا كان راكباً لحماره وهو يطلب حمارة والجلبيات اذا صارت مطلوبة صارت معتاصة ، فهذا سر هذا الأمر فليحقق ، ولذا قيل :

لَقَدْ ظَهَرْتُ فَمَا تَخْفَى عَلَى أَحَدٍ اَلَا عَلَى اَكْمَرٍ لَا يَعْرِفُ الْقَمَرَا
لَكِنْ بَطْنَتْ بِمَا أَظْهَرْتُ مُحْتَجِبًا فَكَيْفَ يُعْرِفُ مَنْ بِالْعَرَفِ قَدِ اسْتَرَا

وقال العلامة جون لوبك (ما أسعد الناظر في جمال الخليفة إذ تترين له العوالم وتسفر عن أبهى جمالها وزينتها وما فصول السنة إلا أحباؤه القدماء وأصدقاؤه الندماء يجددون له اللذات ويعيدون له السعادات واذا مشى منفرداً تجلى له من الطبيعة ما تقر به عينه ويشعر منه باللذة والسعادة فتطل له الازهار من سياجها أو تخرج باسمّة من أرضها وتغنى له الطيور على أشجارها محاطة بأوراقها النضرات وأزهارها الباسمات فاذا انقضت تلك السنون أعقبها الذكرى السارة وخلدت في صحائف مخيلته وذاكرته ما يرتاح له ضميره . فهو إذن ما بين حاضر جميل وغابر لذيد

الناس في هذه الدنيا في غمرة ساهون منغمسون في تيارها تحت رحمة أمواجها

فلا مناص لهم منها ولا قوة لهم على دفع حوادثها إلا في أوقات قليلة . أقول فكأنه اقتبس من مشكاة قوله تعالى (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ) ثم قال :

وليس حب الطبيعة ما يعتاده كثير ممن لا يعلمون فيجمعون ما جمل من الأزهار وينثرونه على الأرض . ولعمري كيف يهان هذا الجلال الباسم والحسن الباهر . أهذا حب الطبيعة وجمالها ساء ما يحكمون . إضاعة الجلال واهانته أشنع إضاعة وألحسها . إذا تصورنا ان هذه الدنيا طالت أيامها وقلت حوادث الشروق والغروب فلم يكديسمع الرجل بالصباح والمساء إلا مرة واحدة في عمره فانه يشتاق الى ذلك أشد الاشتياق وفرح بما يبدو من ذهب أصفر فاقع . جمال الشمس في شروقها وغروبها سعادة في نفسه يترقق حسنه على بساط البسيطة في الصباح والمساء . لكننا لانعير جمال الطبيعة التفاتاً لأنها حاضرة لدينا مشاهدة أمامنا صباحاً ومساءً فهانت على النفس بتكرار المشاهدة . قال سبكي عن ارسطاطاليس اذا تصورنا قوماً عاشوا تحت طباق الثرى في منازل جميلة مزدانة بالتماثيل والصور قد أوتيت من كل شيء حتى يحسبهم من اطلع عليهم انهم أسعد العالم حظاً في الحياة وأرقاهم منزلة . فاذا فرض أن الأرض انشقت فخرجوا من تحتها ونظروا هذا العالم فلا جرم أنهم ينسون نعيم بيوتهم الأرضية ويهجرونها ويخرجون سراعاً . فياليت شعري كيف يكون سرورهم وفرحهم وتأملهم اذا نظروا هذه الأرض وجمالها والبحار واتساعها والانهار وجريانها والرياح وهبوب عواصفها والسحاب الملقحات والشمس ونورها وإشراقها وجمالها وقدرة الخالق وعظمته في ابداءها وتأملوا القمر وهو يبدو دقيقاً ثم يتسق كما قبل :

المرء مثل هلال حين تبصره يبدو دقيقاً ضئيلاً ثم يتسق
يزداد حتى إذا ما تم أعقبه كره الجديد ينقص ثم ينمحق

ثم تأملوا النجوم وهي تتلألأ في السماء مشرقة بهجة وعرفوا حسابها ونظامها البديع في شروقها وغروبها فاذا تأملوا ذلك كله ولا حظوه فلا جرم يستنتجون منه أن

لهذه الكائنات صانعاً مديراً قادراً مهيمناً عليها وأن هذه العوالم مصنوعات له اه
أقول أليس هذا قبسة من مشكاة قوله تعالى (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا
وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا
بِهِ بَلَدَةً مِيتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ
الْفَلَائِكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرَوْنَ كَبُؤُنَ لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا
اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى
رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ) وقوله عز وجل (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى
يُؤْفَكُونَ) أى الى أى مكان يصرفون اذ لا محيص لهم عما أجمع عليه خواص نوع
البشر وقوله تعالى (قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى اللَّهُ خَيْرُ مَا
يُشْرِكُونَ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ
حَدَائِقَ ذَاتِ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُذْبِتُوا شَجَرَهَا إِلَهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ
قَوْمٌ يَعْدِلُونَ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيًا
وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بِلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) ثم بعد أن
ذكر هذه العجائب التى شغف بها الغربيون أفاد أن الأمم المتمدينة المسيطرة على العالم
هى التى عرفت هذه العلوم وان أى أمة خلت منها فانها تقع تحت سيطرة غيرها لا محالة
وأشار لهذا كله قوله تعالى عقبها (أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ
وَيَجْعَلُ لَكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ إِلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذْكُرُونَ) فانظر كيف ذكر
خلافة الأرض بعد ذكر هذه العجائب الجميلة ولقد ذكرت لك أيها الأخ موازنة
بين علمائنا السابقين وعلمائهم المعصرين وآيات من القرآن فانظر كيف دلت على حكمة
بالغة وعظمة تامة وتأمل الآن فى آباء الأوروبيين وما كانوا يدرسونه أيام شباب الدول
الاسلامية وكيف كانت تعاليمهم وخرافاتهم فاذا وازنت بين الآباء فارجم البصر ووازن
بين الأبناء لتقف على مراکز الأولين والآخرين

سلف الافرنج

نقل عن السير جون بليك

ذكر آباء الافرنج أنه كان لهم آلهة متعددون كاله الرحمة (يلدري) وإله الحسد (لى) وغيرها فاما إله الرحمة فانه لم يمنح البقاء السرمدي فأشفق عليه اخوانه الآلهة ورفعوا أكف الضراعة وابتهلوا إلى إلههم الأكبر (ثور) فأجاب دعاءهم وقبل أن يبقى أبداً سمرداً على شريطة أن تؤخذ العهود والمواثيق على جميع النباتات والحيوانات أن لا يمسوه بسوء فنزلت زوجة إله الرحمة من السماء مقر عظمتها وملكتها وأخذت على جميع الاشجار عهوداً ومواثيق الأتمسك بسوء فنزل وراءها إله الحسد (لى) وقال لا بد من أن أدبر حيلة . فتشكل بشكل غراب وكانت الغربان كلها إذ ذاك بيضا فسقط على شجرة فغطاها . فلما مرت زوجة يلدري وهي تأخذ العهود على الشجر ولم تر تلك الشجرة المغطاة بالغراب الأبيض صاحت الشجرة من تحته قائلة ، لا تنسى لا تنسى ، فطار الغراب الأبيض إلى الحسد إلى شجرة أخرى وأما تلك الشجرة فأخذ عليها العهد وسميت (لا تنسى) من ذلك الوقت . ولما جاء إلى شجرة أخرى غطاها بجناحيه فلم ترها زوجة إله الرحمة ثم أخذت العهود وهرجت إلى السماء فقابلها الآلهة هناك وباركوا لآله الرحمة وشكروا زوجته وعاشوا في نعيم آمنين حتى اذا كان يوم عيد وقف الناس (وهم لا يشكون في أن إله الرحمة باق أبداً سمرداً) فأخذوا يلعبون ويفرحون بضرب (يلدري) بالرماح والمزاريق وهو مستند إلى شجرة (هلى) شرابة الراعى ، وهو نبات يحمل ثمرا أحمر يكون عليه أقرط وعناقيد فجاء (لى) وغطى سهماً بقطع من خشب (ميسليتس وهو الدابوق) وهي الشجرة التي لم يؤخذ عليها العهد وأعطى ذلك السهم لأخى (يلدري) إله الرحمة فصر به بها فمزقت أحشائه وخر صريماً فأما الشجرة فانها أصابها رشاش من الدم فأثر في ثمارها حتى أضحت حبوبها ملونة بالحمرة شعاراً بالحديد على ذلك الإله القتل ظمأً وتبقى كذلك أمد الدهر .

وهكذا الشجيرة التي لم يؤخذ العهد عليها المسماة (ميسليتس) حزنت على ذلك الآله فخرجت حبوبها كدموع العين من ذلك الحين . أما الغراب الذي تشكل بشكله إله الحد فقد اسود ريشه وبقي هكذا الى يوم يبعثون اه

هذه هي الحكاية التي كان يدرسها الاوروبيون ويتلقاها كابر عن كابر وقد دلت على مبلغ علمهم في النبات أو على نموذج منه . ولعمرك أنها لاتوازي إلا علوم الاطفال . وهذه الحكاية تدل على ما كان عليه القوم من الهمجية والوحشية فقوم مات منهم إله الرحمة في اعتقادهم أصبحوا ولا عمل لهم إلا شن الغارات والفتك بالضعفاء واذتاباغض الآلهة أفلا يتباغض العباد ؟ . . شأن الحكايات والروايات أنها تدل على عواطف الأمم الموضوعة بينهم ، وهذه دلت على مبلغ آراء القوم في الأخلاق وما لديهم من العلوم فهل لك ياسيدى بعد ذلك أن تقرأ الآيات القرآنية وتتخيل الأمة العربية إذ ذاك وهي تترنم بقوله تعالى :

(خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ . وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ . وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ . وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْعَلِيِّهِ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ . وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ . هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ . يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَنْعَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ . وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ . وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَازِيرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ

وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ . وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَانْهَارًا وَسُبُلًا
لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ . أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ
أَفَلَا تُدْرِكُونَ . وَإِنْ تُعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ)

فهذه وأمثالها معارف عند عامة العرب الاسلاميين فأدناهم من يقرأ هذه الآيات
ويعلم ان الله عز وجل أظهر قدرته وامتن على عباده بخلق السموات والأرض لأنها
أعظم مشاهد للإنسان ولما كان الإنسان أعظم نتيجة لها أردفهما بذكره وفي عجائب
خلقه أبهر دلائل حيث خلقه من نقطة قدرة ثم صار أكثر شيء جدلاً مع ان الأليق
به أن ينظر الى مبدئه ويتفكر في ملكوت السموات والأرض ثم عدد عليه صنوقاً
من نعمه وضروباً من آلائه فذكر ما ينتفع به من الحيوان والنبات والماء النازل من
السماء النافع لها وذكر كثيراً من أنواع القسمين مما ينتفعون به وعجائب السموات
ومنافع الكواكب والليل والنهار لتوقف هذه الأنواع عليها وذكر البحار ومنافعها
والجبال وما يهتدى به من علامات الطرق وبعبارة أوضح أقول ان الله ذكر في هذه
الآية نعمه على عباده بخلق الحيوانات وان منها المأكل والملابس فنتخذ منها ملابس
الشتاء وملابس الصيف ويتخذ منها الاعراب خيامهم ثم منها ما يحملنا وأمتعتنا الى
الأمكنة البعيدة ومع هذا كله فهي زينة يتجمل بها فيتسم أربابها بالآبهة والجاه
لما يرى عندهم من آثار نعم الله عز وجل وكله من مخلوق في الأرض وفي السماء لا نعلمه
فعلومنا قاصرة على ما نتفع به فلو بحثنا عما لا نعرف لسكان ذلك جوراً وظلماً وعبثاً
كمشكلة الروح وحقائق الكواكب وغيرها . ثم ذكر انه أنزل الماء من السماء فهو
لشربنا وظهرنا وسقينا زرعنا وانعامنا وانه ينبت به الزرع وهو الحب الذي نقتات به
كالحنطة والشعير وما اشبههما وقدمه في الذكر لأن به قوام أبداننا وثنى بذكر الزيتون
لما فيه من الأدم والدهن والبركة وثلاث بذكر النخيل لأن ثمرتها غذاء وفاكهة وختم
بذكر الأغاب لأنها شبه النخلة في المنفعة من التفكه والتغذية ثم ذكر بقية الثمار
اجمالا ولما كانت الأجرام العلوية لا بد منها لنمو هذه المخلوقات ولهتدى بضوئها أعقب

ما ذكر بذكر تسخير الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم . فلعمري الحق ان من لم تدهشه هذه العجائب فيوقن برب البريات لا بعد عن العقل والفهم بعد ما بين المشرقين فان في بعض هذه فضلا عن جميعها دلالات واضحات على كمال بارئها وجمال مبدعها الحكيم وقدرته

وانظر رعاك الله الى ألوان الزرع كيف اختلفت مع اتحاد الاضواء السماوية والماء والعناصر والهواء والأرض وما أغفلنا عما بين أيدينا وكيف جعل هذا أحمر قانياً وهذا أصفر فاقعاً وهذا أزرق زاهراً وهذا أخضر ناصراً وهذا أبيض ناصعاً وهذا أسود قاتمًا . وكل لون منها يتنوع أنواعاً شتى وأشكالاً متخالفة ف سبحانه وتعالى . ثم هذه البحار من أدل الدلائل وأعجب العجائب فقد جعل جل جلاله في الماء جزءاً عظيماً من الملح لولاه لآتت بطول المسكت ففسد الهواء

ولا نطيل بشرح ما احتوته هذه الآيات من العجائب الخلقية والحكم الغريبة وانما شرحها وما ماثلها من آيات نحو سدس القرآن جميع العلوم التي يفنى الزمان وهي تتجدد وتزداد وضوحاً مصداقاً لقوله تعالى (سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ) وقوله (سَأَرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُون)

هل لك أن تنظر في هذه الآيات كيف ابتدأ فيها بالكلام على السموات ثم خلق الانسان فالحيوان فالنبات وأخذ يشرح العوالم كلها واحداً واحداً وانتهى بنتيجة استخلصها منها وهي ان لها صانعاً

ثم انظر حكاية الآلهة المتشاكسين وكيف احتال بعضهم أن قتل إله الرحمة فانتزعت من بينهم . فانظر يارعاك الله كيف خلف من بعدهم خاف قبضوا على زمام الأمم بالعلم ودرس الفنون التي يشير لها القرآن ويتفكرون ويمقلون وينظرون . أما نحن فما بقي لدينا منها إلا حثالات فكأننا ورثنا آباءهم فقلدنا قدماءهم وقلدوا قدماءنا ولم يبق لنا سوى الدعوى العمياء والتبجح بقولنا اتبعنا القرآن

القرآن والمسلمون ومتأخرو الأفرنج

ثم تعجب يا أخى من هؤلاء الأ أقوام فى ديارهم فانك تراهم يعظمون الحكيم سنيكا الرومانى حتى انهم ليضعون حكمه فى أوائل كتبهم ويقدمونها ويقتدون بأقواله ويعولون على أرائه ثم ترى آيات القراءات بين ظهرانينا أبدع وأجمل من حكمه وأبهى وأبين وآتى فى النفوس وأروح للعقول ولا ذكر لك طرفاً من كلامه ثم أتبعه ببضع آيات من القرآن ثم أكل الأمر لك فى حال قوم أضاعوا أجمل نقيس لديهم وآخرين خاضوا البحار وقطعوا القياى والقفار وركبوا المهارى واجتأبوا الصغارى وأخذوا يستمدون من آيات الحكماء : قال سنيكا . اذا وهبك انسان ضيعة واسعة ذات أشجار وبساتين وحقول وانعام أفلا تعد ذلك منه نعمة جزيلة . ومن ذا ينكر أن الأرض وسعتها وجبالها وأنهارها أعظم عطية وأجل هبة من مدبر الكائنات ، ولو أن رجلاً حباك دراهم ودنانير فلا جرم تعدها هبة ومنة عظيمة . أو ليس الذى دفن المعادن تحت أطباق الصخور وكوّن فى ظلمات الأرض الذهب والفضة وغيرها من المعادن أكبر اعطاء وأجمل هبة . ولو أن رجلاً بنى لك منزلاً من المرمر الجميل وزين سقفه بالألوان البديعة البهجة وزخرفه بالذهب والالاس وأسدا كه أفلا تعدها لديك تحفة جليلة . أليس الله بنى لنا قصرآ مشيدآ متين البناء ثابت الدعائم قوى الأركان آمناً من البوار بالنار والخراب بالأقطار سقفه مزين بأجمل الألوان وأبهىها مرصع بالدرارى اللامعة والأقمار الساطعة والشموس المشرقة فضاء بالليل والنهار : وزدان بالأقمار . فيه ما يحتاجه الانسان والحيوان . منه يخرج الهواء لأنفاس ترددها والضياء لأعمال نزاوها ونهتدى سواء السبيل . ويتولد الدم الذى عاياه مدار حياتنا والغذاء المقيم لأجسامنا . الله عز وجل بث فى الأرض من كل دابة وفرقها فى أنحائها وأبنت فيها من كل زوج بهيج من أنواع النبات متاعاً لنا ولأنعامنا . سخر الرياح تجري متصرفة بأمره مختلفات فى الصيف والشتاء ، الله عز وجل كرّم بنى آدم وألهمهم الصنائع والعلوم وركب فيهم النغات وجلبهم على الأصوات المختلفة ليستقوا

منها نعمات الموسيقى ويزنوا الالخان . وهل نحن غرسنا في نفوسنا أصول العلوم والصناعات أم الله هو الذى ركب فينا تلك القوى الشريفة والملكات الفاضلة . الله سيدنا أخرج من ظلمات الطين نور العقل وأبرز هذه الصناعات والعلوم ، وجمال الموسيقى من ماء مهين اشتق من سلالة من طين (يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ) انتهى مقاله الحكيم سنيكا^(١) وقال آخر من فحول كتابهم أكثر الناس في هذه الدنيا لهم عيون ولكن لا يبصرون وآذان ولكن لا يسمعون بها وأعظم منة من الله أن يفاض على المرء منحة الفهم والاعتبار وإن يبرع عما شاهده بعبارات تعقل عنه اه أليس صدر هذا القول قبسة من قوله تعالى (ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها ألك لا تعلم بل هم أضل أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ) وعجزه قبسة من قوله تعالى (الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ)

ولو علمت مقدار إعظامهم وإجلالهم لمقام هؤلاء الحكماء لعجبت من أمة الاسلام كيف غفلت عما أبدع في القرآن من نفائس الدرر وبدائع الحكم في نفس هذه المناهج التي ينتهجها أكابر كتابهم

وإذا كان علماء أوروبا وقادتهم يعظمون هؤلاء الكتاب فكيف بهم إذا تلوا من هذا المنهج قوله تعالى (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) أو ما هو أخصر منه لمن كان أذكى فقال في موضع آخر (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ) أو بما هو أوجز

للخاصة فقال (هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)

وخاطب أولى الألباب بما هو أوجز فجمعه في خمس كلمات (وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً) ثم في ثلاث فقال (بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) ثم في كلمة وهي اسمه (الْبَدِيعُ) وهكذا مما فاض به القرآن وهجره المسلمون لما ظن كثير من أهل العلم أن الفقه وحده كاف في السعادة والحياة والدين حتى قام الأفرنج فسبقونا شوطاً بعيداً في الماديات والأدبيات على نحو ما ذكرنا في تلك الآيات، أولسنا نحن أولى بما حث عليه القرآن أن ندرسه ونسارع فيه؟ ولذلك وضعت كتاب نظام العالم والأمم

مقاصد كتاب نظام العالم والأمم

واقعد جعلت هذا الكتاب تسعة أقسام : -

القسم الأول في شوق النفوس إلى العلم وكيف كانت الأعداد منطقية فيها كالمئة وكيف ألقت من الواحد أعداد لا نهاية لها وحساب براهين تطابق عليها الألوان والآخرون وكيف بنى على هذه الأعداد وما يتبعها من المساحات والأشكال علم الفلك وكيف انتهجت النفوس نهج ملك الملوك في أمورها العامة حتى مثلوا هذا الملك العظيم بالشرنجب والورد واختاروا المتر مقياساً ، فالنفوس البشرية على اختلاف مللها ونحلها ميالة بنظرها إلى الجنوح نحو ملك الملوك وتقليده ولكن أكثر الناس لا يعلمون

القسم الثاني في الأفلاك وحسابها وكيف تسير الشمس في بروجها في الفصول الأربعة وكيف اختلفت الفصول بطريقة جميلة وعبارة سهلة ولقد حاولت في هذا المقام أن أقرب هذا العلم من أذهان الأذكاء وإن لم ينظروا الكتب المرسومة ولم يزاولوا المدارس ولا درسوا هذا العلم حتى لقد أطمع أن يفهمها العايم في حقله وتدرجت من الأسهل إلى الأسهل حتى أوصلته إلى أقصى ما يرومه الأذكاء من الحساب الدقيق

في سير الشمس والقمر والسنين الشمسية والقمرية والموازنة بينهما بأوضح عبارة تقرب من المتناول . وشرحت الظلال ونسبها الهندسية وكيف كان حسابها وهندستها متقنين . حتى وضحت آية (أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسُ عَلَيْهِ دَلِيلًا ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا) ، (وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ)

القسم الثالث في عجائب الجمادات وهنا ترى ما يظنه العامة منشوراً منتظماً فيصبح الحجر الساقط من أعلى الى أسفل بحساب معلوم مقدر كحساب الكواكب والشمس والقمر ، ومن ذا يرى أعجب من أن الحجر اذا كانت سرعته في الثانية الأولى أربعة أمتار ففي الثانية الثانية يكون ١٦ متراً وفي الثانية الثالثة تربيع ثلاثة وتضربها في أربعة تصير ٣٦ وفي الثانية الرابعة تربيع أربعة وتضربها في أربعة وهكذا تجد القاعدة بضرب مربع الزمن في أمتار المسافة الأولى على هذا المنوال وليس قصدنا درس الطبيعة لذاتها وانما أردنا أن يعلم الاذكياء أن هذه الفنون الطبيعية والفلكية هي تفصيل لمجملات القرآن الكريم وبهذا يتضح قوله تعالى (وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ) (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ)

ولعمري أن من طالع كتابنا هذا ظهر له أن العالم كله موزون وزناً حقيقياً . وهل بعد تساوى الأحجار والأفلاك في حسابها ونظامها مطلب لعاشق الحكمة ؟ وان العلوم الطبيعية كلها وما اكتشف منها معجزات للقرآن ومن عجب أن تدرك العقول التربيع في الحساب مثل $4 \times 4 = 16$ و $5 \times 5 = 25$ ثم تراه بنفسه في الاجسام المتجاذبة والاحجار الساقطة كما تراه وغيره في نظام الافلاك وحسابها وكيف يظهر ما استخرجته العقول واستنبطه نوع الانسان في الخارج ظهوراً واضحاً جلياً أليس هذا هو اليقين الأكبر والسعادة القصوى للحكام ؟ وعلى ذلك رجعت العلويات والسفليات الى منهج واحد وقانون منظم ومبدأ لا يتغير ولا يتبدل (وَكُنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا) ، (وَكُنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا)

القسم الرابع فى النباتات وأنها موزونة- بميزان محدد أدق مما ذكرناه فى جواهر العلوم وميزان الجواهر ولقد حاولت فى ذينك الكتاين أن أصل الى غاية السر فى معنى الميزان فلم تحتمله طاقى أما الآن فقد وضع فى هذا الكتاب أجلى من الشمس بالفلسفة الحسية التى تكاد تلمس باليد وفصلنا تحليل النبات الكيماوى وقلنا هذا هو الميزان الحقيقى الذى وزن به النبات . وتعلم ياسيدى اننى وقفت حياى على الوصول لهذه الغاية حتى اطمأنت نفسى لهذا

ولقد رأيت علماء المتقدمين كانوا مفرمين بالبحث عن هذه النسب . ولنذكر لك مثالا واحداً وهو الموازنة بين القطن والقمح فالأول أثوابنا والثانى أقواتنا كيف كانت موادها واحدة واختلفت صورها باختلاف النسب ومقادير العناصر فترى البوتاسا فى القطن ٣١٥ وفى القمح ٢١٦٦ والصودا ٣٩٦٤ فى القطن و ٢١٦٦ فى القمح والجير ١٤١٥٣ فى القطن و ٣٩١٤ فى القمح

ولولا خوف الاطالة فى هذه المجالة لشرحت هذا المثال ووفيته ولكن أحيلك على الكتاب حتى تعلم كيف كان هذا النبات كله موزوناً وزناً حقيقياً وكيف يكون الجير مثلاً فى القمح والقطن وبعبارة أخرى كيف آكل عين ما ألبس وألبس عين ما آكل وغاية الأمر اختلفت المقادير . ما أجمل العلم وألذ الحكمة . وعليه فواد القطن هى مواد القمح ولو اختلفت المقادير بعينها لا تقاب الثوب دقيقاً وأكل أو اقلب الخبز ثوباً قطنياً ولبس . فالجير مثلاً والصودا ما كولان كما هما ملبوسان واختلفا فى دخولهما فى المآكل والملابس . ولاحتياج القطن للون البياض وللحرارة أعطى من الجير أكثر فبيضه وأكسبه حرارة وخواص أخرى وهذه هى الرموز التى يشير لها القرآن . فما للناس لا يفطنون وما للعامة لا يسألون ؟ وما للعلماء لا يفصحون ؟ . . .

جمال النبات و بهجته

في الأزهار ونظامها

تأمل يا أخى معى ولعلك قد رأيت الأمثلة الأخيرة التى شرحناها الآن فى تركيب النبات وكيف وزنت بميزان منظم لا تغيير له ولا تبديل وهكذا الجاد والافلاك . وتأمل كيف ترى النظام بادياً على ظاهر الأوراق والأزهار فى تركيبها وشكلها ولونها والحشرات الواردة عليها ونومها ويقظتها ولنشرح لك ذلك كله فى هذه الرسالة الصغيرة فتمجّل لك الفائدة قبل قراءة الكتاب الكبير وننقل لك ما قاله العلامة جون لبيك لانكليزى فى هذا الموضوع لتقف على ما رآه الغربيون فى الزهرة

(شعر)

يَا صَاحِبِيَّ تَقْصِيًّا نَظَرَ يَنْكُمَا تَرِيَا وَجُوهَ الْأَرْضِ كَيْفَ تُصَوِّرُ
تَرِيَا نَهَارًا مُشْمِسًا قَدْ زَانَهُ زَهْرُ الرُّبَا فَكَاثِمًا هُوَ مُقْمِرُ
دُنْيَا مَعَاشٍ لِلْوَرَى حَتَّى إِذَا حَلَّ الرَّبِيعُ فَأَتَمَّا هِيَ مَنَظَرُ
أَضْحَتْ تَصَوُّغُ بَطُونَهَا لظُهُورِهَا نَوْرًا تَسْكَادُ لَهُ الْقُلُوبُ تُنَوِّرُ

قال العلامة ماملخصه : كان العلماء فى غير الازمان يذكرون فى رواياتهم ان الأرواح كانت تهدى الأزهار الى من تحبهم أو تود مكافأتهم عطفاً عليهم وتلطفاً بهم وكان يظهر ذلك فى بادىء النظر أنه بضاعة مزجاة لا قيمة لها وكيف تساوى هذه الزهرة الصغيرة الهدايا الثمينة والتحف الغالية . ولكنها عند أولى الأبواب قد جمعت حسناً وبهاء من جمال الطبيعة يؤدى الى النفوس سعادة وإلى القلوب مسرة وإلى العيون بهجة وإلى الصدور انشراحا وإلى الافئدة انعطافا تفوق السعادة بها وبالتأمل فى جمالها سعادة بالذهب والفضة والاحجار النفيسة واللؤلؤ والمرجان

يقول كاتب هذه الرسالة وقد لمح تلك المعانى من خلال سطور الكائنات وملاحم جمال المناظر الشيخ صفى الدين الحلى فقال .

وردَ الربيعُ فرحاً بوروده وبنور بهجته ونور وروده
فصلٌ إذا افنخَرَ الزمانُ فإنه إنسان مقلته وبيت قصيده
يا حبذا أزهاره وثماره ونبات ناجمه وحب قصيده
فالوردُ في أعلى الغصون كأنه ملك تحف به سرة جنوده
وانظر لرجسه الجنى كأنه طرف تنبه بعد طول هجوده
والسحب تعقد في السماء ما تما والأرض في عرس الزمان وعيده

ولنرجع الى كلام العلامة جون لبك قال : فما ألد أوقات نصرفها في الفلوات
والخلوات وتأمل جمال الطبيعة والذهب المنبعث من ضياء الشمس يكسو وجه الطبيعة
حلة ذهبية تسر الناظرين ، وليس هذا نهاية ما تراتح له النفوس من الازهار فهناك
عقول ارتقت عرش العلم ولبست تاج الأدب واستوت على ملك المعارف وتطلعت من
شرفات الحكمة فنظرت في بساطينها أزهار جمالها فأخذت تتأمل فيما وراء ذلك من
أشكال وألوان وصور حتى وقفت على أسرارها ، ولعمري أننا إذا أدركنا سر الزهرات
الصغيرات دخلنا منها إلى معرفة كثير من أسرار الكائنات

ان الوقوف على أسرار الطبيعة لا يناله إلا الذين صرفوا أوقاتهم في تحصيله مع
الصبر والعناية التامة والاحترام والمداومة أمد العمر . ومع ذلك فكل هذا لا يفي
شيئاً ولو وهبنا مواهب قدسية وعقولا سامية كما وهب ارسطاطاليس وأفلاطون إلا اذا
وقفنا على كلام الأوائل وحادثنا التاريخ وناجيننا ما وعته الدفاتر وقابلنا الرجال فهناك
ننال من هذه العلوم حظاً وافراً فان الانسان وحده لا يستطيع أن يصل الى ما يريد
إلا بمشاركة غيره من أبناء جنسه . انتهى

﴿ لطيفة ﴾

جلست أنا وصديق لي وأخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وكنا إذ ذاك نطل على

أزهار باسمه . فاصغ اليها لتقف على جمال الأزهار ومحاسنها وتعلم سيدى كيف حسن وضع تلك الصور الجميلة وانتظم شملها ووزنت بميزان الحكمة والاعتدال لتفهم قوله تعالى (وَأُنَبِّئُكُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مُوزُونٍ) وكيف وزن في فروعها وأغصانه وأوراقه وأزهاره كما وزن في تركيب أجزائه فيما ذكرناه . وهذا ملخص من كلام السير جون ليك وضعناه لك بلسان عربى مبين لتقف منه على ما تريد في كتابنا نظام العالم والأمم قال صديقى ونرمز له بحرف (ا) وأنا (ب)

(ا) صديقى انظر الى شجر السنط والفار والصنوبر والصفصاف لم جردت أزهارها عن الزينة والجمال وجملت أزهار الاشجار المتوسطة فحسن منظرها وتأرجح ريحها وابتسمت ثغورها واحتوت عسلا صافيا فى أسافلها تقعات منه الحشرات فهل تعلم لذلك من حكمة . (ب) سيدى قد جعل الله الأشجار الكبيرة لاحتياج الى الرائحة الاريحية ولا جمال الهيئة ولا العسل بل هى غنية عن هذا كله أما غيرها من الأشجار فانها تحتاج لذلك بل لاجياة لها إلا بعسلها وجمالها ورائحتها ولو لا هذه المزايا الجميلة لانمحت من صحيفة الوجود كما ينمحي وجود النوع الانسانى باقراض سنة التناسل بينهم (ا) أرجو ايضاح هذا المقام فان هذا القول غامض على وكيف يكون جمال صورة الزهرة سببا لبقاء النبات

(ب) اعلم أن الزهور على اختلاف أجناسها وتباين أشكالها وتنوع أصنافها يحتاج بعضها إلى بعض فبها ما خلق الله فيها الطلع ومنها ما يقبله وكما أن النخل فيه ذكور وأنات وطلع الأول يلقح الثانى فمكذا جميع الأشجار ذكرانها تلقح أناتها فمثل الورد والزمان تلقح بواسطة الحشرات . والحشرات لن تعقب أجسامها وتطير فى الهواء بلا داع يدعوها الى ذلك وهل من باعث أقوى من العسل الذى تشربه من أسفل الزهرة والرائحة التى تدلها عليها وقت الفلوس وجمال اللون وبهجته التى تهديها فى أوقات الضياء والنور . أما الأشجار الكبرى كالصنوبر والفار فانها اكتفت بتدبير آخر وهى الرياح التى سخرت تحمل اللقاح من ذكرها لأنثاها . وقد دبر الله ذلك اللقاح لجعله كثيرا

جداً حتى اذا حملته الرياح وتبعثر منه أهم أجزائه فما بقي كفى أناث الأزهار من ذلك النوع . واذا كان الزهر فيما يحتاج الى الريح قد تخرج الواحدة منه ما بين ثلاثة وأربعة ملايين خردلة من اللقاح مثل الفاونيا أو عود الصليب فما بالك بما يحتاج للريح فلا بد أن يكون أضعاف هذا بما لا يتناهى وبهذا التدبير فى الأولى والآخرة تخرج الأثمار والحبوب ويخلق شجر آخر وقد شوهد فى بلاد اسكتلنده غبار من طلع بعض الأشجار يمر فى الهواء كأنه سحب تزجىها الرياح ثم يؤلف بينها ثم تصير ركاما ويراهها الناس بأعينهم تلقح أناث تلك الأشجار كما ينزل المطر على الأرض فتحيا بعد موتها مصداقاً لقوله تعالى (وأرسلنا الرياحَ لواقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَا كُومَهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ) ، (ومن معانى هذه المادة الحمل فها هى ذه الرياح تحمل الماء واللقاح والأصوات لتصل الأرض والأزهار والآذان) وهذا كله يجرى ونحن ساهون لاهون والقوم فى بلادهم تبرز معانى كتابنا المقدس على أيديهم ونحن غافلون ومدبر الكائنات من فوقنا يلقح أشجارنا ويحكم أمرها ولا دخل لنا ولا حول ولا قوة (أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا إِلَهٌ مُّعَ اللَّهُ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ)

(ا) ها أنت ذا أفهمتى ظاهرة القاح الرياح للأزهار ولكنى لا أعلم كيف تحمل الحشرات اللقاح وهل تقصد ذلك وهل عندها علم وإدراك حتى تنقذ أثمان العسل والتمتع بالأزهار بأن تنقل الطلع من شجرة الى أخرى

(ب) اعلم يا سيدى أن الزهرة مركبة من أوراق خضر تغلفها من الظاهر ويسمى علماء النبات بالكاس داخلها أخرى ملونة بالألوان الجميلة يسمونها التويج تصفيرا تاج تشبيها لها بتيجان الملوك المرصعة بالجواهر الثمينة وقد علمت مما ذكرناه أننا أرفع قيمة عند الحكماء وفى داخلها سوق تحمل الطلع فى حصن حصين بما أحاط بها من تلك الأوراق وفى أسافلها عسل فترى الحشرات تلك الألوان الجميلة فتسرع طيرانها إليها ليلا أو تشم رائحتها فى الظلام فتشرب العسل فتلمس ظهورها ذلك الطلع فيرش

عليها كالدقيق فتذهب الى الزهرة الأخرى من ذلك النوع فيحصل تلقيحها ولا علم للزهرة بذلك ولا للنحلة وانما كانت تسعى لمنفعة أنفسها وانما ذلك تدبيره تعالى (وما كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ) وهذا قد كنا أوضحناه في كتابنا جواهر العلوم ولكن الأمر المدهش هنا تركيب الزهورات لمناسبة الالتقاح وترتيبها وتزيينها حتى قيل ان الأزهار مدينة للحشرات في جمالها وعسلها فلعمرك لولا طواف الحشرات عليها ما منحها يد القدرة الالهية ذلك الجمال (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ) وما الحشرات إلا كنواطير البستان (بستانيين) فان ناطور البستان يختار من أجمل الأشكال وأحسنها ليلدع في إتقانها ويزيد في تنظيمها وجمالها فكذلك هذه الحشرات بطوافها على هذه الأشجار زينت بتلك الزينة تشويقا لها لكن الناطور يختار بتمييزه وهذه بعناية الحكمة الالهية وأعجب من هذا تدبير أشكال الأزهار على وفق هذا الالتقاح

(١) وكيف ذلك

(ب) تعلم أن أوراق التويج قد تنظم فتصير كأنها انبوبة في داخلها تلك الاعضاء التي ذكرناها آنفاً وقد يشاهد في بعض الزهر مثل زهر النجاع أنابيب حولها شعرات ثريات من العسل في أسفل الزهرة على جوانبها من الداخل وتلك الأنبوبة مستطيلة ضيقة وما ذلك الا لتبذ كل حشرة من الفراش تريد الدخول وذلك أن ضيق الأنبوبة و بروز تلك الشعرات كافيان في منع الحشرات من ذلك ما عدا النحل فانها أعطيت قوة بها تقتحم تلك الأنبوبة ولا تبالي بأسنة الوبر . وما عدا النحل من الحشرات فلا قدرة له على حمل الطلع في ذلك النبات . فلهذا منع من الدخول فالحكمة الالهية قضت أن الغم بالغرم وهناك موقف تقف عليه النحلة وقت جني العسل وقنطرة تمنع قطرات المطر حرصاً على العسل أن يضيع واذا كان ما عدا النحل عاجزاً عن حمل الطلع في شجر مخصوص فمنعه أمر محتوم

أَوْ مَا تَرَى الْأَزْهَارَ مَا مِنْ زَهْرَةٍ إِلَّا وَقَدْ رَكِبَتْ فَقَارَ قَضِيبِهَا

والطَّيْرُ قَدْ خَفَقَتْ عَلَى أَفْنَانِهَا تُلْقَى فُنُونُ الشَّجَرِ فِي أَسْلُوبِهَا
تَشْدُو وَتَهْتَزُّ الْعُصُونُ كَأَنَّمَا حَرَكَاتُهَا وَزْنَ عَلَى تَطَرُّبِهَا

(القاضي أبو الحسن بن زنباع)

أَبَدَتْ لَنَا الْإِيَّامُ زَهْرَةَ طَبِيبِهَا وَتَسَرَّبَتْ بِنَضِيرِهَا وَقَشِينِهَا
وَاهْتَزَّ عَطْفُ الْأَرْضِ بَعْدَ خَشْوِهَا وَبَدَتْ بِهَا النُّعْمَاءُ بَعْدَ شُحُوبِهَا
وَتَطَلَّعَتْ فِي عُنْفُوانِ شَبَابِهَا مِنْ بَعْدِ مَا بَلَغَتْ عَتِيَّ مَشِيمِهَا
وَقَفَّتْ عَلَيْهَا السُّحُبُ وَقَفَّةَ رَاحِمٍ فَبَكَتْ لَهَا بَعْيُونَهَا وَقُلُوبِهَا
فَعَجِبْتُ لِلْأَزْهَارِ كَيْفَ تَضَاحَكْتَ بِبُكَائِهَا وَتَبَشَّرْتَ بِقُطُوبِهَا
وَتَسَرَّبَتْ حُلَلًا تَجَرُّ ذُيُولَهَا مِنْ لَذِمِهَا فِيهَا وَشَقَّ جُيُوبِهَا
فَلَقَدْ أَجَادَ الْمَزْنَ فِي إِنجَادِهَا وَأَجَادَ حَرُّ الشَّمْسِ فِي تَرْتِيبِهَا

(١) ان مقام الزهرات يعوزه شرح أوسع من هذا فأريد منك أن تذكر لي تفصيلا له ثم بعد ذلك تفهمني كلام اللورد المذكور

(ب) فقلت ان أجزاء الزهرة مرتبة هكذا

(١) الكأس (٢) التويج (٣) أعضاء التذكير (٤) أعضاء التأنيث

فالكأس غالبا أوراقه خضراء كما في الزنبق ، والتويج أوراقه ملونة وتقع كل ورقة منها غالبا بين ورقتين من الكأس ، وأعضاء التذكير وأعضاء التأنيث هي الجهاز التناسلي ، فأعضاء التذكير يعاوها حبوب اللقاح وعضو التأنيث هو مركز الزهرة الذي يقبل مادة اللقاح من أعضاء التذكير وفيه يتم تكوين الثمار والحبوب ، وعضو التذكير وعضو التأنيث ان وجدا في زهرة واحدة كما في القطن والفول ، فالزهرة خنثى وعلى هذه الطريقة غالب النباتات الشائعة ، وان حوت الزهرة عضو التذكير وحده فهي ذكر أو حوت عضو الأنثى وحده فهي أنثى وإذا كانت الأزهار الذكور والأنثى في نبات واحد كالذرة قيل له أحادي المنزل وان كان

الذكر على فرد والأنثى على آخر قيل للنبات انه ثنائى المنزل مثل نخل البلح اذا عرفت هذا فلنرجع الى مقال اللورد المذكور كما طلبت أيها الأخ أنظر هذه الصورة شكل (١)



(شكل ١)



(شكل ٢)

White Lead nettle وهو النجاع بالعربي

هذا النبات له زهر شكل (٢) فالكاؤس فيه حرف (١) والتويج فيه حرف (ب) ولونه هنا البياض وأعضاء التذكير وهي هنا أربعة حرفا (ج. ج) وعضو التأنيث هو حرف (د) وهاهنا أنبوبة مستطيلة أسفل الزهرة ضيقة مملوءة عسلا وفوق العسل أهداب من الوبر تحيط بقم الأنبوب ويمتد من هذا الأنبوب مصطبة وقبة ، فالمصطبة هي حرف (هـ) شكل (٢) والقبة هي المنحنى فوقها وهو ظاهر ، وفائدة هذه القبة أو القنطرة وقاية عضو التذكير وعضو التأنيث ومنع المطر أن يقع على العسل فيزيله من الأنبوبة ، وفائدة المصطبة أن تقع النحلة عليها عند إرادة شرب العسل من الأنبوبة وأما طول الأنبوبة فانه يناسب طول خرطوم النحلة ، وأما ضيقها ونمو الوبر حولها فذلك لمنع غير النحلة من أن تشرب العسل وتجنیه بدون مقابل لنفع النبات كما أشرنا اليه آنفاً ، وأما بياض التويج فذلك ليكون دليلا للنحلة ظاهرا بين خضرة الأوراق ، وأما ارتفاع القبة كما تراه في الرسم فذلك ليكون بعدها عن المصطبة مناسبا لجسم النحلة في وقت مصها العسل بنخرطومها فيلامس القبة التي

فوق ظهرها فيلتصق الطلع من أعضاء التذكير (ج . ج) شكل (٢) بشعر النحلة
فاذا انتقلت إلى زهرة أخرى لامس شعر ظهرها أعلى عضو التأنيث وهو لزج شديد
الدبق فيلتصق به بعد ذلك الطلع فيكون الالتصاق فتبارك الله أحسن الخالقين
وهاهنا العجب العجيب ألا ترى رعاك الله أن عضو التأنيث (د) شكل (٢)
أسفل من أعضاء التذكير (ج . ج) فاذا أخذت النحلة تشرب العسل فان أول
ما يقابلها هو عضو التأنيث وبعده أعضاء التذكير التي ترجع بطلع منها ملتصق
بظهرها فاذا وصلت النحلة إلى زهرة أخرى فان أول ما يقابلها هو عضو التأنيث أيضاً
وإذن يلتصق به الطلع كما قدمنا فوضعه أسفل من أعضاء التذكير لهذه الحكم ، ولعمري
الله ان هذه الحكم تحير العقل وهذا وضع يدهش أولى الألباب ويفتح باب اليقين
بهذا تكون السعادة العلمية وتتبعها السعادة العملية والله يهدي من يشاء إلى
صراط مستقيم .

الكلام على الزهر ذى الاقفال والمفاتيح وهو عشب الذئب

(والزهر ذى الحراس . والزهر ذى الجند)

والزهر ذى السياسة الحقيقية والوهمية

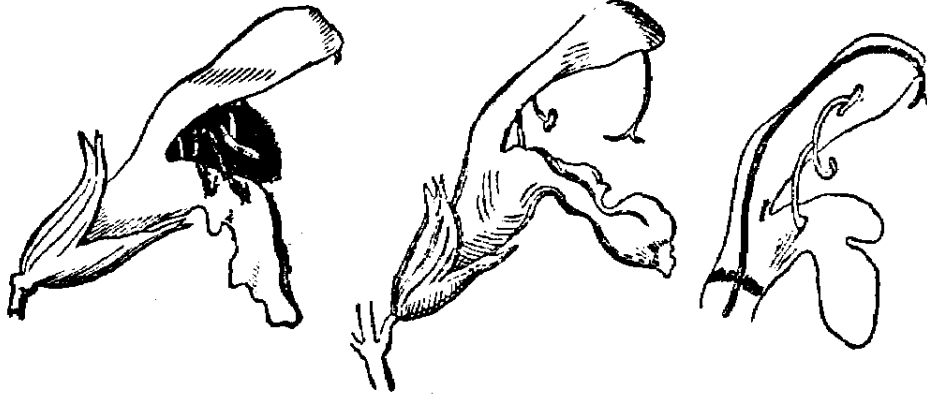
الزهر ذو المفاتيح والاقفال وزو الحراس

- (أ) - بلغنى أن فى بعض النبات زهراً له مفاتيح وآخر له حراس فهل لذلك من حقيقة ؟
- (ب) - هناك زهر يسمى سلفس وآخر يقال له زهر الأشراف والنساء . فالأول
ذو المفاتيح . والثانى ذو الحراس

الأول وضع الله فيه على فم الأنبوبة المكونة من أوراق التويج ساقاً معرضاً
على فمها كأنه مغلاق لذلك الباب فأى حشرة تريد الدخول عجزت عن ذلك فاذا
جاء صاحب الأمانة ألا وهو النحل أزال ذلك الساق من مكانه ودخل فشرب . وفى
أثناء دخوله يكون هناك ساق آخر يحكم الوضع على ظهره يحمل الطلع فينزل عليه منه

مقدار فيحمله الى زهرة أخرى . فتأمل سيدى كيف جعل أحد الساقين قفلا لباب الزهرة والآخر كأنه يد ملأى بدقيق الطلع فتضعه على ظهر النحلة . والأمر الأعجب من هذا أن هذه النحلة عينها إذا ذهبت الى زهرة الأنثى وكانت أكبر قليلا رأيت أمرا عجيبا ، رأيت الأوراق العليا منها مرتفعة هي وعضو التأنيث حتى أن تلك النحلة اذا دخلت تشرب العسل لم يتيسر لها مس عضو التأنيث لارتفاعه جداً فانظر ماذا حصل . وضع في نهاية عضو التأنيث ذراع طويل الى أن يلامس النحلة فيمسح ظهرها ويأخذ الطلع الذى التقطته (فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ) (وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ) أليس هذا مصداقا لقوله تعالى : (وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ فَفَرِّقُوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ) كأن وجود الزوجين من النبات داع حثيث للتأمل في هذا العالم

كأنه يقول هذا أمر خفى فتذكروا وجدوا فيه ومتى عرفتموه قربتم من الله تعالى وهذا بعينه ما صرح به العلامة جون لوبك الانكليزى : (ان من وقف على أسرار الأزهار أمكنه أن يفتح كنوزا من الاسرار الخفية) فتأمل وانظر كيف جد القوم في فتح كنوز مقله في القرآن ونحن عنها غافلون . ولقد صرح به القرآن في آية أخرى (وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ . تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ) فانظر كيف ذكر الأزواج في النبات وقال انه تبصرة وذكرى ولكن بالأسف اننا تركنا التبصر فيه . واني لفي غاية العجب من هذا السر الخفى كيف يدكر في القرآن وكيف يبحث عنه علماء الغرب وكيف يقول عالمهم ان هذا سر به تفتح أسرار الطبيعة . ألا فليتأمل معي أهل العقل والعلم وليتفكروا ولينظروا . فاني أقول هذا وأنا محترق الفؤاد على ضياع العلم من بلادنا ورضائنا بالقشور ونبد اللب (إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) فقال صاحبي أريد ايضاح هذا بالرسم فقلت هاك شكل (٤) و (٥)



(شكل ٥)

(شكل ٤)

(شكل ٣)

فزهرة (شكل ٣) زرقاء وترى فيها ذراعين وهما عضوا التذكير موضوعين في شكل (٤) منفصلين منته كل منهما بحب الطلع وأحدهما عند فم الأنبوبة يسدها والثاني ممتد من القبة فوقه فإذا أدخلت النحلة خرطومها في الأنبوبة شكل (٥) ضغطت على الذراع الأسفل فأما الأعلى فإنه يلامس ظهرها فيلصق به الطلع وهذا تمام البيان

الزهر ذو الحارس

(١) عرفت الزهر ذا المفاتيح والاقفال فما زهرة الخفراء ؟

(ب) هذه الزهرة موضوعة على هيئة قارورة يحمل فيها شعرات واقفات فتأتي الحشرات الصفار اليها من الذباب والفراش الجاهلات لتقيها الحروالبرد ولايدخلها النحل لعله بما فيها من الخطر فإذا دخل الذباب وقفت لها تلك الشعرات بالباب ومنعتها الخروج فأخذت تثب وتسقط في وسط الزهرة وهناك الأعضاء الذكور حرف (١) شكل ٦ وتحتها الاناث حرف (ب) شكل ٦ وقد أينعت الأولى وحان قطافها ولم يأن للثانية أن تلقح — فادا اضطرب ذلك الذباب سقط الغبار الذي في أعضاء التذكير على ظهوره وفي الوقت عينه تدبل تلك الشعرات الخافرات على فم الزهرة فيخرج الذباب آمناً في سريه طائراً في الهواء ذاهباً الى زهرة أخرى قد فعل بهامثل هذا فيدخلها للاحتماء بها فيقع الطلع على الانثى ويخرج آمناً مطمئناً . أليس هذا مما صدق عليه قوله تعالى (وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هي إلا ذكري للبشر) وقوله :



(شكل ٦)

(بُدِّرَ الْأُمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تَوْقِنُونَ .
 وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ
 كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا ذَوَجِينَ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ
 فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) هذا وبعض الزهر تفتحها
 النحل بأرجلها فتشرب العسل ثم يقفل على الطلع ليحفظ حتى تأتي
 نحلة أخرى والزهر ذو الحارس يسمى زهر الأشراف

عجبية

عن الحشرات والنحل وانها تلدول في السياسة

جعل الله تعالى في الأزهار سياسة تضارع سياسة الأمم بايهام ضعفاء العقول
 لتنال غرضها منهم لقصر أنظارهم . فهكذا زهرة الأشراف قد خدعت الذباب بجعله
 قدخل فيها احتما بها فلقى منها مالمقى بجير أم عامر . وكما أن النحل ذو ذكاء فلا يخدعه
 خادع فهكذا لاتراه يحوم نحو تلك الزهرة الجوفاء الخاوية بل تراه يحوم أنى يجد العسل
 ولم تبخل يد العناية الالهية أن تزوده العسل وتطعمه الشهد استحقاقا وعدلا (ويؤت
 كل ذى فضل فضله)

أما الذباب فترى العناية الالهية قد دبوت له ما يناسب جهله حتى انك ترى
 بعض الأزهار يحمل أنابيب قد توجت برؤس كقطرات من العسل في شكلها ولونها .
 فاذا أسرع اليها الحشرات لن تجدها شيئا وحملت الطلع ولم تنل ثمنا ، فأشبهت
 الأمم الجاهلة المغرورة بمجرد القول دون الفعل

فانظر كيف حوت الزهرة محل علم السياسة . وكيف ينطبق عليها قوله تعالى
 (وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ)

الزهر المنظم كالجند

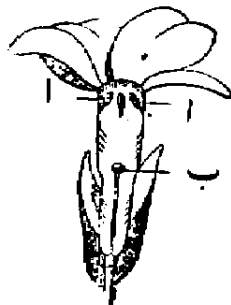
(أ) قد سمعت أن في بعض النباتات زهراً له ثلاث صفوف تقف بانتظام على ثلاثة أيام كل صف في يوم . فهل عندك علم بذلك ؟

(ب) اعلم أن هناك زهراً أصفر ذا ثلاث صفوف كل صف خمس زهرات فتري أول صف فيها يظهر مساء مظهراً جمال صفوته في غسق الليل لتأتي الحشرات إليه سراعاً وتري رائحته تتأرجح فتأخذ الحشرات منها حظها . فاذا انقلب عمود الصباح وأضاءت الشمس رأيتها ذبلت وأصبحت هشياً كأن لم تكن بالأمس يظنها من رآها أنها — أي الشجرة قد أدير شبابها وأقبل هرمها فاذا كان مساء اليوم الثاني رأيت الخمس الأخر التي كانت مغمضة الأجنان قد استيقظت من نومها وبعثت من مرقدها وقامت بالمظهر الذي فعلته ما قبلها ورجعت الشجرة كالعروس تتجلى في الظلمة حتى تزود الحشرات من طلوعها كما كانت في اليوم الأول فاذا جاء صباح اليوم الثالث ذبلت . وفي المساء الثالث تظهر الأنثى منتظرة الحشرات محضرة لها الطلع من زهر آخر كما حملته من ذكور هذه الشجرة في اليومين السابقين . وهذا من فوائد تلقيح الحشرات بحيث أن الأنثى من زهرة تلقح من ذكر الأخرى وبالعكس

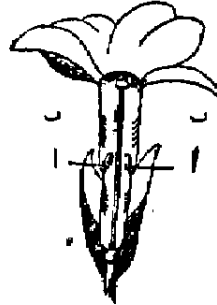
زهر عجيب محكم الترتيب

(أ) من الورد نوع يشاهد الناس في زهره أنابيب التدكير مستطيلة تساوي أوراق الزهرة في الطول وأنابيب التأنيث تصل إلى نصف تلك المسافة وأزهار أخرى من ذلك النوع بالعكس . فتري أنابيب التأنيث تستطيل إلى أطراف أوراق الزهرة وأعضاء التدكير على النصف من ذلك ولو نظرنا مائة شجرة من هذا النوع لوجدنا النوعين من ذلك الزهر متساويين بحيث تكون ذات الأنثى الطويلة تساوي في العدد ذات الذكور الطويلة فهل تعرف سيدى هذا ؟

(ب) إن هذا الزهر وضع مناسباً للنحل وذلك أن النحلة إذا مدت خرطومها الطويل وصل إلى أسفلها لشرب العسل ولا ممس عضو التذكير الطويل فحمل منه طلعاً فإذا راح إلى ذات عضو التذكير القصير أخذت الأنثى المستطيلة ذلك الطلع لمرور الخرطوم بجذاتها لمساواتها الأوراق وهكذا في الأعضاء القصيرة فيأخذ النحل بخرطومه من كل عضو إلى ما يناسبه في الزهرتين فتأمل كيف تساوى عدد النوعين من هذا الزهر وتعجب كيف كان طولها واحداً في جميع الأزهار إما للأنثى أو النهاية وكيف كان خرطوم النحلة إذا لامس عضواً في زهرة يلامس نظيره في الأخرى بحيث لا يختل شعيرة في مقدار طولهما ولعمري لو سئلت هذه الزهرة لقرأت بلسان الحال (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) ولو سئلت تلك النحلة لقرأت (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعُهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) ولقرأت (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ) إذ أنه تعالى وضع مقداراً لكل شيء في أم الكتاب عنده فلا يضيع حشرة ولا دابة ولا حيواناً صغيراً ولا نباتاً حقيراً ولا زهرة ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين . وهاك إيضاحه



(شكل ٨)



(شكل ٧)

هذا زهر وطلع لورد أصفر يسمى بالفرنجية Primrose (أى الورد المتأنق)
 أن الساق (ب) هو عضو التأنيث والساق (ا) هو عضو التذكير ، فإذا
 اقتحمت الحشرة الزهرة نمرة (٧) فإنها لا محالة مرسلة خرطومها إلى أسفلها ولا جرم

أنها تلاقى نهاية الساق القصير وهو عضو التذكير (١) فيعلق بذلك الخرطوم في منتصفه مادة اللقاح ، فإذا مدت نفس هذه الحشرة خرطومها في الزهرة نمرة (٨) فإن الطلع الذي علق به يلاقى الساق القصير وهو عضو التأنيث في نهاية عند (ب) فيحصل اللقاح ، وبالعكس تزود حشرة أخرى الزهرة نمرة (٨) التي قصر عضو تأنيثها وطال عضو تذكيرها فيعلق الطلع بالخرطوم عند (١) فإذا مدت نفس ذلك الخرطوم في الزهرة نمرة (٧) فلا بد من أن يعلق اللقاح بنهاية عضو التأنيث (ب) ولعمري أن هذا هو اليقين الذي ذكره الله فقال : (وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّمُؤْمِنِينَ) وهذا من العجائب التي وعد الله بها فقال : (وَقُلِ الْحَدُّ لِّلَّهِ سِيرِيكُمْ آيَاتِهِ) وقال : (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ) اللهم أنك بينت كما وعدت وأي بيان بعد هذا ، اللهم إن أمثال هذه العجائب من أعلى العلم في هذه الأرض وأكثر الناس يجهلون ومنهم من يقرأون ولكنهم لقصر أنظارهم لا يفهمون وإن فهموا لا يعقلون الأسباب وإن عقلوا لا يذوقون هذا الجمال والذين يذوقون ويدركون هم خلاصة هذا العالم الانساني وهم هم الذين يفهمون وحدهم قوله تعالى (أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)

نوم الزهر

(١) رأيت في بعض الكتب أن الزهر ينام فهل لهذا حقيقة وإذا صح فلم ينام؟ النوم في الحيوان سببه معروف وليت شعري ما سبب نوم النبات يجد الحيوان في قوته ويتعب في تحصيله فإذا جن الليل خارت قواه فتعب فنام . أما النبات فما سبب نومه ؟ وبعض النبات لا ينام أبداً وآخر ينام صباحاً ويستيقظ مساءً وآخر بالعكس ومن الأول ما يستيقظ في الساعة الرابعة صباحاً أو الساعة أو الثامنة أو التاسعة أو العاشرة ثم تغمض اجفانها بعد الظهر في أوقات مختلفة إما في الساعة الثانية أو الثالثة أو الرابعة وهكذا . ما الحكمة في ذلك

(ب) يختلف نوم الزهر وانطبق أوراق الزهور باختلاف الحشرات التي تأكل منها فالنحل يعتاد اليقظة نهائياً فترى الأزهار التي خصصت له تفتح عيونها نهائياً حتى يشرب منها العسل رفقا بالفریقین ومنفعة للطائفتين أما الأزهار المخصصة للحشرات الأخرى فلا تفتح أوراق أزهارها غالبا إلا مساءً في انغلس إذ لتلك الحشرات غدوات وروحات في ذلك الحين فلا جرم تفتح لها ولعمرك لو عكس الأمر فانفتح النهارى الصباحى بالمساء والمساءى بالصباح لسرق العسل فأخذه مالا يبذل له مما يخص لذلك العمل ويعتدى كل فريق على مالا آخر فيتضرر الحيوان ولا يلقح النبات فتمت الحكمة ففاتيح هذه الأزهار بيد القدرة الالهية تفتحها وتغلقها لا تدخل للشمس ولا للقمر فيها وإلا فلماذا تنام الزهرة المسماة (حنا ذهب لينام) في وقت الهجرة حتى إن أولاد الفلاحين في أوروبا يعرفون مواعيد الغذاء بنومها فلو كان للشمس دخل في تفتح الأزهار لسكان أولى الأوقات بانفتاحها وقت الظهيرة والحشرات تختلف أوقات قيامها لطلب معاشها في ساعات النهار فكل زهرة تفتح في الوقت المعين لحشرات التي خصصتها بالحكمة الالهية (ذلك تقدير العزيز العليم) وكان الشاعر العربى الأندلسى نظر لهذا المعنى فقال :

وَعَلَى سَمَاءِ الْيَاسْمِينِ كَوَا كَبَّ أَبَدْتُ ذُكَاةَ الْعَجَزِ عَنْ تَقْيِيمِهَا
زُهْرٌ تَوَقَّدُ لَيْلَهَا وَنَهَارَهَا وَتَفُوتُ شَأَوْ خُوفِهَا وَغُرُوبَهَا

(ذكاه) الشمس وهذا باعتبار المجموع لا الجميع

(أ) من الأزهار ما هو أحمر وأصفر وأبيض وأزرق فهل لهذا من حكمة وبعضها ذو ریح طيبة دائماً والآخر لا تذكو رائحته إلا وقت المساء ينسب إلى عنبرة العبسى هذه الأبيات من زهرية له

زَارَ الرَّبِيعُ رِيَاضَنَا وَزُهِىَ بِهَا فَنَبَاتُهَا حَلِيَّتُ بِأَنْوَاعِ الْحُلِيِّ
يَزْهُوُ بِأَحْمَرَ كَالْعَقِيقِ وَأَصْفَرَ كَالزُّعْفَرَانِ وَأَبْيَضَ كَالسَّنَجَلِ
وَبَنَفْسِجٍ يَزْهُوُ إِذَا عَايَنْتَهُ آثَارَ نَقْشٍ فِي ذِرَاعٍ لِمُتَمَلِّئِي

(ب) ان الزهرات الحمر والزررق خصصت غالباً بالنحل وهو مغرم بهذين اللونين عاشق لها فكأننا داعيين الى الافتتان بهما ولا جرم أن في الاحمر والأزرق من الجمال ما ليس في الأبيض والأصفر أما الآخرا فأنما يكونان في الازهار التي تمتص منها بقية الحشرات غالباً وقد منا أن الحشرات أغلب ما يكون خروجها مساء (صنع الله الذي أتقن كل شيء) ولا ريب أن البياض والصفرة يناسبان وقت الفلج إذ تتجلىان فيه أما الحمرة والزرقة فسلطانهما انما يكون بالنهار . فاقنضت حكمته جل جلاله أن يتناسب الزهر واللون والحشرات في الصباح والمساء ويتجلى البياض مساء والحمرة والزرقة نهارا وهكذا تلك الزهرات الصفرة والبياض تذكو رائحتها مساء لتهدى إليهم حشراتهما وتساعد الرائحة اللون على جذبها ولو أبدل البياض بالحمرة لم تعرفها الحشرة أو لم تذكر الرائحة لضعف الداعي

تأمل في رياض الأرض وانظر إلى آثار ما صنع المليك
عيون من لجين شاخت على ورق كالذهب السبك
على قصب الزبرجد شاهدات بأن الله ليس له شريك

(نهاية)

قل السير (جون لبك) عن ارسطاطاليس اليوناني أنه شاهد أن النحلة تذهب من زهرة الى أخرى من نفس ذلك النوع وقال أنها منعمة للفريقين النبات والنحل أما النبات فان الطلع الذي من الذكر لا يضيع بسقوطه على زهرة من نوع آخر . وأما منفعة للنحلة فانها تعرف طريقها ولا تغيره ولا تضعع الزمن في أخذ دروس جديدة عن كل زهرة وتجارب حتى تضعق قوتها ويذهب زمانها سدى وهذا بعينه ما قاله تعالى (وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلَفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) فقله سبل ربك ذللا أي ان طرق ربك في الأزهار مسهلة لك من

الله لا تلتبس عليك لأنها في نوع واحد من الأشجار التي أرادتها في الزمان المخصص لها والله أعلم

وإني لموقن أن هذا هو عين التوحيد وكيف يقول الله تعالى (وأنبئنا فيها من كل شيء موزون) وترى جاهلاً يقول هذا خارج عن الدين مع أنه لا يقين ولا إيمان إلا بمعرفة هذه البدائع . وهذا سر تأخر المسلمين اليوم عن مصاف الأمم . وعندى أنه يجب على علماء الاسلام قاطبة أن يتعلموا ويعلموا هذه المعارف التي أجلها علم الكيمياء والطبيعة التي هي سر التوحيد . وباليست شعري كيف انعكست الأحوال وأصبح ما هو أصل الدين خارجاً عنه حتى ظن المسلمون أنها خاصة بالإفرنج . وفي كتابنا هذا وكتبنا السالفة ما فيه غنى للأذكىاء فمن أرادها للعلم فيها ونعمت ومن أرادها لليقين فهو أفضل ولقد أطلنا في الزهر وعجائبه وغرائبه ووضعناه في قسم النبات تعجيلاً للفائدة وإحضاراً للمسرة في الأذهان قبل الاطلاع على كتابنا « نظام العالم والأمم . » ^(١) وإلى هنا تم القسم الرابع وهو قسم النبات

﴿ القسم الخامس ﴾

في ترتيب الحيوانات ترتيباً إجمالياً وكيف كانت درجات بعضها فوق بعض كترتيب أصناف النبات وشرح دائرة الوجود التي ذكرها الأقدمون وما المناسبة بينها وبين مذهب (داروين)

﴿ القسم السادس ﴾

في الإنسان ولقد رتبناه ترتيباً طبيعياً فذكرنا هيكله الظاهري بعبارة مختصرة ثم ذكرنا ما شرحه الرياضيون في مقياسه وكيف كانت قامته ثمانية أشبار بشبره وإذا مد يديه إلى أعلى فهو عشرة أشبار وإذا مدهما إلى الجانبين فهو ثمانية أشبار فعرضه إذ ذاك كطول له وان طول قدمه كطول وجهه وهكذا ثم أذكر التشريح بشرح واف حتى يظهر للمتأمل بأجلى عبارة وان لم يزاو هذا الفن

(١) في كتاب الجواهر في تفسير القرآن المؤلف بعد هذا الكتاب ايضاح آتم لمثل هذا المقام في سورة طه والآنعام وغيرهما

﴿ القسم السابع ﴾

في علم النفس وإيضاح هذا الفن إيضاحاً تاماً بحيث يفهمه المتوسطون فهماً واضحاً جلياً ظاهراً ويقفون على ماصعب من مرموزات الحكماء والعلماء بأسهل عبارة

﴿ القسم الثامن ﴾

في علم سياسات الأمم وأحوالها وكيف يستند هذا على الاعتقاد والايان وما وحدات الأمم وهي ١٢ منها ٧ عامة و ٥ خاصة وما آراء أهل المدينة الفاضلة وكيف كانت هذه السياسات المشاهدة الآن معروفة من قبل وكيف تكون الأمة كالإنسان الواحد وترتيب عمال الحكومة على مقتضى أعضاء الجسم التشريحي حتى يفهم قوله تعالى (مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَبْعَثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ) وكيف أخطأ قوم من المحدثين في العلم إن هذا اكتشاف أوروبى . وها أنا قد استخلصت زبدة آراء أهل المدينة الفاضلة للفارابى واستخرجت اللب من القشر ونبذت النوى في الأجزاء السادس والسابع والثامن من هذا الكتاب هنيئاً مريئاً لأولى الأبواب

﴿ القسم التاسع ﴾

في العمران الإسلامى والسعادة والاختيار والعمل وكيفية توزيع الأعمال على الأفراد وما حكم الشريعة فيها وفروض الكفايات . ثم ذكر أنواع العلوم والصنائع التى يجب تعلمها على الأمم الإسلامية في هذا الزمان وطرق التعليم وما يجب على العلماء أن يسلكوه وحكمة النسخ في الآيات والأحاديث وما مناسبتها للأحوال التى نحن عليها الآن وما حكمته بالنسبة لنا وما يجب على المسلمين أن يعملوه في سياساتهم وأحوالهم الآن .

ثم نذكر وجوب استعمال العقول وترك الفضول وانتهاج خطة الشرع .
ثم نذكر ما الواجب على ملوك الاسلام وأمرائه من التعاون والمحبة .
ثم نذكر قصص القرآن والروايات وتاريخها وما ثمراتها في الأمة وما يجب علينا
اتخاذها بالنسبة لها الآن . وكيف كانت سيرة النبي صلى الله عليه وسلم فيها وما
الغرض منها وما الذي طرأ عليها في الاسلام .
ثم نذكر علو الهمم وتشويق الأفراد إليها وما خطة القرآن في ذلك وما تنهجه
الأمم لعلو شأنها .
ثم نذكر ما يجب على كل طائفة من طوائف الناس من فهم آيات تناسب ما خلقوا له .
ثم نذكر حكمة التكليف بما غاب عنا .
ثم الخاتمة في ذكر السياحات وفوائدها شرقا وغربا واستطلاع ما في البلدان
الشرقية والغربية إلى غير ذلك من المباحث النافعة العمرانية والله يهدي من يشاء إلى
صراط مستقيم .

﴿ تمت الزهرة ويلها كتاب نظام العالم والأمم ﴾

الباب الأول

من نظام العالم والأمم

وفيه عشرة فصول

الفصل الأول - من الباب الأول في شوق النفوس إلى العلوم ومحبتها

الفصل الثاني - في اقسام العد

الفصل الثالث - بدائع الحساب والواحد الحقيقي والواحد المجازي

الفصل الرابع - عجائب الموسيقى

الفصل الخامس - في الكلام على الشطرنج

الفصل السادس - في حساب بيوت الشطرنج بالتضعيف

الفصل السابع - في أن الشطرنج والرد قصديهما ما هو أرقى من اللعب

في ايضاح لهذا المقام ازديادا للفائدة - لطيفتان :

اللطيفة الأولى في ضرب الامثال - اللطيفة الثانية في فوائد

شقي على الوحدة وما تفرع عنها

الفصل الثامن - في أن حساب الناس نزر يسير بالنسبة لحساب الله

الفصل التاسع - في الاستشهاد على أن الإيمان لا يكون يقينيا إلا بهذه العلوم

الفصل العاشر - في أن العلوم الحديثة مصداق للنبوة

افضل الاول

﴿ في شوق النفوس إلى العلوم وكيف كمن فيها علم الحساب ﴾

﴿ وكان مبدأ العلوم ومعنى كون العالم موسيقيا ﴾

نبدأ اللهم بحمدك وتقديس لك ونصلي ونسلم على سيدنا محمد نبيك وآله وصحبه
وآلهمينك ونستهديك إلى مناهج السعادة بصفاء نفوسنا وتحليتها بأنواع العلوم فإن
الخير بيدك والشر ليس إليك (أما بعد) فإن أجمل شيء في هذا الوجود الحادث
الذي نحن فيه وأحسنه وأبهجه نفوسنا الانسانية فهي حور مقصورات في الخيام أو ورد
في الأكمام بها هام أهل الجمال والكمال من العلماء والحكماء حتى صنفوا الكتب
وألفوا الرسائل في تهذيبها تارة وتحليتها بالاطلاع على عجائب الكون تارة أخرى
ولعمري لولا المناسبة بين النفوس وبين هذه الآفاق المشاهدة ماعشنا كل شيء
رأيناه من عالم الجمال ولا همنا بكل ماسمعناه من الحكم والابداع فياسبحان الله ما هذه
النفوس ترتاد في طلب العلوم المسالك وتركب كل صعب وذلول وما أعجب المناسبة
بينها وبين هذا العالم

حديق ببصرك قليلا وأجل نظرك لحظات في خيالك العجيب واجلس مع نفسك
وصافها ساعة وسلها عما فيها من الصور والعلوم تر أنها تتشكل في أشكال مختلفة
وشؤون متباينة مما يقف القلم عن وصفه . فياليت شعري كيف يسع هذا الخيال ذلك
العالم الواسع مع أنه أدنى مرتبة من العقل وأحط منه درجة وأدنى اعتبارا حتى سماه سيد
الصوفية الشيخ الأكبر قدس سره من موالى العقل (أى من عبيده ومماليكه)
فيا أيها النفس مالك لاتقفين عند حدى العلم والمعرفة ولعلك أجيبت داعي الله في
كتابه الحكيم والفيتة ملائمة لغريزتك مناسبا لفطرتك إذ قال : (وفي الأرض

آيَاتُ الْمُؤْمِنِينَ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ)
فخنت إلى مركزك العالى وجنحت إلى مقامك السامى ولم ترضى دركات الجهل مع
من لم يجب داعى الله (أُولَئِكَ الَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنْفُسُهُمْ أُولَئِكَ هُمُ
الْفَاسِقُونَ) وإذا همتك تلحظ الجوزاء وترقب السماء وأنفت (على قلة بضاعتك
وعظم الأمر عليك وضعفك عن حمله) من قياس الشاعر العربى فيمن عشق بقوله:

هِيَ الشَّمْسُ مُسْكِنُهَا فِي السَّمَاءِ فَعَزَّ الْفُؤَادَ عِزَاءً جَمِيلًا
فَلَنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْهَا الصُّعُودَا وَلَنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْكَ النَّزُولَا

وفهمت قوله تعالى (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ
وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) يقولون (رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا
سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) فأنا أنزهك أن يكون خلقك باطلا إذ لا يلىق بأصغر
مخلوقاتك فكيف بك أنت . إذ كل من حرم مشاهدة هذه البدائع فى صناعتك ومنع
التلذذ بهذه الحكم فهو محروم من كل خير وذلك بلا ريب مبدأ نيران السعير التى
تطلع على الأفئدة (رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ
أَنْصَارٍ) وقد نهى منادى النبوة والوجدان فى الشوق والنظر فى كتاب الطبيعة المفتوح
ببصائرنا وما شاهدنا فى أبوابه وفصوله من أصناف النعم وبدائع الحكم وغرائب الصنع
وعجائب الإتيان ما أدهشنا (رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ
آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مِنَ
الْأُتْرَارِ)

فلذلك كله أيتها النفس العزيزة أوعزت الى أهل الفطر السليمة والعقول السامية
وسجلت عليهم أمد الدهر أن ينصبوا فى طلابك ويهيموا فى جمالك ويأنسوا بهائمك
وأملت عليهم من عجائبك ما يزينهم ومن بدائعك ما يروقهم فكل حسن ورواق

وبهجة وحلية وزينة وجمال وكال في هذا العالم لم تكن قط فيه إلا لمناسبته لنفوسنا وملاءمته لعقولنا . فالنفس لعمرك كلها جمال وكال ولذلك يرهن المحققون من أساطين الحكمة وأكابر العلماء أن حبنا لأبائنا وأبنائنا وأخواننا وجميع ما في العالم لم يكن قط إلا لأنه مسبب لوجودنا أو لسكناه أو لمناسبته لنفوسنا

بحسبنا عن هذا العالم إنما هو للمناسبة التامة بينها وبينه حتى أنها لتعشق العالم أجمعه عشقاً مفرطاً والعاشق إنما يطلب اتحاده بالمعشوق اتحاداً حقيقياً وهذا بلا ريب مستحيل على الأجسام كما حقق الأول الفزالي في الأحياء والثاني الشيرازي في الأسفار وأطنبا في المقامين بما لا يحتمله المقام . فمن نظر إلى السماء وزرقتها والأرض وبهجتها والأشجار وخضرتها والغصون وميسرتها والأزهار ونضرتها والفلك الدائر والنجم الزاهر والسحاب الماطر والرياح الذاريات والبحار الجاريات والشموس المشرقات ولم يجد في النفس طرباً فليتخذ له في السماء سداً أو في الأرض سرباً

ومن لم يحركه العود وأوتاره والربيع وأزهاره فهو فاسد المزاج يحتاج إلى العلاج (أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ)

. ينظر العالم في السماء فيرى إحكامها العجيب وحسنها البهيج ويتأمل فلا يجد في رأى العين لها فروجاً مفتوحة كما في آية أخرى : (فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُتُورٍ) أى شقوق والمعنى أنها مسواة مهندسة في رأى العين لسكل ناظر ولا جرم أن ظاهر كل شيء عنوان باطنه

فبحث الحكماء عن مبركوا كبها واتقانها وشروقها وغروبها وأخذوا ينتقبون عن أسرارها العالية من اختلاف الليل والنهار والبروج والمنازل ولما وقفوا على حقائقها قالوا (سُبْحَانَكَ مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا) كذا فلتكن الحياة وهكذا فليكن الإنسان فكم يفرح القلب وتنتعش النفس عند الوقوف على تلك العجائب المدهشة . أمر

القرآن بالنظر بالعين المجردة الى تسوية السماء وهندستها الظاهرة للناس كافة فعرف العلماء والحكماء أن هناك سرّاً وراء هذا وقالوا أى فرق بيننا وبين من لم يتعلم مع أن الله عز وجل يقول : (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) فرجعوا الى علم الفلك والهيئة فأروا أن مدارات الكواكب منها ما هو مستدير ومنها ما هو بيضاوى الشكل وما هو متعرج فى سيره فدخلوا فى بحر لاساحل له من حساب وهندسة وعلموا أن هذا الكتاب صريح للعامة ورمز للخاصة بل هو كالطبيعة فان العامة (يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) من المأكل والمشرب (وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ) فغاص العلماء فى أسرارها ووقفوا على كنهها ونقبوا فى البلاد (إِنْ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٌ لِّمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ) ولولا ما ذكرته لم يكن فرق بين الخاصة والعامة ولم تفهم اذن قوله تعالى : (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) ومن حكم ابن عباس : (بَيْنَ الْعَالِمِ وَالْجَاهِلِ سَبْعُمِائَةِ دَرَجَةٍ كُلُّ دَرَجَةٍ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) ولا تظن أن عالم الفقه وأصوله هو المراد بالعالم لابل هو من سند كره وقال صلى الله عليه وسلم : (فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ عَلَى أَذْنَاكُمْ رَجُلًا) كما فى أدب الدنيا والدين للماوردى فالعالم الذى يراد فى هذه النصوص إنما هو الناظر فى العلوم كافة الجائل فكره فى ملكوت السموات والأرض والعبادة وجميع المخلوقات

كيف تصل الى النفس الى هذه المنقبة الشريفة . نظر سيدنا ابراهيم الخليل فى الأرض ليدكر قومه فكسر الأصنام ليريههم أن الأرض لا يصلح ما عليها للألوهية ثم نظر نظرة فى النجوم ثم اتبعها بنظرات متتاليات فرأى الزهرة المسماة عند العامة فريجة لأنها تفرح الناظر لجملها بأشراقها فلما رآها قال هذا ربى اذ هو أجمل ما رآه فى السماء التى هى أجمل وأشرف وأعلى وأضوأ من الأرض فلما أفلت قال أنا لا أحب الآفلين ، فكيف اتخذهم آلهة إذ الرب يستحيل عليه الانتقال والذلة والخضوع وهذه ذليلة خاضعة لنا موسى بحركاتها قوانين لا تعداها فكيف أسجد لمن هو ساجد أو أعبد ما هو عابد فلما

رأى القمر نظر اليه وقال ما قال فيها ولما رأى الشمس بازغة فضلها على الجميع ثم جردها من
الالوهية حين أفلت اذ هي ساجده مسخرة وهذه صفة لاتليق الالاعابد الذليل لاللمعبود
الكبير العظيم وذلك قوله تعالى : (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا
آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا
قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي
فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْتَنِي لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً
قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ
إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ)
فانظر أيها الأخ بعقلك أ كان سيدنا ابراهيم ينظر الى مجرد جبال الزهرة والقمر والشمس
اذن لا فرق بينه وبين زجل من أهل السواد والفلاحين وسكان البوادي واذن يكون
جميع الناس كخليل الله

ايحده الله بقوله (وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ)
وهو لم يمتز عن العامة والجاهلية وإنما نظر فيما وراء ذلك من الحكم والابداع والاتقان
مما ستقف على بعضه في هذا الكتاب ومتى نظرت بنفسك عرفت ما ترمى له تلك
النفوس الشريفة هكذا فليكن الناظرون (وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ) وفي
هذه العلوم فليجد المجدون . نظروا الى الكائنات فشاقتهم واجتذبت قواهم وحواسهم
فنظموا الدول والممالك والطرق والمسالك وارتقت أفكارهم . هنالك الحياة الطيبة والسرور
والبهجة واللذة فأولئك ينظرون وينشدون

أمرٌ على الدَّيَّارِ دِيَّارِ سَلَمَى اقبل ذَا الجِدَارِ وَذَا الجِدَارِ

أما أولئك المتقاعسون عن النظر والقواعد فيقال فيهم
تَمْرُونِ الدَّيَّارِ وَلَمْ تَتَّوَجَّوْا كَلَامُكُمْ عَلَى إِذْنِ حَرَامِ

وايضاح القول ان الامم التي ارتقى نظرها الى إدراك سر هذا الكون ارتقت
أوج المعالي في العلم ونظام ملكها إذ بقدر ما ينظر في الكائنات علمائها يجد في التحليل
والتركيب عمالها

ويكفيك نظرة لتاريخ الاسلام فيما مضى والافرنج في الزمن الحاضر فيا قوم هذا
القرآن يحثنا على النظر فيما لدينا من الحكم المودعة في هذا العالم والتأمل في عجائبه
المدهشة (أَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ)
فيا للعجب ما للقوم ساهين لاهين (فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ) ظن الجاهلون
خطأ ان هذا الدين يأمر بالاعراض عن النظر في هذه العجائب (وما خَلَقْنَا السَّمَاءَ
وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا) فجهلوا بالحقائق وافتروا على الله
كذباً واجترحوا اثماً (وَيَلْ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ
يَصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشَّرَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)

أعرضنا عن النظر العقلي والعمل اليدوي بعد أن قرأنا هذا الكتاب فتأخرنا
في الماديات والعقليات مع أن الكتاب طلب منا النظر في هذه العوالم لتتحلى بها
عقولنا وتتخذ منها ما يلزم لمعاشنا ومعادنا فان بينهما ارتباطا وثيقا محكما لا يفهمه إلا
الباحثون المدققون وإلا فما هذا الحث في آيات كثيرة منه (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا
أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُنُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ)
فاذا جدت الأمة وأقلعت عن إغراضها وأغراضها وبحث في أسرار هذا الكون مدها
مدبره بالعلم والعمل والثروة والغنى لأن هذه سنة في الكون فان الأرض تكون ميمنة
يابسة لا ماء فيها ولا مرعى فتمى نزل ماء المطر اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج
فهكذا الأمة متى رجعت الى فطرتها وجدت في أعمالها ارتقت كما ارتقى غيرها من
الممالك الأخرى ولذلك أعقب الآية المتقدمة بقوله (اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْصِي الْأَرْضَ
بَعْدَ مَوْتِهِمَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)

ياقوم طال الأمد على هذه الأمة فنسيت حظا مما ذكرت به فخرنا الماديات من
الصناعات والأدبيات من العلوم فاصطلينا نارين نار الجهل وتقهر المدنية

اتفاق علماء الشرق والغرب على هذا المبدأ

ولندمج كلامنا بما قاله الشيخ الغزالي في الأحياء في الربع الثالث ربع المهلكات
في باب الغضب وتتبعه بما قاله العلامة جون لباك الانكليزي في كتابه مسرات الحياة
وتقارن هذا وذاك بآية من القرآن الشريف لتعلم أن الغرض الذي نرمى اليه في كتابنا
هو الذي عليه اجماع حكماء الشرق والغرب

قال الشيخ الغزالي وانما منال الآخرة بنعمة العلم فلا جرم من يحب معرفة الله تعالى
ومعرفة صفاته وملائكته وأنبيائه وملكوته سمائه لم يحسد غيره اذا عرف ذلك أيضا
لأن المعرفة لا تضيق على العارفين بل المعلوم الواحد يعلمه ألف عالم ويفرح بمعرفته ويلتذ
به ولا تنقص لذة وأحد بسبب غيره بل يحصل بكثرة العارفين زيادة الانس وثمره
الافادة والاستفادة فلذلك لا يكون بين علماء الدين محاسدة لأن مقصدهم معرفة الله تعالى
وهي بحر واسع لا ضيق فيه وغرضهم المنزلة عند الله تعالى ولا ضيق أيضا في ما عند
الله تعالى لأن أول ما عند الله تعالى من النعيم لذة لقائه وليس فيها ممانعة ومزاحمة ولا يضيق بعض
الناظرين على بعض بل يزيد الانس بكثرتهم نعم اذا قصد العلماء بالعلم المال والجاه
تحاسدوا . لأن المال أعيان وأجسام اذا وقعت في يد واحد خلت عنها يد الآخر ومعنى
الجاه ملك القلوب ومهما امتلأ قلب شخص بتعظيم عالم انصرف عن تعظيم الآخر أو
نقص عنه لا محالة فيكون ذلك سببا للمحاسدة وإذا امتلأ قلب بالفرح بمعرفة الله تعالى
لم يمنع ذلك أن يمتلئ قلب غيره بها وأن يفرح بذلك والفرق بين العلم والمال أن المال
لا يحل في يد مالم يرتحل عن اليد الأخرى والعلم في قلب العالم مستقر ويحل في قلب
غيره بتعليمه من غير أن يرتحل عن قلبه والمال أجسام وأعيان ولها نهاية فلو ملك
الانسان جميع ما في الأرض لم يبق بعده ملك يتملكه غيره والعلم لا نهاية له ولا يتصور

استيعابه . فمن عود نفسه الفكر في جلال الله وعظمته وملكوت أرضه وسمائه صار ذلك الذي عنده أجل نعيم ولم يكن ممنوعاً من لذته بل زادت لذته بمؤانسته فتكون لذة هؤلاء في مطالعة عجائب الملكوت على الدوام أعظم من لذة من ينظر إلى أشجار الجنة وبتاتينها بالعين الظاهرة فإن نعيم العارف وجمته معرفته التي هي صفة ذاته يأمن زوالها وهو أبداً يحني ثمارها فهو بروحه وقلبه معتز بقا كنه علمه وهي قاكه غير مقطوعة ولا ممنوعة بل قطوفها دانية فهو وإن أغمض العين الظاهرة فروحه أبداً ترتع في جنة عالية ورياض زاهرة فإن فرض كثرة في العارفين لم يكونوا متحاسدين بل كانوا كما قال فيهم رب العالمين ونزعنا ما في صدورهم من غل إخواناً على سرر متقابلين فهذا حالهم وهم بعد في الدنيا فما يظن بهم عند انكشاف الغطاء ومشاهدة المحبوب في العقبى فاذن لا يتصور أن يكون في الجنة محاسدة ولا يكون بين أهل الجنة في الدنيا محاسدة لأن الجنة لامضايقة فيها ولا مزاحمة ولا تنال إلا بمعرفة الله تعالى التي لا مزاحمة فيها في الدنيا أيضاً فأهل الجنة بالضرورة برآء من الحسد في الدنيا والآخرة جميعاً بل الحسد من صفات المبعدين عن سعة عليين إلى مضيق سجين ولذلك وسم به الشيطان اللعين وذكر من صفاته أنه حسد آدم عليه السلام على ما خص به من الاجتباء ولما دعى إلى السجود استكبر وأبى وتمرد وعصى فقد عرفت أنه لا حسد إلا للثوارد على مقصود يضيق عن الوفاء بالكل ولهذا لا ترى الناس يتحاسدون على النظر إلى زينة السماء ويتحاسدون على رؤية البساتين التي هي جزء يسير من جملة الأرض وكل الأرض لا وزن لها . بالإضافة إلى السماء ولكن السماء لسعة الأقطار وافية بجميع الأبصار فلم يكن فيها تراحم . ولا تحاسد أصلاً فعليك أن كنت بصيراً وعلى نفسك مشفقاً أن تطلب نعمة لا زحمة فيها ولذة لا كدر لها ولا يوجد ذلك في الدنيا إلا في معرفة الله عز وجل ومعرفة صفاته . وأفعاله وعجائب ملكوت السموات والأرض ولا ينال ذلك في الآخرة إلا بهذه المعرفة أيضاً فإن كنت لا تشتهى إلى معرفة الله تعالى ولم تحمد لذتها وفزعك رأيك . وضعفت فيها رغبتك فأنت في ذلك معذور إذ العنين لا يشتهى إلى لذة الوقاع والنصي

لا يشاق الى لذة الملاك فان هذه لذات يختص بادراكها الرجال دون الصبيان والمجننين فكذلك لذة المعرفة يختص بادراكها رجال لانهم يهيم تجارتهم ولا بيع عن ذكر الله ولا يشاق الى هذه اللذة غيرهم لأن الشوق بعد الذوق ومن لم يذوق لم يذوق ومن لم يعرف ومن لم يعرف لم يشاق ومن لم يطلب ومن لم يطلب لم يدرك ومن لم يدرك بقي مع المحرومين في أسفل سافلين ومن يعيش عن ذكر الرحمن تفيض له شيطاناً له فهو قرين انهمى ما قاله الشيخ الغزالي رحمه الله تعالى وقال العلامة جون لوبك العالم الانجليزى نقلا عن رسكن ان في مراقبة النبات والشجر وانبلاج الصباح ونور الشمس والقمر ورؤية الازهار والثمار والقراءة والكتابة وأعمال الفكرة والحب والصلاة من أسباب السعادة للمرء ما لا يبقى مجالاً لطالب وقال ابيكتوتس من يرى الشمس مشرقة والقمر مضيئاً والافلاك ساجدة ويمتع بصره بمشاهدة عظمة البحر فذلك لا يكون وحيداً

وقال آخر ماذا يطلب الناس من السعادة والهناء بعد ما رزقهم الله من آيات الجمال والحكم والبدائع وأنعم عليهم بالشيء المفقود مما ترتاح اليه الحواس ، ألا ترى الأشكال الجميلة والصور البديعة والألوان المفرحة المبهجة والزواجر العجيبة المختلفة والأصوات المتنوعة في كل حي وجماد تطرب الافئدة الشجية وتشرح الصدور وتفرح المحزون ، أنعم عليهم بنور الشمس وبهجة القمر وزين الأرض بالجبال الراسيات والبحيرات والغابات وقسم الأرض مناطق فهذه حارة وهذه باردة وهذه متوسطة وبث فيها من كل دابة ونبات اختلفت صفاتها باختلاف مناطقها وحرارتها وبرودتها ولو لاحظنا ما تبصره عيوننا كل آن من آيات الجمال في الشروق والغروب وما يحيط بنا من أسباب نعيم الحياة ما طلبنا مزيداً

خلق الله عز وجل حواسنا مستعدة للشعور بما تلاقي من أسباب الجبور فلم تخلق تلك الصور والأشكال والمناظر عبثاً وباطلاً بل لنستعمل فيها حواسنا ونعتبر بما نراه من أشكالها . واعلم أننا لو أخذنا نتصور إلهاً يريد الخير ويحجب أساليب السرور وأنواع

أخبر بعباده ما استطعنا أن نتصوره يفعل أكثر مما نشاهده في هذا العالم . انتهى
ما نقلته من كلام جون لوبك

وأقول أليس ما ذكر هو ما قاله الامام الغزالي في الحكمة المشهورة ليس في
الامكان أبدع مما كان أليس ينطبق تمام الانطباق على قوله تعالى في سورة النحل
(هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ
يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ
فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
وَالنَّجْمُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ
فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ
الْبَحْرَ لِنَاسٍ كُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلًا ثَلَبُوسًا وَتَرَى الْقُلُوكَ
مَوَاصِرَ فِيهِ وَلَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ وَآلَقَى فِي الْأَرْضِ
رَوْاسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ
هُمْ يَهْتَدُونَ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ
لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ)

فياليت شعري من لى بأن يعرف علماء أوروبا بأن هذه الحكم في كتابنا المقدس
الذى خرت له أعناق فحول الحكماء سجداً وفيه هذه الجواهر الثمينة
اللهم ارزق أمتنا رجالاً يخلصون في أعمالهم ويرون الناشئة محاسن العلم والحكمة
ومن المدهشات ان القرآن مع انه طافح بهذه النصوص الصريحة والآيات والعبر
يقول كثير ممن لم يارسوه من المسلمين وجل الغربيين انه لا يلائم العلوم العصرية ،
ونسكن أنا أعدر الفريقين ولا ألومهما فمن جهل شيئاً عاداه ولكن ألوم من قرأ تفسير
القرآن والعلوم الحديثة ولم يبين للناس ما نزل إليهم ولم يوقهم على الحقيقة إذ الكتب
القديمة هجرها أغلب الناس وإلى الأجد في نفسى باعنا قويا وقاهراً نفسياً على ذلك
من قبل أن يطر شاربي حتى إننى كنت أظير شوقاً وأنا في الجامع الأزهر الى مدرسة

دار العلوم رغبة في العلوم الكونية بها ثم ألفت جواهر العلوم ، وكتاب ميزان الجواهر والنظام والاسلام . وجمال العالم وجمعت فيها من العجائب والغرائب ما يسر الناظرين وكان ذلك بطلب وجداني وشوق قلبي وحب لهذه العجائب ولما طبعت وجدت اقبالا من أهل العلم عليها في جميع الاقطار الاسلامية فطلب مني بعض الأصدقاء ما هو أسمى من ذلك وأدق في الحكمة العالية على ذلك النمط من التطبيق على الآيات والأحاديث فأجبت داعيه

اذا ما صراح الحق قد وافق الهوى فذلك مثل الترسيان مع الزبد
وكيف لا أجيب هذا الداعي وقد قال سبحانه وتعالى (ان الذين يَكْتُمُونَ
ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك
يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب
عليهم وأنا التواب الرحيم) وهذه الآية تلزمنا أن نبين ما وقر في نفوسنا من المطابقات
العجيبة والمناسبات بين القرآن والعوالم حتى يتبين أنه الحق وان الله على كل شيء
شاهد قال تعالى لنبيه (وأنزلنا إليك الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ
يَتَفَكَّرُونَ) لعمرى أن السكوت على مثل هذه الوصمة مع تبين الحق انما هو الكتمان
بعينه فهناك أيها الأخ فلنذكر أولا ما نجده في نفوسنا من العجائب العالية ثم ما يلائمها
من نوااميس الكون ومناهج الطبيعة وما اشتق منها على الترتيب الوضعي في الجاد
والنبات والحيوان والانسان ونذكر أنه كيف اشتقت هذه العوالم كلها من العناصر
الأرضية وكيف كثرت أشكالها الى ما يتناهى مع أن العناصر في الأرض محدودة
محصورة وإن هذا بعينه يشبه اللغات واشتقاقها من أصول قليلة وهي الحروف التي هي
عبارة عن تنوع التنفس ثم نذكر نظام الأمم وأن النسخ في شريعتنا من مقتضى
النظام في السموات والأرض ونوقفك على ما لم تقف عليه في كتاب ان شاء الله تعالى
وها نحن شارعون في المقصود بعونه تعالى فنقول :

الكلام على النفس

وقوله تعالى (وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ)

النفس الانسانية سر مكنون وطلسم مكتوم لشدة ما اعتاصت مع اتجاه العقول اليها ولطالما تباعدت مع كثرة تطلبها حتى تشعبت فيها الآراء وظنت بها الظنون

هنالك ابتلى الحكماء في الاعصر الغابرة والحاضرة وزلزلوا زلزالاً شديداً

سر تنزل من سرادقات العظمة والجلال والكبرياء والجمال والبهاء والنور الى دركات هذا الهيكل الجثماني انعلم ما في هذا الكون الشاسع من الصور والحكم والبدائع ثم ترجع الى عالمها الاصلى (لكل نبياً مستقرّ وسوف تعلمون)

فكيف يصل الانسان لسرها أو يكتنه كنهها وكم لها من عجائب حار فيها أولوا النهى وما أشبهها بالملوك في رعاياها تأمر وتنهى وتقضى وتحكم فاذا رأيت ثم رأيت ملكاً استوى على عرش هذا الهيكل الجثماني فنظر في العوالم المحيطة به واستخدمها فيما يرام ملائماً لطباعه وبعبارة أوضح ان الانسان اذا أراد الغلبة على عدوه مثلاً تشكل العالم أمامه في نفسه على حسب طبعه فان رأى الحديد لم يخطر بباله إلا القتال به أو الخيل تصور كرها وفرّها أو الصديق ذكر اعاتته وهكذا وهذا غير نظر ذوى الشهوات والنفوس البهيمية وكلاهما مغاير لنظر الحكماء والعلماء

من العجيب انك ترى كل ما تقع عليه حواسك ينجى ضميرك بما هو غالب فالعاشق يذكره كل شيء بمشوقه حتى كأنه ارتسم شكله على صحائف الوجود والخائف يرتاع من كل ما يرى ويسمع كأن عدوه حاضر في كل مكان حتى قال الشاعر العربي

فانك كالليل الذي هو مدركى وان خلت ان المنتأى عنك واسع

وما أحسن ما جاء في التنزيل الالهى (وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَافُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ) فضيق الأرض نشأ

من ضيق النفوس بما استولى عليها من الأسف والغم قال الشاعر العربي :
لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها ولكن أخلاق الرجال تضيق
وقلت

إذا لم تسعك النفس فالكون كله وآفاقه للجسم أضيق من قبر
وفي الفكر نيران وفي الفكر جنة وما أكثر الآلام إلا من الفكر
فإذا سرت النفس رأيت العالم كله أمامك كأنه باسم فانشرحت العوالم لا تشرحك
وهذا كله يشهد به الوجدان فكان كل شيء خط عليه بقلم طبيعي
بشرى فقد أنجز الاقبال ما وعدا وطالع السعد في أفق العلا صعدا
فياسبحان الله ما هذه الاعاجيب . ما هذا التشكل والنفس واحدة والعالم لم تتغير
صوره مع سرعة هذا التبدل النفسى . فالعالم كأنه نموذجها ولوحها وموضوع سرها
ومناط فهمها ومرمى سهامها . ألم تر كيف ذكرت بعد الشمس وما عطف عليها في
قوله تعالى (وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَاها وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّاهَا وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا
وَالسَّمَاءُ وَمَا بَنَاهَا وَالْأَرْضُ وَمَا طَحَاهَا وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا) فتأمل كيف ذكرها بعد
ذكر هذه العوالم السماوية والأرضية والمضيئة والمظلمة والشريفة والخسيسة والعالية
والسافلة إذ هي لها كافة الأشكال المضارعة لما قبلها (صنع الله الذى أتقن كل شيء)
ولذلك أعقبها بقوله (فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا) فالفجور يجمع كل طريق إلى الشرور
والرذائل والتقوى يجمع كل طريق إلى السكال قال تعالى (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) أى
طريقي الخير والشر ثم أعقب ما ذكره بما ينشأ عن الفجور والتقوى فقال (قَدْ أَفْلَحَ
مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا) أى فاز من طهرها وخاب وخسر من دسها
ودنسها بالذنوب والشهوات التى تتبعها الجهالات فانظر فى هذه الآيات وغرابها ونظامها
وتركيبها وحسن نسقها وتأمل كيف كان القرآن يطابق ما فى الوجود والوجدان ولذلك
كان هذا الدين دين انعطرة فقد قرر الحكماء ان النفس الانسانية نتيجة هذه العوالم
كلها وسرها فذكرت فى هذه السورة عقبها ومدح من أكرمها وذم من أنزلها فى
الحضيض وأهانها بالجهل والذنوب

إذا ما هان امرؤ نفسه فلا أكرم الله من يكرمه

ولذلك أجمعوا على أن الإنسان لا يتم كماله في هذا الوجود إلا بتحسين أخلاقها أولاً وتحليتها بالعلوم ثانياً فأما التهذيب فهو مستفيض في القرآن لاسيما في سور الأنفال والتوبة والأحزاب ولقد كان سيدنا عمر رضى الله عنه يأمر بتلاوة وحفظ هذه السور الثلاث والعمل بها ومن تصفح القرآن وجد فيه نحو ألف آية تعد المؤمنين وتوعدهم وتنذر الكافر والمنافق إذ الإيمان صفة تجمع كل كمال اعتقاداً وعملاً والكفر ضدها كما ذكره في اخوان الصفا

وهكذا ترى التهذيب مستفيضاً في الحديث وكتب علوم الأخلاق كالأحياء وتهذيب الأخلاق وبداية الهداية ومنهاج العابدين .

ونحن باحثون بعون الله على بعض ما في هذه النفس من العلوم لنتحقق ما قاله أكابر الحكماء ونفهم رمزهم بأنها كالورد والعلوم كماء فيها كامنة فلقد كنت أسمع هذا الكلام وأصدقه تقليداً أما الآن فاسمع البيان

لقد علمت أن العلوم كامنة في النفس حقيقة وأن التعليم والتفهم إنما يخرج ما كن فيها كما يستخرج ماء الورد منه والماء من الآبار في الأرض والكهرباء من كل معدن ونبات والذرة من الحجر بالاحتكاك ومن الشجر اليابس بالعرك ومن الأخضر في شجر المرخ والعفار المذكورين في التفسير من أشجار بلاد العرب قال تعالى (الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقِدُونَ) وقال (أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ)

وهأنحن نبتدىء في شرح استخراج العلوم من نفوسنا فنقول

« كيف كمن علم الحساب في النفوس وعرفه الإنسان »

كل منا يعرف الأعداد ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ وهكذا

هذا أمر مستقر في فطرنا نعم وقوف العد عند حد مخصوص كعشرة ومائة

وَأَلْفَ وَهَكَذَا . إِنَّمَا جَاءَ مِنْ اخْتِرَاعِ الْبَشَرِ لِمُنَاسِبَاتٍ ظَهَرَتْ لَهُمْ
ثُمَّ إِنَّ فِطْرَنَا شَاهِدَةٌ أَنَّ الْعَدَّ لَا يَقِفُ عِنْدَ حَدٍّ كَالْفَرَاغِ الْحَيِيطِ بِنَا فَلَا نِهَآيَةَ لَهُ
وَكَالدَّائِرَةِ مِمَّا صَغُرَتْ أَوْ كَبُرَتْ فَإِنَّكَ مِمَّا دَرَّتْ عَلَيْهَا أَوْ دَارَتْ هِيَ فَلَا نِهَآيَةَ لَهَا .
إِذَا لَمْ نَعْتَبِرْ مِنْهَا مَحَلًّا مَبْدَأً وَمِنْ الْعَجَائِبِ أَنَّ جَمِيعَ الْآلَاتِ الْبَخَارِيَّةِ الَّتِي عَلَيْهَا مَدَارُ
حَيَاتِنَا لَهَا عَجَلَاتٌ تَدُورُ إِلَى مَا لَا يَتَنَاهَى كَأَنَّهَا تَمَثَّلُ حَرَكَاتِ الْإِفْلَاقِ وَكَوَاكِبِهَا إِلَى
مَا لَا يَتَنَاهَى وَهَكَذَا أَرْضُنَا الَّتِي نَحْنُ عَلَيْهَا فَكَمَا أَنَّهُ لَا آخِرَ لِدَوْرَانِهَا كَذَلِكَ لَا آخِرَ لِحَرَكَةِ
مِنْ دَارِ عَلَيْهَا فَإِنَّهُ لَوْ دَارَ عَلَيْهَا أَلْفَ سَنَةٍ لَمْ يَجِدْ لَهَا آخِرًا وَالدَّوَائِرُ لَيْسَ لَهَا أَوَّلٌ وَلَا آخِرٌ
وَهَذَا هُوَ السَّرُّ فِي قَوْلِ الْعَامَّةِ الدُّنْيَا لَا آخِرَ لَهَا وَلِعَمْرُكَ كُلُّ هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ خَالِقَ
هَذَا الْكَوْنِ لَا نِهَآيَةَ لِكَمَالِهِ إِذْ جَعَلَ عَدَمَ التَّنَآهِى فِي أَبْسَطِ الْأَشْيَاءِ لَدَيْنَا فَكَانَ هَذَا
جَمِيعُهُ ضَرْبُ أَمْثَالٍ لَنَا (وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (وَتِلْكَ
الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ) فَانْظُرْ كَيْفَ ظَهَرَ عَدَمُ التَّنَآهِى فِي
الْعَدَدِ الَّذِي فِي فِطْرِنَا وَلَمَّا نَظَرْنَا هَذِهِ الْكَائِنَاتِ وَجَدْنَا التَّكَرَّارَ بِلَا نِهَآيَةَ مَعْلُومَةٍ فِي
كُلِّ شَيْءٍ . حَيْثُ جَعَلَ الْعَالَمُ كُلَّهُ دَوَائِرُ تَدُورُ بِلَا نِهَآيَةَ وَإِذَا كَانَ هَذَا الْعَالَمُ الْحَادِثُ
بِهَذَا الْوَصْفِ الْعَجِيبِ فَمَا بِأَلَكِ بَيْنَ فِطْرِهِ أَيْ كَوْنِ مَخْلُوقِهِ بِوَاحِدٍ وَهُوَ لَهُ حَدٌّ تَعَالَى اللَّهُ عَنْ
ذَلِكَ . ثُمَّ إِذَا أَخَذْنَا نَجْزِي الْوَاحِدِ لِنَأْخُذَ كُسُورَهُ لَمْ نَجِدْ لَهُ نِهَآيَةَ كَمَا يَجْزَى . الْكِيَاوِيُونَ
الشَّيْءَ إِلَى أَجْزَاءٍ بَعْدَ أَجْزَاءٍ فَالْعَقُولُ لَا تَقِفُ عِنْدَ حَدٍّ فِي الْقِسْمَةِ وَإِنْ وَقَفَتْ قِسْمَةُ
الْكِيَاوِيِينَ فَلَا نِهَآيَةَ لِلْأَجْزَاءِ الَّتِي يَجْزَأُ مِنْهَا الْوَاحِدُ كَمَا لَا نِهَآيَةَ لِمَا تَرْكَبُ مِنْهُ مِنَ الْأَعْدَادِ
الصَّحِيحَةِ

وَلْيَلِاحِظْ أَنَّهُ عِنْدَ أَخْذِ الْكُسُورِ يَكُونُ الْوَاحِدُ الْمُنْقَسِمَ غَيْرَ حَقِيقِيٍّ بَلْ هُوَ مَجَازِيٌّ
وَإِلَّا لَمْ يَنْقَسِمْ فَهُوَ مُرَكَّبٌ مِنْ أَجْزَاءٍ كُلِّ مِنْهَا وَاحِدٌ وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ غَيْرُ وَاحِدٍ وَلِذَلِكَ
نَقُولُ عِنْدَ التَّجْزِئَةِ وَاحِدٌ مِنْ أَثْنَيْنِ وَاحِدٌ مِنْ ثَلَاثَةٍ وَاحِدٌ مِنْ أَلْفٍ فَبِهَذَا عَرَفْنَا أَنَّ الْوَاحِدَ
تَكُونُ مِنْهُ الْأَعْدَادُ صَحِيحُهَا وَكُسُورُهَا أَمَّا الْكُسُورُ فَقَدْ عَرَفْنَاهَا وَأَمَّا الْأَعْدَادُ الصَّحِيحَةُ
فَبِإِضَافَةٍ وَاحِدٍ إِلَى وَاحِدٍ يَصِيرُ أَثْنَيْنِ وَبِإِضَافَةِ ثَلَاثٍ إِلَيْهِمَا يَصِيرُ ثَلَاثَةً وَهَكَذَا فَالْوَاحِدُ

يعد جميع الأفراد زوجها وفردا وأما الاثنان فلا يعد إلا الأزواج وهي نصف العد وثلاثة تعد الثلث وأربعة تعد الربع وهكذا فلكل واحد من الاعداد جميعها خاصة لا يشركه فيها سواه وخاصة الخمسة أنها تبقى ظاهرة حافظة ما قبلها مهما ضربت في نفسها وفي جميع مكرراتها وهكذا الستة إلا أنها لا تحفظ مراتب ما قبلها في جميع أدوار الضرب كالخمس وإنما تحفظ نفسها فقط أما قولنا أن الخمسة تحفظ مرتبتها ومراتب ما قبلها فأنها بضر بها في مكرراتها تكون هكذا :

٢٥
١٢٥
٦٢٥
٣١٢٥
١٥٦٢٥
٧٨١٢٥
٣٩٠٦٢٥
١٩٥٣١٢٥

وهكذا نرى الأحاد والعشرات محفوظة دائماً والمئات تتغير بانتظام وتدور ما بين ١٠٠ و ٦٠٠ كما هو واضح وأما ستة فأنها هكذا :

٣٦
٢١٦
١٢٩٦
٧٧٧٦

فإنها لم تحفظ إلا نفسها وترك ما قبلها فلكل عدد خاصة لا يشركه فيها سواه كما أن لكل جماد ومعدن وحيوان وإنسان خاصة لا يشركه فيها سواه بخواص تركيبه فلا فرق بين تركيب في ذهن الإنسان وتركيب في خارج عنه . وهذا هو الذي دعانا إلى الكلام على الأعداد وجعلها أس كتابنا هذا فأنك ستطلع إن شاء الله تعالى على عجائب مدهشة وتنظر في الفلك وحسابه والنظام الكوني وعشق النفس للموسيقى

وانتظام النبات والأزهار وصفوف الجند والهندسة وتعلم كيف تفرح للأشكال الجميلة وتنقبض لضدها (وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ) وان ذلك منطوق في نفسك (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا) فاصبر نفسك معى بالعداة والعشى في هذا المقام ليسهل عليك ما يأتى وتطلع على حكم باهرة ويكون هذا تأسيساً لما يأتى من تفسير (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَالْوَأْنِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ) فنحن في هذا الكتاب انما نخطب العالم لا العالم بفتح اللام إذ يكفيهم النظر الظاهر ولهم يقال (أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ) ونذكرهم بذلك تذكيراً كما أوضحناه في أول كتاب في هذا الشأن وهو جواهر العلوم . . أما أنت أيها العالم الذكي فهالك وأصغ الى ما أقول . من خواص عدد ٦ انه يقال له تام أى ان أجزاءه تساويه فله نصف وثلث وسدس وهى عين الستة ومن خواص عدد ٨ انها أول عدد مكعب زوجى وأما أربعة فمربع لاغير فانظر ألهمك الله العلم كيف تتبع العلماء الأعداد المركوزة فى فطرة الانسان ودونواكل مارأوه لها من الخواص فى فن الارتماطيقى أى علم خواص الأعداد على هذا النمط ومن خواص عدد ٩ انه أول عدد فردى مربع ولما كانت الاحاطة بخواص جميع الاعداد أو كثير منها لا يمكن ولا يليق بهذا الكتاب الذى هو فى الحكمة العالية حسن أن نذكر الخاصة المشتركة بين جميع الأعداد وهى ان العدد يساوى نصف مجموع حاشيتيه القريبتين أو البعيدتين مثلاً ٥ يساوى نصف (٦ + ٤) أو (٧ + ٣) أو (٨ + ٢) أو (٩ + ١)

الفصل الثاني

﴿ أقسام العد ﴾

ومن لطائف هذا العلم ان العدَّ على خمسة أقسام الأول طبيعي فيقال (٦٥٤٣٢١)
٩٨٧) وهكذا . الثاني على طريق الأزواج فيقال ٨٦٤٢ . وهكذا . الثالث على طريق
الافراد فيقال ٩٧٥٣١ وهكذا الرابع طريق الطرح والخامس طريق الضرب أما الطرح
والضرب أى التفريق والجمع فأمرهما مشهور فى علم الحساب ولكن لا بد لنا من المناع
يسير اليهما مما يناسب ما نحن فيه فنقول

ما أفرح النفوس الانسانية بالحقائق وما أبهجها بها وما أطربها اذا قارنت العالم ببعضه
بعض فرأته مطردا على وتيرة واحدة ونهج لا يتغير فانظر كيف ترى أن أحوال هذا
العالم إما اجتماع أو افتراق حتى جعل لكل حيوان قوتان احدهما للجمع وهى الشهوة
والثانية للتفريق وهى الغضب تدفع المتنافر وهكذا فى الكون ظلام لجمع البصر وحبه
ونور لتفريقه وفيه الحار والبارد والرطب واليابس والعالى والسافل والأرض والسماء
والأملس والخشن والحسن والقبيح والذكر والأنثى وهكذا كل متقابلين فتأمل
فى الحساب الذى كان مبدأ الأشياء كلها كيف كانت جميع مسائله ترجع الى أحد
شيئين اما ضم أو تفريق فالضم بالجمع والضرب إذ الضرب عبارة عن جمع تكرر ،
واخترع الانسان بفكره طريقاً له لتسهيله والتفريق بالطرح والقسمة اذ القسمة طرح
تكرر بطرق اخترعتها العقول جيلا بعد جيل فالضم والتفريق فى الحساب قد أشبهها
الشهوة والغضب والحسن والقبح والظلام والنور وهكذا فكما اختلفت طرق الحساب
والرجع الى هذين الاصلين اختلفت طرق المظاهر الكونية ولم ترجع جميعها الا الى
هذين الاصلين وهذا تشهد له غرائز العقول فجاء الكون مطابقتها (تَبَارَكَ الَّذِي
بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ) فالوت قبض

الروح عن البدن والحياة جمعها وللكواكب افتراق واجتماع وللعناصر كذلك فباجتماع الماء مع تراب الأرض تخضر الاشجار وتزهر وتثمر وبالاftراق المعبر عنه بالدبول تتفرق الأجزاء منها وتنحل روابطها وهكذا . أما العد الطبيعي فيمكن جمعه بطريقة بسيطة جدا وهي من لطائف الحساب فاذا قيل لك اجمع من ١ الى ٢٠ مثلا تزيد على ٢٠ عدد (١) وتضرب الناتج في نصف العشرين وهو ١٠ يكون الناتج هكذا ٢١٠ وهذه صورته $٢١٠ = ١٠ \times ٢١$ و $٢١ = ٢٠ + ١$

ولو قيل اجمع من واحد الى أربعة كان الناتج ١٠ والحل هو $١ + ٤ = ٥$ و $١٠ = ٢ \times ٥$

واذا قيل اجمع من ١ الى ١٠٠٠ فالحل هكذا $١٠٠٠ + ١ = ١٠٠١$ و $١٠٠١ \times ٥٠٠ = ٥٠٠٥٠٠$ وهكذا في باقي جميع ما يماثل ذلك . وأما العد على طريق الأزواج فقاعدته أن تأخذ النصف وتزيد عليه ١ ثم تضربه في النصف وتزيد على حاصل الضرب ١ مثال ذلك

اجمع من ١ الى ٦ على طريقة الأزواج تقول نصف الستة ٣ زائد ١ يكون الناتج ٤ و $٤ \times ٣ = ١٢$ أى نصف الستة يكون الناتج ١٢ و $١٢ + ١ = ١٣$ وهو العدد المطلوب واذا قيل اجمع من ١ الى ٢٠٠ على هذه الطريقة وهي طريقة الأزواج يكون الحل هكذا

$$١٠١ = ١٠٠ \times ١ + ١ = ١٠١ \text{ و } ١٠١٠٠ = ١٠١٠٠ + ١ = ١٠١٠١ \text{ وعلى هذا فقس}$$

وأما جمع العوامل على طريقة الافراد هكذا ٩٧٥٣١ الخ فتضرب نصفه بعد جبره في نفسه فحاصل الضرب هو المطلوب

مثال ذلك اجمع من ١ الى ٧ على طريقة الافراد

فخذ ٥ ر ٣ واجبرها تصير ٤ واضربها في نفسها هكذا $٤ \times ٤ = ١٦$ وهو

العدد المطلوب

وإذا قيل اجمع من ١ الى ٩٩٩ بالطريقة المذكورة تقول (٥٠٠) و ٥٠٠ ×
 ٥٠٠ = ٢٥٠٠٠٠ وهكذا

إعلم أن العد على طريقة الأزواج هي طريقة الشطرنج فتقول ٨٦٤٢١ وهكذا
 الى ٦٤ وإن شئت فزده الى مالا يتناهى ، ومن خواصه القريبة ان حاصل ضرب
 الطرفين يساوى حاصل ضرب الوسطين فـ $٦٤ = ٦٤ \times ١$ يساوى ضرب الوسطين
 وهما ٨×٨ أو ١٦×٤ أو ٣٢×٢ فإن كان له وسطان ضربا نحو العددين ١ و ١٢٨
 فإن $١٢٨ = ١٢٨ \times ١$ والوسطان $١٦ \times ٨ = ١٢٨$

دقائق من خواص علم الحساب والارتماطيقى غير ما تقدم

ولاذكر شذرات من الارتماطيقى فأقول منها الكسر الدورى وهو الذى يتكرر
 فيه رقم ١ أو عدة أرقام نحو $\frac{1}{7} = ٠.١٤٢٨٥٧١٤٢٨٥٧$ ونحو $\frac{1}{9} = ٠.١١١١١١١١١١١١$
 وهكذا فالدور هو المتكون من الأرقام التى تتكرر والمثال
 الأول كسر دائر مركب والثانى بسيط . ومنها ان خواص العدد فى التربيع هو ان
 الفرق بين مربعي عددين صحيحين متواليين يساوى ضعف أصغرهما زائداً واحداً فالفرق
 بين $١٠^٢$ و $١١^٢$ هو $١٠ \times ١٠ = ١٠٠$ و $١١ \times ١١ = ١٢١$ والفرق بين $١٠^٢$ و $١١^٢$ هو
 $١٠٠ + ١٠ = ١١٠$ وهو المطلوب والفرق بين $١١^٢$ و $١٢^٢$ هو $١٢١ + ١١ = ١٣٢$ وهو المطلوب
 $٩ = ١ + ٨$ و $٨ = ٢ \times ٤$

ومربع مجموع عددين يساوى مجموع مربعي هذين العددين زائداً ضعف حاصل
 ضربهما فمربع مجموع ٤ و ٥ هو ٨١ يساوى مربع الأول وهو ١٦ زائداً مربع الثانى
 وهو $٢٥ + ٤ \times ٥ = ٨١$ فالجـمـوع ٨١ وهو المطلوب

وإذا قسم عدد إلى قسمين فإن ضرب أحد القسمين فى نفسه ثم ضربه فى القسم
 الآخر يساوى ضرب ذلك القسم فى العدد الكلى مثلاً ١٠ فلنقسمه الى قسمين ٧ و ٣
 فبضرب ٧ فى نفسها يكون ٤٩ و بضرب ٣ × ٧ يكون ٢١ فالجميع ٧٠ وبضرب
 $٧٠ = ١٠ \times ٧$ وهو المطلوب

فانظر رعاك الله كيف استخرج العلماء قديما وحديثا والحكماء بأرائهم الثاقبة ما استقر في فطرة الانسان ودونوه في كتبهم ومأهم الا مترجمون عن الفطرة الانسانية التي فطر الله الناس عليها لا تبديل لخلق الله وهكذا وصلوا من صغار المسائل الى كبارها حتى اعتلوا الى نهاية ما يستغرب من الجبر الذي يستغنى فيه بالحروف عن الاعداد ووضعوا جداول اللوغاريتمات ولست بمطيل الكلام في إيراد مثل هذه المسائل الحسابية والقواعد فانها مستفيضة في الكتب شائعة وانما الذي يحق لي التنبيه عليه كما قدمنا أن لكل عدد خواص لا يشاركه فيها سواه مهما كثرت أنواعه وتشعبت فروعه ووصل إلى ما لا يتناهى حتى كان هذا العالم كله مبنيا عليه.

فكما كان هذا في فطرنا ثابتا بخواصه وأشكاله وأحواله هكذا رأينا خالق هذا العالم أبرز مصنوعاته في قوالب لكل مصنوع منها شكل وخاصة لا يشترك فيها معه سواه فكان ما نشاهده ملائما لما في فطرنا فاذا رأينا مسألة غريبة حسابية طرنا بها فرحا كمسألة الشطرنج التي سنذكرها وهكذا اذا رأينا شيئا بهجا من غرائب الصنع حصل لنا مثل ذلك الفرح ومثلهما حسن النغمات الموزونة فما اتقن هذا الصنع ولذلك نرى آيات القرآن مشحونة بذكر الحساب حتى اذا قرأت سورة الرحمن رأيت أول تعداد النعم ذكر الحساب مع الشمس والقمر ثم أتبعها بذكر النعم في الدنيا والآخرة إذ قال (الشمس والقمر بحسبان) أى يجران بحساب (والنجم والشجر يسجدان والسماء رفعها ووضع الميزان أن لا تطغوا في الميزان) إلى آخر السورة فيا عجبا لهذه السورة كيف ابتدئ فيها بسير الشمس والقمر بحساب وذكرت جميع النعم بعدها وبين كل نعمتين يقول (فبأى آلاء ربكمما تكذبان) أى بأى نعمة تكذبان أيها الأنس والجن فذكر فيها عالم الكواكب والنبات والحيوان والانسان والجنان والنييران بالنعم والعذاب مع ذكر الميزان الذي قامت به السموات والأرض وهو الذى ألفنا أجله كتاب ميزان الجواهر

فانظر أيها الأخ معى في ترتيب سورة الرحمن فانك لو تأملت هذا السر الغريب

وهو تقديم الحساب مع النيرين لهالك ما تعلم فان حركة الشمس والقمر عليها مدار
عالمنا الارضى والسحاب والماء والهواء وكل مولد من المولدات وأن جميع الأشياء
الأرضية وظلالها جارية على نسق تابع لهذا الكوكب الهائل العظيم ولذلك نستدل
بالمزاويل والظلال فيبحر من هدى بالشمس وأضاء بها فيها الحياة والعلم . ما أعظم هذه
الحيرة وما أدهش هذه الحكمة ولذلك أقسم الله بها في القرآن فقال (وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا
أَوَّالْقَمَرِ إِذَا تَلَّاهَا) إلى آخر السورة وهذا الذي ذكرناه هو الذي حل الأولين على
تدوين علم الأحكام وأخبارهم بالوقائع المستقبلية سواء صحت أم لم تصح إذ كل شيء في
العالم بمقدار (وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ عَالَمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ)
والحق أن هذا أمر حق ولكن السبيل الى معرفة تلك الأحكام مقطوعة والقول فيها
من باب الظن والرجح بالغيب فان صدق مرة كذب مرارا هذا وكأن الله عز وجل
يرينا أن كل شيء مما ذكر في العالم جرى بحساب منتظم واتقان غريب وسترده عليك
يات الحساب في هذا الكتاب مفرقة في مواضع شتى إن شاء الله تعالى مقرونة بالحساب
السارى في دوران الكواكب وانها جارية بنواميس لا تتعدها وانها كالسكر
الدائر البسيط والمركب اللذين ذكرناهما فيما تقدم فانظر كيف دارت هذه الأعداد
بحيث لم يكن لها حد تقف عنده وهذه أمور ثابتة في فطرنا سواء أوجد العالم المشاهد أم
لم يوجد فهذا نظام غريب من عالم الاعداد يدعو الى بذل الجهد في الاستطلاع حتى
يقول الفطن أليس هذا كله قائما بنفسى وهو عرض ومعلوم أنه ليس قائما بجسمى والا
لكانت الأجسام متساوية فيه وانما هو قائم بأمر مجرد وجودى الا وهو نفسى الباقية
التي تخالف عالم الأجسام بالتجرد إذ المدد لا يقوم بمعدود وإنما قام بجوهر وهو روحى

الفصل الثالث

(١) بدائع في الحساب (٢) الواحد الحقيقي والواحد المجازي

١ - بدائع في الحساب

اعلم أن كل إنسان يسر بمعرفته و يتهج بحسابه وهندسته وهكذا يشوقه ما يسمعه من عرائب العلم وتهش نفسه إليه وتطرب به وتعجب بحسنه إذا سمعه من ذوى الدراية والعلم ألم تر أنك إذا سمعت مسألة اليهودى لسيدنا على إذ طلب منه مخرج^(١) الكسور التسعة البسيطة وجوابه له بضرب السنة في الشهر في الأسبوع مما أوضحناه في كتابنا ميزان الجواهر وهكذا المسئلة المنبرية المشهورة إذ كان يخطب على المنبر وهو يقول ما معناه الحمد لله خالق السموات سبعا وله المآب والرجعى فقال له سائل ماتقول فى من مات عن أبوين و بنتين وزوجة فقال صار ثمن المرأة تسعا فإذا سمعت ذلك حصل لك باعث مستحث إلى العلم والفهم والعقل والبحث عن العلوم الكونية والعقلية فانظر كيف أدرك حساب الميراث والعول بأسرع من لمح البصر ، وتأمل كيف تتعجب إذا رأيت مسألة الرجل الحاسب الذى باع بيته الجميل بمبلغ ٢٥ فرنكا وشرط على المشتري أن يدفع له (سنتيما) يعنى جزء ١ من مائة جزء من الفرنك وهو أقل

(١) جاء رجل يهودى إلى سيدنا على كرم الله وجهه فقال ما العدد الذى يكون نصفه وثله ورابعة وخمسه وسدسه وسبعة وثمنه وتسعه وعشره أعدادا صحيحة فاجابه على الفور اضرب اسبوعك في شهرك فاحصل فاضربه في عدد شهور سنتك وهو المطلوب فاسلم اليهودى حين سمع هذا الجواب فان $٧ \times ٣٠ = ٢١٠$ و $٢١٠ \times ١٢ = ٢٥٢٠$ وهو العدد المطلوب ولهذا جواب آخر وهو ٧ و ٩ و ١٠ وهذه الاعداد الاربعة كل عدد منها فيه عين وتسمى (أربع عينات) وهذه المسئلة في الحساب هى مسألة المضاعف البسيط اه مؤلف .

من نصف مليم مصرى وفى ثانى يوم (سنتيمين) وفى ثالث يوم ٤ سنتيمات وفى الرابع ٨ سنتيمات وهكذا بطريق التضعيف إلى آخر الشهر فانظر إلى ما أخذه الحساب آخر الشهر أخذ الخمسة والعشرين فرنكا وزيادة ٧٣٧ ألف فرنك و ٤١٨ فرنكا و ٢٣ جزءاً من مائة من الفرنك فإذا رأيت ذلك هالك الأمر جداً وتعجبت كيف يصل ما هو أقل من نصف مليم بالتضعيف فى ٣٠ يوماً إلى هذا المبلغ المهول

٢- الواحد الحقيقى والواحد المجازى وفوائده اخرى

إن الواحد له الحكم الحقيقى وترتيب الأعداد ثابت فى نفوسنا كتحنيها إلى الأصوات اللطيفة .

اعلم أن الوحدة السارية فى هذا الكون كلها مجازية إذ كلها تنقسم . فالأمة تنقسم إلى أفراد والأفراد إلى أجزاء والأجزاء التى تقع عليها حواسنا لا تقف عنده فى القسمة عقلاً وكل ما يقبل القسمة فانه مركب من أجزاء ولا بد لها من مركب وصانع فان كان ينقسم أيضاً فهو منها فإذن لا بد أن يكون غير مركب وهو مانعنى به الواحد الحقيقى صانع هذه الوحدات كلها (أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ) وهو أسرع الحاسبين ولذلك ترى الواحد له الحكم على جميع الأعداد أزواجها وأفرادها وهذه الخاصة لا توجد فى غيره البتة ولعمري ما أشبه هذه الأعداد فى النفس بالموسيقى إذ هى مركبة من حركات صغيرة متتابعة متناسقة متلائمة عند جميع الأمم ولما كانت نفوسنا منطوية على النسق والترتيب والنظام التى عليها يدور الحسن والجمال حنت إلى الموسيقى عند سماعها وإلى النغمت وعشقت نظام العالم وقالت (سُبْحَانَكَ مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا) فجمال الأصوات ومحاسن الصور إنما هى مناسبات حسابية وهندسية ناسبت نفوسنا فحنت إليها وهكذا ترى نظام اللغات فى سجعها ونظمها والخطوط التى تحكيها والقواعد التى تنطبق عليها من نحو وصرف ومعان وبيان وبديع وهكذا

لغات العالم كلها بل لغات الطيور كلها لها طرق مخصوصة تظهر بملاحظتها وكل هذا العالم الذى نشاهده نسب هندسية وحسابية مشاكلة للحساب المنطوى فى نفوسنا وللموسيقى المودعة فيها فمرمى نظر الحكماء والعلماء أن يكون لهم فى كل نظرة فى الوجود لذة بإدراك دقائق معانيه الغريبة الملائمة طبعاً للنفوس الانسانية ولذلك كانت الكتب السماوية والنصائح الحكيمية من الأنبياء والحكماء والعلماء تذكرة لما انطوت عليه النفس فلذلك سمي القرآن ذكراً (مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ) واعلم أن الكائنات تذكرنا مافى نفوسنا من الجمال ولكن هذا يصعب على الناس فسهل الله تذكرهم بكتبه (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ) أى سهلناه لتذكروا فهل من متذكر يتذكر هذا القرآن يذكرنا العهد والميثاق الذى أخذ على الأرواح المفطورة على حب المعارف التى نهايتها صانع هذا الكون والأرواح غاية الابداع والاتقان فلا يلذ لها إلا ما فطرت عليه فمن ترك كمال نفسه انسدت عليه طرق الكمال وباء بالوبال وصار جاهلاً أعمى (وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى) قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تُنذَرُ وكذلك نُكَذِّبُ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى) فانظر كيف جعله ناسياً وجعل عدم الفهم اعراضاً عن الذكر

وانى ليعجبني ما يذكره علماءنا أن النفس إذا سمعت الموسيقى أو الألحان المطربة حصل لها طرب لأنه يذكرها العهد القديم وتحن إلى كلام الله تعالى الذى سمعته فى الأزل وهذا تمثيل فى غاية الغرابة والحسن ولا تظن أنى أبيع السماع مطلقاً وإنما له شروط فاطلبها من الأحياء وإيمانحن الآن فى مقام مباحج الكون ومحاسنه إذ النغمات فى الأصوات وهى منتظمة تحدث عند النفس شوقاً لأمر ربما لاتعرفه وربما خر الإنسان صعباً لأنه يعرب لها عن عالمها عالم الجمال والكمال ويشخص لها

نظام العالم المشاهد بتلك الحال الموزونة في أقرب من لمح البصر بخلاف هذا العالم فإن الطائفة تحتاج لطول زمن والنفس متى انحامت من هذا العالم تكون لذاتها سريعة لطيفة وأقرب شيء يمثلها هي الموسيقى وكان فيثاغورث يقول ان العالم مركب من الموسيقى وهو تعبير في غاية الجمال ومعناه أن المادة المشاهدة كل ما فيها حاصل بحركات موزونة فلكية ونظامات أرضية والمادة واحدة وهكذا الصوت واحد والألحان والحركات فيه تشبه حركات العناصر وامتزاجها شها تاما وهذا كله يشير إليه آية في القرآن وهي قوله تعالى : (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ) فذكر الألسنة ثم الألوان والأول يتضمن الصوت والثاني العناصر والاختلاف فيهما هو ما لا يتناهى من الصور ثم ان فيثاغورث لما أكثر من الرياضة قال وصلت إلى عالم الجمال والبهاء والصور الحسان والموسيقى ورأيت هناك ما يعجزنى عن التعبير مشيراً بذلك إلى الجنة وكان يدعو كثيرا إلى تصفية النفس وكان تلميذا سيدنا سليمان عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام وكان يقول ان الواحد أساس كل شيء فلو لا وحدة عناصر الجسم ما ركب الانسان ولو لا وحدة الأمة ما انتظم شملها وبقدر تمام الوحدة يكون حسن النظام وسنجد هذه الحكمة وحدها مقالا شافيا إن شاء الله تعالى ثم قال الوحدة سارية في كل شيء حتى أن العالم كله واحد لارتباطه كارتباط الجسد الواحد فالوحدة بها شرف العالم وتم نظامه مع أنها فيه مجازية فما بالك بالوحدة الحقيقية (وَإِنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى) ألا ترى رعاك الله الى ارتباط العالم بعضه ببعض بالجاذبية والاستضاءة فانك ترى أنه لو اختل كوكب عظيم عن مداره اختل النظام أجمعه كما قيل وقد أوضحنا ذلك في كتابنا ميزان الجواهر وأوضحنا فيه الكلام على قيام الساعة وما يقوله الناس فيه وترى الأرض تستقبل النور من الشمس لحياة ما عليها وكل هذا من وحدة نظام الكون ولما كان الحساب بهذه المثابة ذكر في كثير من آيات القرآن مقرونا بما في السموات والأرض والدنيا والآخرة فذكرة ذكره مع الشمس والقمر فقال (وَالشَّمْسُ

تَجْرِي مُسْتَقَرَّةً لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ
كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ) واكد ذلك على سبيل الايغال فقال (لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا
أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) فيا عجباً لقوم
لا يفهمون خطاباً (وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا) وقد ظهر الحق في رابعة النهار فاعتبروا
يا أولى الأبصار

لطائف ودقائق من الحساب والحكمة

يعجب الانسان ويتعجب بعلم الحساب ومسائله إذا حل دقايقه ووصل الى خباياه
وكائن من فني ملامح السرور واضحة على محياه اذا حل مشكلة من مشكلات علم
الحساب فيرى باسم الثغر منشرح الصدر فبالله ما هذا الوجدان الذي في نفوسنا وما
هذا العشق العجيب ولعلك تقول هذا من الأمور الغريبة في نفسها والنفس ميالة
بطبعها الى الغرائب إذ تمنح إليها وتأنس بها وتهش وتطرب بها فتفرح اذا علمت أنها
قدّرت على الأمور العظام فلذه العلم عالية قطوفها دانية لاتسمع فيها لاغية تقول نعم
هي لذة العلم كما قلت ولكن كيف تفرح النفس بما هو غريب عنها بل لا فرح إلا بما
يلائم ويستحيل أن يكون الفرح بما هو خارج عن النفس إذ لا يلائمها بل كما كان
أبعد عنها كانت أكثر نفوراً منه وهذا هو المنطبق على القضايا العقلية وانما الحقيقة
أن الحساب وغيره من العلوم أمور انطوت عليها نفوسنا ألا ترى أن المسائل الهندسية
من الخطوط والسطوح والاجسام أمور ثابتة في نفوسنا وهكذا المقالات الثمانية الباحثة
عن خواصها كما يعرفه من زوال الهندسة وهكذا علوم الاسان انما هي قواعد استنبطها
العقل على وفق ماجرت عليه الألسن وان كل ما جاءت به الشرائع موافق للعقول وان
خفي بعضه عليها لغموضه فبالله أي عقل لا يلائمه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
وترك الحقد والحسد والاتصاف بالبروءة والنجدة والشجاعة والعفة وعلو النفس والمعرفة
بالكون وخالقه وهذه هي التي جاءت بها الشرائع ونزلت من السماء (وَلِلَّهِ مَا فِي

السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ مَأْفِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا وَاللَّهُ مَأْفِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا) ، (وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا) فهذا الميثاق مأخوذ على كل فرد بشهادة الفطرة وإنما كان ظهوره في الأنبياء أشد فارتقى الى درجة الوحي ولولا ان كل فرد عنده أصل من هذا الميثاق تشهد به فطرته ما أرسل إليهم الأنبياء وكيف يرسلون بما لا تقبله فطرنا ويشير الى ذلك قوله تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ) واللسان وإن كان مراداً به اللغة فالمعاني أيضاً لها بها ارتباط فلا بد أن يكون في فطرتهم شعور بها لهذا اتفق الأنبياء جميعاً على دعوة واحدة (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوْحِي إِلَيْهِمْ إِنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فاعْبُدُونِ) ففوة الكمال الانساني ظهرت أشد ظهور في الأنبياء كما ظهرت شرور هذا النوع في قطاع الطريق والسارقين والجاررين والفراغة فما من قوة فيه إلا وظهر بها قوم من هذا النوع طهوراً تاماً فلولاً عموم الرؤيا في نوع الانسان إلا أفراداً قلائل أنكروها (بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ) ، (ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ) ما أمكن التصديق بالنبوة ونظير هذا في الشجر ترى شجرة الليمون ذات رائحة مخصوصة في سائر أجزائها إلا أنها تختلف ويكون تمام ظهور تلك الرائحة في ثمرها وهكذا جميع الأشجار فيها خواص تظهر في الأوراق والأزهار ظهوراً ضعيفاً وتمام الظهور في الثمر (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ) وإنما جعل لكل شئ غلب عنا وجهلناه نموذجاً نستدل به عليه حتى كان نوع الانسان كله ككنفس واحدة في أدواره من حيث البدو ثم التدرج في الحضارة لأنها كالفردي فهو طفل ثم شاب ثم شيخ وهذان طلسمان أيضاً لحال الحيوانات وترتيبها من ابتداء الحيوانات المائية الى عالم الانسان فالعالم كله ضرب أمثال بعضه ببعض (وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)

الحساب كامن في النفس والتعليم يظهره

قد ذكرنا أن جميع العلوم كالمئة في النفس فلنجعل الحساب محل تمثيلنا ونقول تصفح الحساب بابا بابا تجد مبنيا بعضه على بعض بحيث إن كل باب يحتاج لما قبله حتى تصل الى الأعداد البسيطة والتضاي الضرورية وكأن هذا من أوله الى آخره عرض قام بنفوسنا ومنها استنبط وظهر وأشرق كما أضاءت العين بنورها وانما نور العين تتضح به الأشياء الظاهرة المحدودة ونور العقل بالحساب تتضح به أشياء لا تنتهى ولا حد لها وهذا النور لا يقوم الا بوجود كما قام نور العين بوجود وهي الحدقة وذلك الموجود هو الروح التي لا تحس ولا ترى وانما قلنا ان الحساب أشرق من النفس لأنه نتيجة بحث العقلاء بعنايتهم لنفوسهم فوضعوا هذه القوانين ولم يكن لها مصدر الا نفوسهم فهي غريزة وفطرة منغرسه فيها ثابتة حقة فاذن ما فرح الانسان عند حل المسائل الا بنفسه وكأنه عاشق غاب عنه معشوقه ففرح بلقائه ولذلك ترى النفس عند سماع الأغاني تستشعر طربا وربما ذهلت لما تسمع بما يذكرها بعالمها المنتظم العجيب ولعلك من هذا شممت رائحة قولهم العلم كامن في النفس ككون ماء الورد فيه وهذا ضرب مثل صدر من العلماء فاذا قارنته بمثل ضرب به الحكيم العالم عجبت كل العجب بل يأخذك الاندهاش اذ مثل تلك القوة المودعة في هذا النوع واللطيفة القدسية الكامنة فيهم بالزيت الكامن في شجرة الزيتون وما أحسنه من تشبيه وما أجمله من تمثيل ألا ترى أن الزيت يوقد فيصير نوراً على نور فلذلك قال (يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ) فاذا طفت الاشجار جميعها لم تجد لهذه الفطرة المودعة فينا تشبيها أقرب من الزيت وأنت تعلم أن الطين لا يتقد ناراً فاذا ترقى الى عالم النبات استمسكت به وكانت أتم ظهورا في الاشجار الزيتية فاذا ترقى الانسان أشرق النور الأعلى على قلبه فظهر لك أن العالم ثلاثة أقسام طين لا يقبل ضوء أو نبات يقبل ناراً محسوسة تدوم في الزيتية منها وحيوان يقبل نورا عقليا ويكون اشراقه أتم في الانسان الذي كان أرقاه الرسل فتأمل كيف تدرج قبول الأنوار من أصغر مركب وهو النبات وأخذ في التدرج إلى

الحيوان فأدركه ادراكا عجيبا ثم وصل إلى الانسان وترقى فيه إلى الأنبياء فما أعجب هذا التقدير ولقد عجبت كل العجب عند كتابة هذا وحررت في تلك الحكمة الباهرة ثم أعرض ماشاهدت في هذا الكون على ماسمعه وانظر كيف يقول : (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ) وكذلك فَفَصَّلُ الْآيَاتِ وَعَالِمُهُمْ يَرْجِعُونَ) ثم أتبعه بقصة بلعام بن باعوراء الذي ترك الهدى فقال : (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ) فهذه الآية دالة على سريان فطرة العلوم والمعارف فينا سريان الزيت في الشجرة (وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ) (وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ) (مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى) هذا هو الحكم السارى في نوع الانسان ثم اشتد ظهوره في أفراد قلائل منه وكانوا هدى للناس وهم الأنبياء فتجسست هذه العلوم فيهم تجسما ظاهرا حتى انك تراهم يعلمون ولم يتعلموا ويخبرون بما كان وما يكون ويفهم عنهم الخالص والعام وقارن علوم الأنبياء بعلم الحساب متبصرا فعلومهم دفعية وهو تدريجي فتأمل قوله تعالى : (إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا)

فما أجمل العلم وما أحسن المطابقة بين هذا القول وذاك الفعل وبإسبحان الله ان هذا الكتاب المبين تضمن حكما باهرة وما أعجب هذا الملك والحكم السارية في العالم أمامنا وكيف ظهر النور في العوالم الثلاثة من أدنى درجة في النبات إلى أعلى الحيوان إلى الانسان إلى الأنبياء وكيف نبتهج نحن بالعرفة والعلم بهذا ولعمرك ما الحياة إلا حياة العلم والمعرفة والفهم مع تصفية النفس حتى تشرق فيها تلك العلوم وتزدان بها كما كان الانسان خلاصة هذا العالم فأشرق فيه النور بلا نار

صفاء ولا ماء ولطف ولا هوى ونور ولا نار وروح ولا جسم

الفصل الرابع

عجائب الموسيقى

اتفاق غريب وحادث عجيب

كنت مفكرا في أمر الأعداد والموسيقى فذهبت الى دار الكتب الخديوية ولم أكن أرتب أوقاتي في ذلك اليوم مصادفة فنظرت في كتاب من الكتب القديمة بلا قصد لأمر مخصوص فاذا فيه ذكر الموسيقى وكيفية تركيب الألحان من حركة وسكون وحركتين وسكون وثلاث حركات وسكون ويحصل من امتزاجها صور كثيرة وصلت الى ما وصلت اليه وهي جارية على نسب عجيبة منتظمة كآيات الشعر ولولا انتظام حساب الشعر وحساب الموسيقى ما استلذت بهما النفوس ثم قال الآلات الموضوعة لهذه الصناعة قصد الحكماء بها أمورا شريفة كالترغيب في الحروب فينشدون الأشعار التي استبدلها المسلمون بآيات القرآن كقوله تعالى (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون) فكانوا يقرءونها على نقرات الدفوف تشجيعا للفرقة وكالصلح بين المتباغضين والافراح في الولائم

وأثارة الاشجان أما الحكماء أنفسهم فقد كانوا يقرءونها في بيوت العبادات أمام الهياكل وهذا نص ما كانوا ينشدونه وهم يكونون على النقرات ياءيتها النفس الغائصة في قعر الاجسام المدلهمة وياءيتها الفرقة في ظلمات الاجرام ذوات الثلاثة الابعاد الساهية عن ذكر المعاد المنحرفة عن سبيل الرشاد اذكروا عهد الميثاق اذ قال لكم الحق ألتستبر بكم قلم بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إنما أشرك آبائنا من قبل وكنا ذرية جرمانيين في دار الغرور وضنك القبور اذكروا عالمكم الروحاني وداركم الحيواني في محكم النوراني وتشوقوا الى آباءكم وأمهاتكم الروحانيين الذين هم في أعلى عليين الذين هم من أوساخ الاجرام مبهزون ومن علامة الاجسام الطبيعية منزهون يادروا وتزودوا وارحلوا من دار الفنا الى دار البقا من قبل أن يبادركم الى هناك مكرهين محقورين غير مستعدين نادمين ثم قال وقد حرم في شريعتنا الاسلامية سماع الموسيقى نظراً لاستعماله في غير ماوضع له فانزلوه الى حضيض الشهوات والجهالات استنزلوه من معاليه وهذه عادة الله في خلقه جعل لكل زمان نظاماً خاصاً به فهذه الأصنام كماورد في الأخبار كانت صور قوم صالحين فتناسى الناس أصلهم وهجروه (ونسوا حظاً مما دُكرُوا به) فعبدوها فخرمتها شريعتنا وهكذا الموسيقى وضمت لأمر شريف في الأزمان السابقة فخرمتها فروع شريعتنا المفصلة في الكتب كالأحياء بشرائط وأحوال مخصوصة وابعادها في أحوال أخرى وانما كان تحريمها لاستعمالها في غير ما وضعت له ألا ترى أنه اذا انشد نحو هذا البيت عند السماع

ما جاءنا من أحد يخبرنا في جنة من مات أوفى نار

يدخل في قلوب السامعين الشك والارتباب أو هذا البيت

فخذوا بنصيب من نعيم ولذة فكل وان طال المدى يتصرم

يفرى بالمعاصي والمفاسد فياسبحان الله كيف أصبح المذكر بالنعيم ولذة الجنان ومعالي الأخلاق وحب مبدع هذا الكون مغرباً بالكفران والمعاصي ومساوى الأخلاق أما الحكماء فنظروا الى جميع لذات الانسان وقالوا انها ترجع الى الطعام والملابس

والتناسل فأما لذة المطاعم ونحوها فليست مقصودة لذاتها وإنما جعلت قاهراً يقهرنا على الأكل لنبقى أحياء وأما لذة التناسل فهل هي إلا قاهر لنا ومسيطر علينا لبقاء النوع الانساني لتعمر آجالنا ولو كانت أجسامنا باقية الى أمد الدهر وخلت عن التحليل الحاصل فيها كل لحظة لم نحتاج لهاتين الفعلتين ولم تخلق هاتان الشهوتان اللتان هما كالشرطى (الجندى الملازم) الأمر بالفعل لحقيقة هذه الشهوات جنود الله فينا تطالبنا بمصالحنا ونحن عنها غافلون فاعتبروا يا أولى الأبصار ومصدق ما قلناه انك ترى شهوة الغذاء تقل اذا شبع الانسان وهكذا اذا كبر في السن وهكذا شهوة التناسل بل ترى ذلك الجمال والحسن قد أصبح ذابلاً وجيد المحاسن عاطلاً كما تقدم العهد ودرجت الذرية في المهد واقلب حب الشهوات الى حب التربية المنزلية فكأن الله أيقظ نوع الانسان الى أن هذه ليست لذات حقيقية أتيت بها إليكم لتعيشوا وتذكرونى وإلا فلماذا أقلل محاسنكم اذا كبرت السن وهل انسخ آية الا وآتى لكم بخير منها وهذا أمر ظاهر جلى

ولعلك تقول كيف أتيت بعبارات المتقدمين فى الموسيقى واستدلت بها فى كلامك على أنه مذكور بالعهد القديم وهل يجوز التذكير بغير القرآن والسنة أقول لك اعلم أن شريعتنا الغراء جاءت مصدقة للكتب كلها قال تعالى (آلم الله لا إله إلا هو الحى القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس) فجعله مصدقاً لما بين يديه فمن ذكرناهم من الحكماء كانوا يحنون الى عالم القدس والجنة والبهاء والنور وهذا كتابنا الكريم نطق بالحق الموافق لما كانوا ينشدونه ويسبحان الله كيف كانوا ينشدون هذه الأشياء التى نزل القرآن بها بعد قرون كثيرة فانظروا كيف تطابقت الشرائع والفطر واتجهت عقول أكابر الأمم الى مقصود واحد وهو الاتجاه الى صانع هذا الكون

الفصل الخامس

في الكلام على الشطرنج

ومن الحساب ما يعد من قبيل الغريب المدهش الا ترى الى ذلك الحكيم صه
ابن داهر الهندي الذي اخترع الشطرنج الى الملك فقال له تمن فقال آتني أن تضع حبة
قمح في البيت الأول و٢ في الثاني و٤ في الثالث و٨ في الرابع وهكذا الى ٦٤ فسخر
الملك بهذا التمني وظن أن هذا يكفيه قدح من بر فلامه على ذلك وقال له اتسخر بي
فقال الحكيم اني تفكرت فلم أجد في منزلي برأ فتمنيت هذا ولكن آتني على الملك
ان يأمر بضبط الحساب فأمر الملك بذلك فأخبر أن ما في خزائنه ولا ما على الأرض
كلها من القمح يكفي فقال له الملك تمنيك أعجب من اختراعك. واعلم ان هذه
المسألة تحل بطرق أسهلها اللوغارتمات ويلبها أن يحسب الحب الى أن يصل الى جزء
من قدح مثلاً ثم تضاعف الى اتمامه وقد وضع حكيم الفرس النرد (الطاولة) في مقابلة
الشطرنج فجعله مثلاً للدنيا وأهلها فرتب افعه اثني عشر بيتاً بعدد شهور السنة والمهارة
ثلاثين قطعة بعدد أيام الشهر والفصوص (الزهر) مثل الأفلاك ورميها مثل تقلبها
ودورانها والنقط فيها بعدد الكواكب السيارة كل وجهين منها ستة الشيش ويقابله
اليك والبنج ويقابله الدوه والجهار ويقابله السيه وجعل ما يأتي اللاعب من النقوش
كالقضاء والقدر تارة له وتارة عليه وهو يصرف المهارة على ما جاءت به النقوش لكن
اذا كان عنده حسن نظر عرف كيف يتحيل على الغلبة وقهر خصمه مع الوقوف عند
ما حكمت به الفصوص وهذا هو مذهب الاشاعة ثم ان للزهر ست جهات كالست
الجهات في الدنيا وله ٢٤ زاوية سطحية نظير ٢٤ ساعة بالليل والنهار و٨ زوايا مجسمة
وهي أول عدد مكعب

لفصل السائر

في حساب بيوت الشطرنج

لقد تقدم كيف كانت حبة القمح بالتضعيف الى ٦٤ تصل الى مقدار لا يمكن تحصيله من مخازن الدنيا وذلك أن القمح بالتضعيف في بيوت الشطرنج يصل الى ١٨٤٤٦٧٤٤٠٧٣٧٠٩٥٥١٦١٦ أي ١٨ سنكيون و ٤٤٦ كترليون و ٧٤٤ ترليون و ٠٧٣ بليون و ٧٠٩ مليون و ٥٥١ ألف و ٦١٦ حبة قمح

واعلم أن كل ألف ألف تسمى مليوناً وكل ألف مليون تسمى بليوناً وهكذا فلا تلتبس عليك القراءة إن لم تكن قرأت الحساب الجديد وهنا مسألة لطيفة وهي ان مسألة التضعيف لها قاعدة غريبة وهي ان كل عدد مضاعف فيها يكون جميع المضاعفات قبله اذا جمعت تساوى ما فوقها إلا واحداً وتوضيحه ان ثمانية ضعف أربعة واذا جمعت ٤ و ٢ و ١ كانت ٧ وتضعيف ٨ هو ١٦ فاذا جمعت ٨ على ما قبلها بلغ ١٥ وهو أقل من ١٦ بواحد وقس عليه

وكيفية حسابه أن يكون البيت الأول ١ والثاني ٢ والثالث ٤ والرابع ٨ وهكذا فاذا بلغ ١٦ بيتاً كان القمح قدحا وهو ٣٢٧٦٨ حبة واذا بلغ ٢٠ بيتاً صار ١٦ قدحاً وهو الويبة والأردب ٦ وبيات واذا وصل التضعيف ٤٠ بيتاً صار مخزناً كبيراً (شونه) وهي $\frac{١٧٤٧٦٢}{٣}$ (أردباً) فاذا بلغ ٥٠ بيتاً صار مدينة وهي ١٠٢٤ مخزناً (شونه) فاذا بلغ ٦٤ صار ١٦٣٨٤ مدينة

وبالاجمال فالقمح يبلغ ١٦٣٨٤ مدينة وكل مدينة ١٠٢٤ مخزناً وكل مخزن $\frac{١٧٤٧٦٢}{٣}$ أردباً وكل أردب ٩٦ قدحاً وكل قدح ٣٢٧٦٨ حبة والحب كله نظمه بعضهم فقال

ان رمت تضعيف شطرنج بجملته :

واوا هه طعجَز مت زس ددحا

١٦١٦ ٥٥ ٧٣٧٠٩ ٤٤٠ ٦٧ ١٨٤٤

وهذا كله هو البيت الرابع والستون وما قبله جميعه فان أخذت نصفه كان مافي البيت الأخير وحده على حسب القاعدة المتقدمة وهو 9223372036854775808 وهذه المسئلة يسهلها عملية حساب اللوغارثم وهو أن تأخذ لوغارثم (٢) وهو 0.30103 وتضرب هذا اللوغارثم في الأس وهو 63 هكذا $0.30103 \times 63 = 18.96489$ ولما كان عادة علماء اللوغارثم أن يأخذوا ما يقابل الكسر ويجعلوا للصحيح أرقاما بمقدار العدد الصحيح بزيادة واحد وجب أن تأخذ العدد المقابل للوغارثم 0.96489 وهو 9223400000000000000 ونضيف له أصفارا حتى يكمل 19 رقما بقدر $18+1$ وعلى ذلك يكون هذا العدد هكذا 9223400000000000000 وهذا العدد بعينه هو الذي ذكرناه عن علمائنا رحمهم الله تعالى ولكن هنا في اللوغارثم تقريبا فقربت (٤) اه واتفقوا على ان واضع الشطرنج ومخترع هذه المسئلة هو صصه بن داهر الهندي الحكيم الشهير الى ملك الهند يليهيت أو بلبيت وهو من فضائل الهند الثلاثة وثانيها كتاب كليله ودمنة وثالثها أرقام الحساب العشرة المعلومة

تفصيل أوفى وإيضاح أبهى وأجمل في حساب الشطرنج نقلتها من كتاب أستاذنا المرحوم على مبارك باشا وزير المعارف المصرية قال مانصه المسألة الحادية عشرة من كتاب خواص الأعداد وهي متعلقة بحساب ما طلبه مخترع اللعبة المسماة بالشطرنج في نظير اختراعه إياها

رجل صنع شيئا نفيسا جدا لأحد الملوك وأراد هذا الملك مكافأته فأمره أن يطلب ما يريد واعد له بتنجزه وكان هذا الرجل عالما بعلم الأعداد فرأى أن طلب من الملك كمية من القمح تتحصل بأضعاف الحبة الواحدة ثلاثا وستين مرة على التوالي والمطلوب معرفة مقدار هذه المكافأة انما قبل الشروع في حل هذه المسألة نبدي بطريق

الاختصار ما كان من أمر الصانع والمالك حين تقديمه آلة الشطرنج فنقول
حكى الصفدى أنه لما اخترع ملك فارس اللعب بالرد (الطاولة) كان يفتخر
بذلك كل الافتخار فاخترع أحد علماء الرياضة ببلاد الهند ما هو أرفع من ذلك وهو
الشطرنج فلما أحضره بين يدى ملك الأقطار الهندية ورأى الملك حسن صنع ما أبداه
أمره بأن يطلب من المكافأة ما يتمناه مودنا له بتنفيذه واستيفائه وسر به سرورا زائدا
فما كان من هذا المخترع الا أنه اقتصر على طلب حبة واحدة من القمح فى مقابلة العين
الأولى من الشطرنج وحبتيْن فى مقابلة العين الثانية وأربعة فى مقابلة العين الثالثة
وهكذا الى آخر عين من الشطرنج وهى الرابعة والستون فغضب الملك أى غضب
بسبب هذا الطلب زعما منه أنه طلب واه قليل ليس فيه إجابة لمقتضى كرمه الجزيل
فأمر وزيره أن يعطى له ما طلبه فلما عمل الوزير حساب القمح لتنفيذ أمر الملك رأى
أمرا دهاه وذهب به السبب الى أقصاه وذلك أنه بعد عمل الحساب لم يرقط أن ما بأشوان
الملك وما بأشوان الأهالى من القمح لم يف بالمطلوب بل وما بقسم آسيا أيضا بحيث
لو جمع لم يأت قدر المطلوب فعاد الوزير وعرض هذا الأمر على الملك فأمر باحضار المخترع
وقال له اعلم أن الملك ليس فى تلك الثروة العظيمة وكثرة المال حتى يفيك بما اكثرت
فى السؤال الذى أبدى من شدة العجب لدى أكثر من اختراعك الشطرنج وتقديمه
بين يدى وقد أوردناه على وجه الاختصار وإلا فلا حاجة هنا لإيراد ما يصعب من تفصيل
كيفية الاختراع وإنما نستغل الآن بحساب مقدار الحب الذى طلبه المخترع المذكور
فنقول انه بعمل حساب هذه المسألة ترى أن الحد الرابع والستين من المتوالية التى
أساسها ٢ وحدها الأول الواحد هو ٨٠٨٥٧٧٥٨٠٨ ٩٢٢٣٣٧٢٠٣٦٨٥ ومن هذه
المتوالية التى أساسها ٢ وحدها الأول واحد يكون مجموع الحدود محصورا فى ضعف
الحد الأخير مطروحا منه ١ وحينئذ عدد الحب من صنف القمح اللازم لوفاء
حق المخترع كان هذا العدد وهو ١٦١٥٩٥٥١٧٣٧٠٧٣٧٠٤٤٦٧٤٤١٨٤ وبما أن الرطل
الواحد من القمح المتوسط الحبة والتنشيف يحتوى على ١٢٨٠٠ حبة تقريبا فيكون

السيستير الواحد يحتوي على ٣٠٧٢٠٠٠ فهو (٢٤٠) رطلا وباستيعاض هذا العدد بآخر تسهيلا للحساب وهو ٣١٠٠٠٠٠ وقسمة عدد الحب السابق المذكور على هذا العدد الأخير يكون خارج القسمة ٥٩٥٠٥٦٢٠٠٤٤٩٢٢ سيستيرا وهو مبلغ مالزم لوفاء ما وعد به الملاك

فاذا فرض أن فدان الأرض المزرع يتحصل منه خمس سيستيرات لزم لتحصيل مبلغ محصول المسألة المبين أعلاه في سنة واحدة مقدار ١١٩٠١١٢٤٠٨٨٨٤ فداناً أرضاً الذي هو قريب من ثمانية أمثال سطح الكرة بتمامه لأنه لما كان محيط الأرض ٩٠٠٠ فرسخاً متوسطاً أعني ٢٢٨٠ توازه في الدرجة الواحدة فيكون سطح الكرة بتمامه بما فيه سطح جميع أنواع المياه هو ١٤٨٨٨٢١٧٦٠٠٠ فدان من الأرض

وأما ما اعتبره (واليس) فهو خلاف ذلك الاعتبار فإنه على مقتضى حسابه رأى كمية القمح اللازم للوفاء بقدر صبرة مساحتها تسعة أميال انكليزي طولاً وعرضاً وارتفاعاً وهذا يقابل صبرة تعادل صبرة مساحة قاعدتها ثلاثة فراسخ فرساوية أو إلى صبرة على شكل متوازي السطوح قاعدته تسعة فراسخ مربعة وارتفاع فرسخ واحد والثلاثة آلاف توازه تساوي ثمانية عشر ألف قدم وهذا الجسم يكافئ لمجم آخر طوله ١٦٢٠٠٠ فرسخ مربع وارتفاعه قدم واحد ومن ذلك ينتج أن كمية القمح السابق ذكرها تشغل ١٦٢٠٠٠ فرسخ مربع وارتفاعه قدم واحد وهذا معادل بالأقل لمحيط بلاد فرانساً ثلاث مرات الذي لا يحتوي بالظن على أكثر من خمسين ألف فرسخ مربع وذلك من بعد كل نحر وتنقيص

وأما لو فرضنا أن السيستير الواحد ثمنه يستول واحد (أي قرش واحد اسبانيولي) كان ثمن مقدار القمح المبين أعلاه ٥٩٥٠٥٦٢٦٠٤٤٤٢٢٠ جنيتها الذي هو عبارة عن ٥٩٥٠٥٦٢ ميلياراً

الفصل السابع

في ان الشطرنج والرد قصد بهما ما هو ارقى من اللعب

اعلم ان الرد وضع وضعاً محكماً كما وضع الشطرنج فترى صاحب الشطرنج كل أفعاله بفكره وصاحب الرد تأتى له الأشياء بالقدر ثم يصرفها على حسب فكره فيشتقى تارة ويسعد أخرى فتأمل أيها الأخ بعقلك معى في أفعال النوع الانسانى من هندو فرس ثم قارن مذهبيهما بمذهبي أهل السنة والمعتزلة ثم أحيطك علماً بأن هذين المذهبين بعينهما ساريان الآن في أوروبا كما ذكره فتحنى بك زغلول في الكتاب الذى ترجمه عن هنرى الذى سماه خواطر وسوانح في الاسلام فانه أبان فيه أن هذين المذهبين قائمان الآن بين علماء أوروبا بل عندهم أيضاً المذهب الثالث مذهب الافراط وهو مذهب الجبرية فانظر كيف تشابهت الأفكار في النوع الانسانى وهذا ورنى من عجائب صنع الله تعالى (مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَافُوتٍ) فالعقائد لاتزال متشابهة (وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ) فما أجل العلم وما أله وما أمله وانظر أيها الأخ بعقلك السليم وفكرك الوقاد وقل لى بالله كيف توصل نوع الانسان إلى أن يمثل القضاء والقدر وفعل الله فى السماء والأرض فى هاتين اللعبتين وهما الشطرنج والرد وكيف وضعاً بأحسن وضع وأبهج شكل وحكمة واتقان وكيف مثلت العقائد فيهما ولعمري كم من لاعب بهما وهو كالخمار يحمل أسفاراً (بئسَ مثلُ القومِ الذينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) ثم كيف بنوا هذه الأعاجيب على حساب غريب سبحانهك اللهم لم تدر شيئاً فى ملكك إلا وجعلت فيه حكماً وأمثالا (وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ) ولقد ذكرنى هذا قوله تعالى (اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نَوْرِهِ كَمِثْقَا ذَرَّةٍ فِي بَعْضِ الْمَصْبَاحِ) في زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهُ كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا

غَرَبِيَّةٌ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) أراد الله أن يضرب لنا مثلاً يوضح لنا به فعله في ملكه وإتقانه في ابداعه فأبان لنا انه هو نور السموات والأرض مزينها بالكواكب المشرقة والعقول والأرواح والنفوس والنهار والنور والحكمة والنبوة والعلامات والالهامات وانه مرتب بأحسن ترتيب وأجمل ابداع كما توقد مصباحاً في زجاجة تستمد من شجرة من الزيتون معتدلة وزيتها يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار فكيف اذا مسته النار فانه يكون نوراً على نور وتلك الزجاجة تكون في مشكاة أى كوة مغلقة من الخارج لينحصر الضوء بها واذا استوفيت هذه الشروط كان نورها قويا جداً لاستيفاء جميع ما يقويه والأكثر كون على ان قوله مثل نوره أى في قلب عبده المؤمن وقوله نور أى نور العلم على نور أى نور النفس الناطقة وقد فسر هذا المقام الرئيس ابن سينا في رسائله وفي اشاراته بتفسير يرجع جميعه الى الروح ودرجاتها في العلم من الهيولانية التى هى للاطفال الى القدسية النبوية التى هى نور على نور ولقد أجاد الغزالي بعده في ايضاح هذا المقام وبالجملة فهذا ضرب مثل من الله لنا وأفهمنا به بعده (أَنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) ومنه ضرب الامثال فهكذا ترى أن النوع الانسانى حذا حذو خالقه في ضرب الامثال تبصرة وتذكيراً للعامة والخاصة لوقوفهم على الحقائق فى أبسط الأشياء لديهم وهى الألاعيب التى تقع فى أيدي الخاصة والعامة فياجهل قوم يلعبون ولا يفهمون ويقرءون نتيجة حساب الأيام والشهور والخسوف والكسوف الدالة على حكم عالية ولا يشعرون (أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) ، (وَكَايْنٌ مِنَ آيَةِ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ) وهم الذين يقال لهم يوم القيامة وعند الموت حين ينادون من يعرفونهم (أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبَشِّرَ الْمَصِيرُ)

ليس شئ إلا وفيه إذا ما قبلته عين البصير اعتبار

ايضاح لهذا المقام ازدياداً للفائدة وشرح أجلى

قلنا إن الحكيم الهندي صه اخترع الشطرنج لملك بلاده ليخرج أهل اللعب من عمية الجهل بلطف إذ كانت هذه اللعبة من جنس اللهو ولكن أراد أعلى من ذلك فيعلمون أن الناس ملكهم ووزيرهم وصعلوكهم يحوبون في العالم جوبة ثم يرجعون إلى الأرض كما ابتدؤا منها كما تخرج العناصر وتنفق الأجزاء من المولدات الثلاث ثم تنضم ثانية وذلك هو حال الشاه والفرس والفيل والبيدق تخرج إلى ساحة اللعب ثم ترجع والشطرنج كالدهر في ساحته يياض كالنهار وسواد كالليل وبؤس والخلائق تنفى جميعها وتحبى بعد الفناء وتبعث ثانيا

أنظر إلى لاعب الشطرنج يجمعها مغالبا ثم بعد الجمع يرميها كالمرء يكدر في الدنيا ويجمعها حتى إذا مات خلاها وما فيها وكان الملوك يشتغلون بلذاتهم وشهواتهم ويتركون دولهم وما لهم في عالم الآخرة فأراد الحكماء أن يلفتوا أذهانهم إلى كيد الأعداء والاحتراس منهم وإلى موالاة الأصدقاء وأن الملك لا قوة له إلا برجاله فاذا تركهم تركوه فأرادوا نقلهم مما هم فيه إلى الكمال والنظام بالحسن (إدفع بالتي هي أحسن) (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) ونحن أهل الشريعة الإسلامية أولى بمثل هذه الطريقة ولذلك دعونا في كتابنا هذا إلى الإيمان بطريق العلوم التي في أيدي الناس اقتداءً بنبينا صلى الله عليه وسلم في الدعاء إلى السبيل بالحكمة والحكمة أن يدعى كل عاقل بما يناسب طباعه (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه) ولا تتم الدعوة إلا إذا جاءت إلى المهندس من هندسته وإلى الطبيب من طبه وإلى الفلكي من فلسكه وإلى اللاعب من لعبه وإلى التاريخي من تاريخه وهكذا ولقد كانت دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذا النسق فقد دعا العرب وتحداهم بالفصاحة التي كانت منتهى إدراكهم وغالب اليهود والنصارى بما في كتبهم كافي قصة أصحاب السبت (واستلهم عن القرية

التي كانت حاضرة البحر (وقضية الملاعة في سورة آل عمران وكان يتحدى الجميع بالأخبار الغيب كما في قصة (الَمْ غُلِبَتِ الرُّومُ في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيفُجُوبُونَ في بَضْعِ سِنِينَ) وقد تم ذلك بعد سبع سنين وفرح المؤمنون بهذه المعجزة وغير ذلك وهكذا كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فلقد تحدى عيسى بالطب الذي كُنَّ أغلب علم على أهل زمانه وموسى بإبطال السحر الشائع عند المصريين وسليمان بالملك الذي هو أعظم مالمدي بنى اسرائيل فهكذا هذه الأمة يجب على علمائها أن ينظروا في العلوم من طريق النظر والبرهان ليظهر الحق للناس من طريق علومهم وإلا هلك الداعي والمدعوون أجمعون هذا . وكما وضع أهل الهند شطرنجهم ووضع الملك ازديشير (ازوشيير) النرد وهي الطاولة المعروفة وهو ابن بابك رأس الدولة الساسانية وأول ملوك فارس الأخيرة مدة تزدهد في آخر أيامه وسميت باسمه واختصر قليل نرد وكان ذلك من سنة ٢٢٦ الى سنة ٢٤٠ من الميلاد وقد جعل الرقعة لوحين تشبيها بالنيرين فيها ٢٤ بيتاً بعدد ساعات الليل والنهار وكل منهما ١٢ بيتاً بعدد الشهور والبروج الاثنى عشر مقسومة ٤ أقسام بعدد فصول السنة والمهاريك وهي القطع ٣٠ كالشهر والدرج الذي لكل برج ونصفها ابيض ونصفها أسود كالليل والنهار والفصوص (الزهر) كالافلاك ورميها مثل قلبها ودورانها الى آخر ما تقدم وهذا القول هو المعهود في الكتب ولكن عثر العلماء أخيراً على ان النرد أيضاً من صنع أهل الهند فاقرأه مفصلاً في كتابنا تفسير الجواهر في سورة الفرقان وقال بعضهم في النرد

وَمَحْكَمَانِ عَلَى النُّفُوسِ وَرَبَّمَا	لَمْ يَحْكَمَا فِيهِنَّ حِكْمًا عَادِلًا
أَخْوَانٌ قَدْ وَسَمَا عَلَى مَتْنِيهِمَا	سَمَةً تَحْتَ عَلَى الْبَلِيدِ غَوَائِلًا
فَإِذَا هُمَا صُطْحَبَا عَلَى كَفِّ الْفَتَى	ضَرَاهُ أَوْ تَفْعَاهُ تَفْعًا عَاجِلًا

لطيفتان

اللطيفة الأولى : في ضرب الأمثال والثانية في فوائد شتى . اللطيفة الأولى في ضرب الأمثال كما جعل النرد والشطرنج مضرب الأمثال هكذا جاءت الأمثال في محاوره بين ملك الروم والشعبى وفيها ذكر العدد والواحد

فطن حكام الأمم السالفة لحكم السموات والأرض وقيام العدل في النظام فافهموا الناس في أوقات لعبهم رموز الكون وحكمه وهكذا نسج على منوالهم علماءنا رحمهم الله تعالى ولا تلق على مسامعك حكاية عن الشعبى إذ أرسله عبد الملك بن مروان في وفد الى ملك الروم فسأله ملك الروم ان الله ليس قبله شيء فهل لهذا مثال في الدنيا فقال نعم الواحد أول الأعداد وليس قبله شيء فقال ملك الروم أهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يبولون ولا يتغوطون فهل لهذا نظير قال نعم الجنين في بطن أمه يتغذى من الدم بواسطة العرق المتصل بالسرة فلو بال أو تغوط لماتت أمه . فقال الملك يقولون ان نعم الجنان لا ينفد مع كثرة الأخذ منه فهل لهذا نظير في الدنيا فقال نعم السراج يوقد منه ألف سراج ولا ينطفىء فقال عجبت كيف لم يجعلك المسلمون ملكا عليهم فلما رجع الشعبى الى عبد الملك وجد القصة عنده بتمامها ثم قال عبد الملك انه قال لك كيف لم يجعلك المسلمون ملكا عليهم فقال نعم ولو رأيك لاحتقرنى قال الملك أفتردى لم قالها قال لا قال حسدنى عليك فأراد أن أقتلك فبلغ ذلك ملك الروم فقال والله ما أخطأ ما فى نفسى فأنظر كيف ذكر مثال كون الله ليس قبله شيء بالواحد إذ ليس قبله شيء (ان الله لا يستعجى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فأما الذين آمنوا فإعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا) عدد الواحد لا يخفى على أحد حتى الذين يسكنون في أطراف المعمورة من زنج أفرقية وشمال روسيا ومع ذلك ضرب المثل به لا يعرفه إلا أكابر العلماء ولا يخطر إلا لمن بلغوا النهاية في العلم ومن هنا نفهم أن العلم ظاهر في الفطر وأما المانع عنه انصراف النفوس لا غير وغفلتها واحتجابها بالشهوات واللذات والآلام والإكدار الدنيوية والذنوب لا غير

(ويقال في الحكم لولا ان الشياطين يحومون حول قلوب بنى آدم لنظروا الى ملكوت السموات) ولا يظن أن ملكوت السموات شيء يحس بالبصر وإنما هو فهم ماغاب عن الأبصار وخطر للعقول بالتبصر ولو كان من عالم الارض فكل محسوس فهو سفلى ولو كان في أعلى وكل معقول فهو عاوى ولو كان في أسفل فتأمل . وقد رمزوا لذلك بحكاية آدم وولده شيث وقول الأول لبنيه من برع في العبادة علمته الكيمياء فسبق الجميع فيها شيث فعلمها له في يوم واحد وقال قد علمت ان الذهب فيما ينبذه الناس في قماماتهم وما يدوسونه بأقدامهم ثم أعرض عن ذلك كله واستغنى بعبادة ربه فأريد بالكيمياء معرفة حقائق الموجودات ولما صفت النفس عرف أن أدق العلوم في أبسط المحسوسات وأقربها منالاً ولا ضرب لك مثلاً بما هو أقرب من ذلك . كلنا نرى البخار في قدور الطبخ كل يوم والكهرباء في أبي الرعاش (سمك بحرى) وفي الكهرمان أيضاً فلم يعرف هذه الأعاجيب الناجمة عنهما الاقدمون قبلنا فالمدار على الاستعداد للفهم أما العلم فهو في كل شيء فشكل ما وقعت عينك عليه ففيه آلاف من الحكمة (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)

اللطيفة الثانية

في فوائد شتى على الوحدة وما تفرع عنها

انى لأعجب جداً من هذه الحكم الباهرة التى ظهرت على يد الانسان حتى أظهرها في ألأعبيه كما أظهر النحل هندسته وتنظيم بيوته المسدسة المشاكلة تمام المشاكلة لجسمه الذى يصير مسدداً عند انتشار أجنحته ولا يزال هكذا نوع الانسان إذ لا يرضى أن يكون أقل من الحيوان في الاتقان ألا ترى رعاك الله الى القياس المشهور وهو المتر (مقياس فرنسى) فلقد جعلوه جزءاً من ٤٠ مليوناً من محيط الكرة الأرضية بعد أن قاسوه بواسطة دوران عجلة الركوب مع ملاحظة النجمة القطبية بأخذ ارتفاعها كما قاسها ذانك العالمان في صحراء سنجان أيام المأمون وإنما فعل الفرنسيون ذلك ليكون

أثبت وأدوم وبنوا عليه مضاعفاته وأجزائه ورتبوا عليه الموازين والمساكيل وجميع ما يتعامل به الناس وجاروا في ذلك قدمااء المصريين الذين بنوا الهرم الأكبر وجعلوا طول قاعدته ألف شبر ليكون أساسا للمقاييس

وقد جعلوا المساكيل تابعة لها حتى أن الأرب ذراع مكعب فانظر كيف رأيت الانسان يحذو بعضه بعضا (مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعْسُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنْ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ) وإذا أردت استيفاء هذه المقاييس الهرمية المصرية فاقرأها مفصلا في سورة يونس في كتابنا الجواهر في تفسير القرآن اذ كرهنا ما قرأته في كتاب الملل والنحل للشهرستاني عن فيثاغورث انه كان يقول ما معناه أن الواحد ليس من الأعداد وكلها لا تتركب إلا منه والوحدة لشرفها سرت في الكون كله ولو زالت منه لتلاشى ألا ترى أن جسم الانسان والحيوان والنبات عبارة عن أجزاء تضامنت وتلاصقت واكتسبت وحدة بها صارت هيكلا مخصوصا فكل الأفراد والأمم وحدات وكلما كانت الوحدة أجمع كانت أتم وأكمل حتى إذا أراد الله أن يملك انسانا على الناس سخر له أشكاله وألقى عليه محبة منه لتحصل الوحدة المطلوبة أقول وكلما كانت الأمة أكثر اتحاداً وأقوى كانت أشرف وأقدر على قهر أمم سواها اذ الوحدة صفة شريفة عالية هي صفة الرب بل العالم الذي نحن فيه كله واحد اذ هو كجسم انسان واعلم أنك لا تتحقق من هذا إلا بالعلوم كلها فتتحقق اذن بنفسك أن السموات والأرض وما بينهما كجسم واحد يحتاج بعضه الى بعض ومن قرأ كتبنا ميزان الجواهر وجواهر العلوم والنظام والاسلام وجمال العالم عرف ذلك بلا ريب إن كان ذا بصيرة

بدائع العلم

ولعمري كيف يكون الكون واحدا كما ذكر ونحتاج لبرهان على توحيد خالقه أم كيف تكون الوحدة عليها مدار نظام الأمم ولا يقوم ذو روح بل ولا نبات الا بها فكيف بعد ذلك نستدل على وجدانية الخالق وكيف تكون أشرف من جميع الاعداد

ثم نحتاج الى اثباتها لمن هو أشرف (أم جعلوا لله سُركاء خلّوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار)

حكاية واقعة للمؤلف

سألني تلامذة يوماً عن دليل الوحدة انية فقلت لهم (١) أروح لكل منكم أم روحان فقالوا بل روح فقلت العالم كله جسم واحد فكيف يكون له مدبران فقالوا فهمناولكن زدنا (٢) فقلت أيمكنكم أن تعدوا فقالوا نعم ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ وهكذا فقلت ان لم يكن الاله واحداً كان أكثر ولا مرجح لأحد الأعداد على الآخر فان قلت ٥ قلت وما الذي رجحها على العشرة مثلاً فقالوا كفانا فقلت لهم (٣) أيضاً خالق الكون لابد أن يكون له وجود والواحد محقق وما زاد فمشكوك فيه فمن أراد فليبرهن عليه (٤) ثم قلت ما منكم من أحد الا وله غيره على أرحامه وأهله في منزله قالوا نعم قلت أفضيلة هي أم رذيلة قالوا بل فضيلة فقلت أتكون هذه الغيرة على ما تملكون فضيلة فيكم ويعطيها لكل من يتصف بها مع أنه أحق وأولى بأن تكون فيه إذ هو المالك حقيقة وكيف يعطيك الغيرة على شيء تمتلكه ويرضى هو بالتنازع في عظيم ملكه وهل فاقد الشيء يعطيه (ما اتخذ الله من ولدٍ وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلاً بعضهم على بعض سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ عالم الغيب والشهادة فتمتالي عما يُشركون) فلو تعدد الاله فمن أين كنت ترى الوحدة التي عليها مدار العمران

الفصل الثامن

في ان حساب الناس نزر يسير بالنسبة لحساب الله

لعلك هالك الأمر حين تأملت هذا الحساب وتعجبت مما استكن في فطرنا
وتقول لقد بلغ الانسان من العلم مبلغاً عظيماً ولكن اذا نظرت ما سذكركه لك في
الكائنات وما نظمه الحكيم فيها تعلم حقيقة معنى قوله (نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ
وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) وأن العلم والحساب عندنا نزر يسير بل رشحات من ذلك
الحساب العالى الذى ستطلع عليه بأجلى بيان

فلذلك ورد قصر العلم بتقديم الخبر وتأكيده بالتذليل واتباعه بالتفصيل في قوله
تعالى (وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا
تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا
فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) اشارة الى اختصاصه بعلم عدد ما في البر والبحر وعدد الأوراق
الساقطة ولما اختص العلم به شرع يذكرنا بأعمالنا وانه يعلمها بعد ان ذكر علمه بالعالم
كله فقال (وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ
فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)
أظنتم انكم إلينا لا ترجعون (وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة
حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ) يزعمون أننا
لا نحسب مع أنهم هم يحسبون أم ظنوا أننا خلقناهم يلعبون بلى قد أحصينا أعمالهم
وضبطنا أوهامهم في صحف مكرومة مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة كرام بررة حاسبين
كاتبين (ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْخَلْقُ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ) فكان
هذا في مقام قهر العباد فأظهر عزه وذلمهم وغلبته وضعفهم حيث قصر في الأول وذكر

القهر وختم بقوله (وهو أسرع الحاسبين) فأثبت الحساب لنا وانذا مهما وصلنا إلى شأو الخلق فيه فهو أسرع

تأمل كيف يقول في مقال الثواب واعطاء الأجر (أولئك لهم أجرهم عند ربهم إن الله سريع الحساب) كأنه قيل كيف يمكن حساب أجر كل عامل فقال ان الله سريع الحساب فلا يقاس عليكم ولم يقل أسرع الحاسبين اذ ليس المقام لاطهار القهر وانما هو جزاء ومكافأة ليس فيه دعوى لأحد

عجبا للانسان فطره المبدع على العدد والحساب ثم غفل عنها وجهل نفسه فأنزل القرآن ليدكره بحساب الكون ونظامه ليستيقظ من غفلته لنفسه رحمة منه تعالى وحبا له وارادة للخير فقرأنا القرآن ونحن معرضون عن الذكرى

(اقترَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ) فهم في أنفسهم لا يبصرون (وإذا ذكرُوا لَا يَذْكُرُونَ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ) ، (صُمُّ بُكْمٌ عُمَى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) (وكاتبين من آية في السموات والأرض يمرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ) ، (أولئك الذين نسوا الله فأنسأهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون)

فسبحان الله . أن العلم والتقدير والتدبير من أجلى صفات الربوبية ولا يتم العلم إلا بالتقدير والحساب فلذلك كثر ذكرهما في الآيات كقوله (الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن ينزلُ الأمْرُ بينهن ليتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما)

ويا ليت شعري كيف نعلم أنه قد أحاط علما إلا بالتفصيل والبحث عن الحقائق وفك طلاسم هذا العالم والسير في الارض بالفكر وتحليل المواد إما عقلا وإما عملا والحق الذي نرضاه أنه لا بد من أعمال الصناعة أولا كتحلليل النبات ومعرفة مقاديره وحساب سير الكواكب ثم بناء البراهين على تلك الحقائق حتى يتحد العلمان وتكون الصنائع البشرية مبدءا للمنازع الفلسفية « وسيرد عليك في هذا الكتاب جملة من

الحساب الفلكي ونبذة من تحليل النبات بمقاديره وبناء البراهين عليه ليكون نموذجاً أرجو أن يندرج على منواله »

واعلم أن هذا هو السير الذي طلب من العلماء فسير العامة بالسياحة والأسفار وسير الحكماء بما أبدته لك سواء أكان معه انتقال أم لا فسير العلماء أعم والعامة أخص ولعلك بهذا تفهم سر قوله تعالى : (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ، ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)

يا حسرتا على ما فرطنا في كتاب الله تعالى فجعلنا إبداعه في ملكه وصنعه وهو عز وجل يطلب منا النظر وأنه كيف بدأ الخلق واننا اذا تيقنا البدء بالعلم اليقيني كما ستراه في كتابنا هذا تعرف ان النهاية بنظام كالبداية فلم تقتصر بعد هذا على الأحكام والقضايا وحدها والعبادات دون المصنوعات (سُبْحَانَكَ مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا) سبحانك ما أنزلت قرآنك لجرد الزينة مع الجهل بما فيه ثم انه لم يكتف بما ذكر لا يقاطنا من سنة الغفلة حتى قال (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقُسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ) نعم نظر العقلاء في موازين هذا العالم واطلعوا على كثير من التحليلات الطبيعية والكيمائية والعلوم والقوانين فوجدوا أنه موزون بميزان عدل وكيف يصح اليقين لعقل بهذه النظمات ولم يرها بالبرهان وانما يكون ايمانه ايمان العجائز والعامة والجاهلين المقلدين (رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ)

وإني لأعجب كل العجب لقوم يقولون نحن مسلمون ويظنون جهلاً وغباءة أن هذه العلوم بريئة عن الدين مع أنها هي والدين ربما تبرأ منهم وإني أرى أن الإيمان لا يكون يقينياً في هذا الزمان إلا بها

لفصل التاسع

في الاستشهاد على أن الايمان لا يكون يقينيا إلا بهذه العلوم

ما كنت بدعاً في هذا القول ولا متغاليا كيف وقد ورد في القرآن الكريم ما هو صريح في ذلك وأن تحليل المواد النامية يوجب اطمئنان القلب ورسوخ الايمان كما سيرد عليك في تحليل النبات عند الكلام عليه لتعلم ان الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً وتعلم كيف بدأ الخلق والموازن القسط حتى لا تظلم نفس شيئاً وانه ان كان مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض أتى بها ربك وانه أسرع الحاسبين فإذا رأيت ثم رأيت علماً فيما سيرد عليك يطمئن به قلبك وترى ظلمات الشك قد انجلمت عنك ان ابراهيم عليه السلام طلب من ربه قائلاً كيف تحيي الموتى ليطمئن قلبه ويكون بالمعينة أوثق منه بالعلم إذ لا ريب أن المشاهدة أجلى من الغيب وأظهر وأوضح فأجابه لما طلب تعليمنا ولتابعي الأنبياء بعده ولذلك كثرت العلوم الحكيمة في الأمم التي اتبعته وانتسبت إليه فالصابون يدعونهم وكذا المجوس وباقي الأمم المشهورة من اليهود والنصارى والاسلام إجابة لدعوته (وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ)

ولا ريب أن هذه الأمم كلها تعلم كبراًؤها الحكمة والتحليل والتركيب بدرجات متفاوتة على وفق مشربها واتباعاً لمذهبه ولا شك أنا أولى به وأحق باتباعه وإلى ذلك الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم (نحن أحق بالشك من ابراهيم)

ولعل هذه المقدمات شاقنتك الى أن تسمع الآية مفسرة ألفاظها قال تعالى : (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى) قال تعالى له : (أَوَلَمْ تُؤْمِنْ) بقدرتي على الاحياء سأله مع علمه بايمانه بذلك ليجيبه بما سأل فيعلم السامعون غرضه (قَالَ بَلَى أَنْتَ (وَلَكِنَّ) سَأَلْتَنِي (لِيُطْمَئِنَّ) يَسْكُنَ (قَلْبِي) بالمعينة المضمومة الى

الاستدلال (قَالَ فَخَذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ) أَمَلَهُنَّ إِلَيْكَ وَقَطَعَهُنَّ
وَاخْلَطَ لِحْمَهُنَّ وَرِيشَهُنَّ (ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْ جِبَالِ أَرْضِكَ) مِنْهُنَّ
جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ) إِلَيْكَ (يَا تَيْنُكَ سَعِيًّا) سَرِيعًا (وَأَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ) لَا يَعْجِزُهُ
شَيْءٌ (حَكِيمٌ) فِي صَنْعِهِ فَأَخَذَ طَاوَسًا وَنَسْرًا وَغُرَابًا وَدِيكًا وَفَعَلَ بِهِنَّ مَا ذَكَرَ وَأَمْسَكَ
رُؤُسَهُنَّ عِنْدَهُ وَدَعَاهُنَّ فَتَطَايَرَتْ الْأَجْزَاءُ إِلَى بَعْضِهَا حَتَّى تَكْمُلَتْ ثُمَّ أَقْبَلَتْ إِلَى
رُؤُسِهَا تَخْتَضِعُ لَهَا

أليس التحليل والتركيب الكيماويان رعاك الله في العوالم التي حوالتنا كالماء وغيره
من هذا القبيل لقد شاهدنا الماء حلال بالكهر باء إلى غازين ألطف من الهواء أحدهما
محرق محي وهو الاكسوجين وثانيهما بارد مميت وهو الايدروجين فاذا خلطا صارا ماء
أليست هذه العملية التي شاهدناها في الماء هي كمسألة سيدنا ابراهيم فتحليل الماء إلى
جزئين كاستقطيع تلك الطيور ومزجها كاتيان الطيور سعيًّا غاية الأمر أن ذاك في
حيوان وهذا في جماد وبينهما مرتبتان فيكون اطمئنان سيدنا ابراهيم أرقى إذ لو ازم
الحيوان أكثر وكلما كثرت الوازم والأعضاء اشتد الاستغراب وظهرت الحكمة
وذلك بلا ريب أدعى إلى التوغل في التحليل والتركيب في المواليد الثلاثة لتنظيم
القلوب ولذلك لم يأمره الله بتحليل الماء وإنما أمره بما هو أصعب وأعجب ليرشدنا إلى
الترقي في الاسباب قال تعالى : (فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ)

وهذه قصة لم يذكرها الله في القرآن لمجرد التلاوة أو التبرك كما يزعم الجاهلون
أو التسلي بسماع حكايته وإنما هو ذكرى لقوم يعقلون فيحللون ويركبون بالآلات
المعروفة كاحلل الله وركب لسيدنا ابراهيم فنستفيد يقينًا بالمعينة ونظاما في مدينتنا
وننتفع في دنيانا وآخرتنا وقد أفاد أنه لا يأتي به إلا تدريجا في قوله خلق الانسان من
عجل سار يركم آياتي فلا تستعجلون أي أن كل شيء يأتي في حينه والحكمة تأتي بالتدريج
وانظر كيف ختم الآية بالعزة في القهر والغلبة والحكمة في التحليل والتركيب بمقادير متناسبة

الفصل العاشر

في اثبات أن العلوم الحديثة مصداق للنبوة

رب، قائل يقول ما كانت الصحابة رضوان الله عليهم يعرفون تحليل الماء وتركيبه والهواء والكهر بائية مع أنه صلى الله عليه وسلم يقول : (لو وزن إيمان أبي بكر بالآمة لرجحها) وقد قام الاجماع على أن الصحابة خير الأمة كما ورد في أحاديث كثيرة وإن قرن النبي صلى الله عليه وسلم خير القرون ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم فأنتم إنما أتيت ببدعة في الدين لم ترد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

تقول اعلم أن الصحابة رضوان الله عليهم ومن بعدهم كان نور النبوة شاملا لهم والمعجزات والآثار وسير الرسول صلى الله عليه وسلم شائعة فيما بينهم فكان ذلك أعظم نور يهتدون به فلم يحتاجوا الى التدقيقات بل كان امامهم مثال الكمال والعلم وهو النور المحمدي أما الآن فوجب البحث عن هذه العلوم لوجوه — الأول : ان زمن النبوة قد طال أمده علينا فقتست القلوب واختلطت العقائد ودخل الناس الهرج والمرج والشرائع السماوية ترجمان عن الحقائق الكونية إذ محصلها يرجع إلى حقائق العالم ومعاد الانسان وأخلاقه ونحو ذلك . فلنرجع الى هذه الحقائق فاذا نظرنا الى القرآن وجدناه يبحث على النظر وضرب الأمثال كما رأيت فوجب أن نتمسك به لا سيما وقد رأيت ما قص سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام وقد قال في آية أخرى (وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ) الايمان في الأمة على ثلاث درجات الدرجة الأولى زمن الصحابة والتابعين وهؤلاء كان نور النبوة شاملا لهم — الثاني : زمن الأمويين ودولة العباسيين ومن بعدهم وهؤلاء ما كان سلاحهم لجهاد المارقين من الدين إلا القضاء

النظرية العقلية التي اضطروا اليها بعد زمن النبوة — الثالث : هذه الأزمنة الأخيرة التي آن استبدال العلوم المنتشرة في الأمم اليوم بالنظر الفلسفي المجرد إذ هي لاجرم أقرب لمعرفة الحقائق وأدنى إلى تقدم المدنية

الوجه الثاني — أن المسلمين في زمن الصحابة ومن بعدهم لم تكن هناك قوة أرقى منهم حتى يضارعوها في الصناعات وينافسوها في الأعمال ويسبقوها في الخيرات أما نحن فوجب علينا الأخذ بهذه العلوم والصناعات والتحليلات ليحصل التوازن بيننا وبين الأمم التي حولنا

الوجه الثالث — ان الأمة الاسلامية على وجه العموم ثبت في أذهانهم بطريق الفهم العامى أن هذه العلوم تنافى الدين فتمى عرفوا بطريق الكتاب انها منه ولا تنافيه بل انها هي عين اليقين مصداقاً لقوله تعالى : (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) فإذا ثبت ذلك لديهم شرعوا فيها وبرعوا وبدون ذلك لا يمكنهم أن يعملوا شيئاً قط إلا من انسلخ عن الدين أو شك فيه . على أن الأمم حولنا في المسكونة أجمعوا على أن الاسلام هو المؤخر عن التقدم والاسلام والله براء بما نسب إليه وانما حاملوا العلم هم المطالبون به بين يدي الله تعالى وسوف يسئلون (يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)

اللهم انى بما كتبت أبرأ اليك من تبعة الكتمان وأتقرب إلى جنابك وأتودد اليك زلفى بهذا الكتاب الذى أرجو أن تنفع به قوماً وتفتح به آذاناً صماً وتحى به أئمة من رقدة الغفلة والجهالة (فعسى الله أن يأتي بالفتح)

زيادة شرح وتفصيل

من قرأ القرآن وتأمله وجد أن كثيرًا منه حث على النظر في المصنوعات الالهية بحيث إنك لو جمعت آيات العبادات وقستها بآيات شرح الكون والفرائب والنظر في ملكوت

السموات والأرض وذكر العالم والحساب والتقدير والنظام لوجدت آيات الأول قليلة بالنسبة للثاني

فمنها قوله تعالى (ولدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) والكتاب الذى ينطق بالحق فى أعمال الآخرة نحب أن نشاهد نطقه بالحق فى أعمال الدنيا لنعرف موازينه حتى نقيس ما غاب على ما شوهد من طريق الفراسة كما قال تعالى (فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيلٍ إن فى ذلك لآياتٍ للمتوسمين) أى للمتفرسين

فكتاب الله وهو علمه أو لوحه المحفوظ ينطق بالعاجل والآجل أفلا تقرأ نسخة من آثاره وهى هذه العوالم التى أماننا ونستدل بما فيها من حساب متقن على حسن آثاره ولطائفه وغرائبهِ ونعلم أن هناك داراً أخرى حسابها كحساب هذه الدار — ألا ترى كيف ذكر فى سورة النبأ المصنوعات الكونية مستدلاً بها على يوم القيامة فقال (عمّ يتساءلون عن النبأ العظيم الذى هم فيه مختلفون) وهو البعث والشرية وكل ما جاء به الوحي (كلاً سيعلمون ثم كلاً سيعلمون) إنذار ووعيد وتهديد فانظر كيف أراد أن يستدل على ذلك اليوم بما نشاهده من المصنوعات المتقنة وما فيها من الحساب وان هذه نسخة كتلاك فى ضبط أعمالها فشرع يفصل العالم الذى نحن فيه فقال انظروا الى الأرض التى أنتم عليها فقد جعلناها مهاداً لكم وفراشاً بل أنتم تنتفعون بكافة أنواع الانتفاع من المزارع والأبنية وغير ذلك وثبتناها بالجبال الراسيات ليحصل التوازن كما ثبت الخيام بالأوتاد وجعلناكم ذكوراً وإناثاً ليحصل بينكم الازدواج والالتئام والاتحاد فيثبت بينكم داعى الحب والوفاق كما انضمت الأرض والتأمت أجزاءها بالجبال وكما يسكن الرجل لزوجته والمرأة لزوجها وجعلنا لكم ليلاً تسكنون فيه جميعاً فهو سبات أى راحة لأبدانكم ولقد خلقناكم من جسم وروح فللجسم نحو نصف الزمن وهو وقت الراحة وللروح الوقت الآخر تسعى له فى طلب المعاش فجعلنا النهار معاشاً بل الروح تسعى للجسم كما يسعى الرجل لزوجته وهذه الأنوار والظلمات من عالم فوقكم

جعلناه شديداً قوياً فبنينا فوقكم سبعاً شداداً ثابتات قويات فكونوا آمنين مطمئنين على حياتكم وجعلنا سراجاً وهى الشمس متقدماً فاستضاءت دياركم وابتهجت مزارعكم وأبدانكم وبخر البحر فأزلنا من السحب المعصرات الالآتى كالسكر التى دنا زمن حيضها ماءً ثجاجاً أى صباباً لنخرج به حباً ونباتاً كالقمح والذنب والكلأ والبرسيم والحشيش وبساتين كثيرة ألقافاً ملتفات وذلك قوله تعالى (أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَاداً وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجاً وَجَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتاً وَجَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاساً وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشاً وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شَدَاداً وَجَعَلْنَا سِرَاجاً وَهَّاجاً وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجاً لِنُخْرِجَ بِهِ حَبّاً وَنَبَاتاً وَجَنَّاتٍ أَلْفَافاً)

ولما كانت هذه المحيطات بنا متقنة الوضع محكمة الصنع بحساب لا يتغير ولا يتبدل ولا جرم أن العالم الذى بلى هذا العالم منتظم مثله إذ لا يجوز أن ينتظم هنا ويحسب ويهندس ولا ينتظم هناك ولا يحسب بل يتركه بلا نظام فلذلك أعقبه بقوله (إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتاً يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً ، وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَاباً وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَاباً إِنْ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَاداً لِلطَّاغِينَ مَا بَا لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَاباً لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْداً وَلَا شَرَاباً إِلَّا حَمِيماً وَغَسَّاقاً جَزَاءً وَفَاقاً إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَاباً وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذْباً وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَاباً (الخ السورة)

فتأمل كيف ذكر بعد ذكر نسخة من عالم الدنيا ونسخة من عالم الآخرة مسألة الحساب وقال إن المكذبين جهلوا هذا العالم وظنوا أنه عبث وباطل بلا حساب إذ لم ينظروا فيه ولم يفقهوا جليله فضلاً عن رموزه مع أنهم لو تأملوا لعرفوا أن كل شىء أحصيناه بكتابتنا له عندنا أولاً يرون النسخة التى أمامهم من هذا الكون العجيب وهذا يناسب ما ذكر أول الكتاب من أن الحساب هو أساس كل شىء فى العالم كما قال فيثاغورس وهذا أمر عجيب مطابقة العالم الخارجى لما فى نفوسنا من النظام والترتيب والحساب ومثل هذه الآيات فى النسق سورة النازعات فإن السورة كلها عبارة عن

ثلاثة أمور الأول . إنكارهم للبعث . والثاني ذكر هذا العالم المشاهد المتقن للدلالة على البعث ليعلم أن من حسب وأتقن كل شيء فلا يليق به أن يترك هذا العالم سدى ويضيعه هملاً ، والثالث : وصف أهل النعيم وأهل الجحيم والذي يهمننا هنا هو القسم الثاني وهو الاستدلال فقال تبكيثا لهم (أنتم أشد خلقاً أم السماء) أشد خلقاً وشرع يبين خلقها فقال (رفعَ سَمَكُهَا) وهو ستمها في جهة العلو أو رفع سقفاها (فسوّاها) جعلها مسواة لا عيب فيها (وأغطش) أظلم (لينلها وأخرج ضحاها)

ولاجرم أن جميع ما على الأرض من الماء والنبات والحيوان والانسان مستمد من الحركات العلوية وحرارة الشمس فلذلك أعقبه بقوله (والأرض بعد ذلك دحاها) ثم أبان كيفية دحوها فقال (أخرج منها ماءها) بالتبخّر من البحر الملح أولاً وأخرج ما استكن من مطره بتفجير العيون ثانياً وأخرج (مرعاها) بذلك الماء الذي يخزن في الجبال الى وقت الحاجة (والجبال أرساها متاعاً لكم ولأنعامكم فاذا جاءت الطامة الكبرى يوم يتذكر الإنسان ما سعى وبرزت الجحيم لمن يرى فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى) إلى آخر السورة

فسأمل كيف جعل ذكر اليوم الآخر قبل العجائب وبعدها هكذا لو تأملت قوله تعالى (وما خلّقنا السموات والأرض وما بينهما إلا عييناً ما خلّقناها إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين) لوجدت مثل ما سبق فهنا ذكر العالم أجمعه مجملاً وأعقبه بذكر اليوم الآخر وهكذا قوله (لكن الذين انقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار وعدا الله لا يخلف الله الميعاد)

فسأمل كيف حتم انه لا يخلف الميعاد اذ كل ذلك بحساب لا يتغير وذلك يوجب عدم اخلاف الوعد ولما كان ذلك لا يفهم الا بدليل ظاهر أعقبه بقوله (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض ثم يخرج به زرعاً مختلفاً

الْوَالَهُ ثُمَّ يَرْسِلُ فِتْرَاهُ مُتَفَرِّغًا ثُمَّ يَجْمَعُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِلأُولَى
 (الْأَنْبَابِ) وهكذا قوله تعالى في سورة الأنعام (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ هُوَ الَّذِي
 خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ وَهُوَ اللَّهُ
 فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ) يتن
 على عباده بخلق سمواته وأرضه وتفصيل العالم الى أجرام شفافة منيرة وأجرام مظلمة
 معتمة ليطلبوا معاشهم في النور ويناموا في الظلمة وهم مع ذلك يعدلون عن ربهم وكيف
 يشركون به أو يكفرون وهو خلقهم من طين وقدر لهم أجلا الى موتهم وضرب أجلا
 آخر لهم مسمى عنده بعد الموت الى يوم القيامة فكيف بعد ذلك يمترون ويشكون
 وهو يعلم سرهم ونجواهم وأعمالهم (وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ
 وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفْعِلُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ
 رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ
 إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ)

فيا ليت شعري كيف يدعى قوم انهم موقنون ما لم ينظروا فيما بين أيديهم من
 العوالم العجيبة ليشاهدوا صنع الله الذي أتقن كل شيء ويسبروا بأنفسهم ما أخبر به
 عن نفسه من قوله ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا وانه كيف لا يعزب عن
 علمه مثقال ذرة ولا أصغر منها اللهم انا نشهد بهذا فيما لدينا من المصنوعات التي خلقها مما
 سنده (رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)

ولما كان هذا جليا للناظرين خافيا عن المعرضين أنذرهم الله بقوله (أَفَلَمْ يَرَوْا
 إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ نَاشِئًا نَحْسِفُ بِهِمُ الْأَرْضَ
 أَوْ نُسْقِطُ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ)

ولعمري ان من لم ينظر في هذا السكون فقد استحق الخزي والجهل المؤبد ومن

الآيات الدالة على احاطته قوله تعالى (إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا
وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ) ومنها (وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ وَكُلٌّ صَعِيرٌ وَكَبِيرٌ
مُسْتَطَرٌ) ومنها (اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى
الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ
الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ)

ما أصرح هذه الآية وما أدقها وما أقربها الى المقصود وما أجملها في موضوعنا
الذي نحن فيه فقد ذكر رفع السموات واستواءه على الملك وتسخير الشمس والقمر
الى أجل مسمى ثم أبان أن هذه الأمور يدبرها عنده أولا ويفصلها ثانيا ليتضح لنا
بهذا التفصيل أن لنا ربا نلاقه ونوقن بهذا ايقانا لا مجرد ايمان تقليداً

وكيف يمكن هذا الا اذا عرفنا سير الشمس والقمر وطرفاً من حسابهما مفصلاً
لا مجحلاً لقوله (نُفَصِّلُ) ولم يقل نجمل فنستدل بتفصياه على تدبيره وتدبيره على
أننا نلقاه .

الباب الثاني

في تدبير الأمر وتفصيل الآيات

في هذا الباب مقامان : الأول في الفلك وحسابه والثاني في عجائب الظلال

المقام الأول — فيه مقدمة ومقاصد المقدمة فيها خمسة فصول ، وفي

المقاصد قسمان : القسم الأول فصلان . والثاني خمسة فصول

المقدمة

الفصل الأول — في حيرة العقلاء في نظام الأفلاك

الفصل الثاني — في الحب والعشق

الفصل الثالث — في أن جمال السموات الباطني الذي يلحظه العقل أبهى

من الجمال الظاهري الذي تدركه العين

الفصل الرابع — في شواهد القرآن على حساب الكواكب وانتظام سيرها

الفصل الخامس — في ذم من أعرض عن التفكير في السموات

المقاصد

القسم الأول وفيه فصلان

الفصل الأول — في مجمل ما عرفته الأمم قديماً وحديثاً ما يخصنا من كتابنا

الجواهر في تفسير القرآن

الفصل الثاني — ما ترجمته من اللغة الانجليزية من كتاب اللورد افيري

في الشمس وسياراتها والقمر والكواكب ونحو ذلك

القسم الثاني

يبحث فيه عن حساب سير الكواكب والشمس والقمر واختلاف الليل والنهار ومعرفة الفصول الأربعة والسنين الشمسية والقمرية وتقويم السنة العربية وشهورها وحوادث الأرض الموهلة واختلاف الأمم المناسب لاختلاف الليل والنهار وفوائد تتبع ذلك فهو خمسة فصول

الفصل الاول - في اختلاف الليل والنهار

الفصل الثاني - في حكم السنة الشمسية والقمرية والفرق بينهما

الفصل الثالث - في تقويم السنة العربية وشهورها

الفصل الرابع - في اختلاف الأمم والملوك المناسب لاختلاف الليل والنهار

الفصل الخامس - في حوادث الأرض الموهلة وما يتبعها من فوائد أخرى

المقدمة

الفصل الأول

في حيرة العقلاء في نظام الافلاك

فيا حيرة العقلاء ويا جهل الانسان (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا)

تشتاق نفوسنا الى معرفة جميع هذه العوالم وهام أولاء أكابر الحكماء قديماً وحديثاً يبحثون وكلما دققوا وبحثوا رجع البصر خاسئاً وهو حسير

نظر أرباب المحسوسات الى هذه القبة الزرقاء المرصعة بدرارى النجوم فما رأوا فيها من فطور وشقوق بل رأوها مسواة ليس فيها تفاوت ثم ترقى عنهم أرباب العقول والحساب والمهندسون فقالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا ها نحن أولا واقفون بمناظيرنا

المعظمة وأرصادنا الفلكية نستمطر كسحائب العلم والعرفان وكلما رأينا لامعة من علم زاد علمنا بنظامك العالى ، وفهمنا أن التسوية والحسن والاشراق فى الحساب والهندسة فى دوائر الأفلاك وسير الكواكب ونظام البروج واستقامة الكواكب ورجوعها لا تنقص فى الهيئة والحسن عن جمال هذا السقف المرفوع وكلما ظن أحدنا أن هذا العالم سينقضى باصطدام نجمين حتى تتلاشى العوالم كذنبه تكذيباً فعلياً ورأينا عندك قوانين لم نصل إليها قضت بتباعد ذلك الكوكب عن الاصطدام فكيف نرى فى هذا النظام تفاوتاً (إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) فصراطك مستقيم وحسابك عظيم وأنت أسرع الحاسبين ومما أدهشنا انا علمنا أن النظام الكلى كهرج انسان معتدل الجسم بحيث لو حاد عن الاعتدال قليلا ظهر انحرافه سريعاً واذا اختل عضو من الأعضاء الرئيسية كالقلب والرأس والكبد انحل ذلك الجسم كله انحلالاً تاماً وتوارى فى التراب فهكذا نظامك الكبير أبقيته دهوراً وأحقاباً وهو لم يتغير فالآن فهمنا قولك (فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ) أى مقطوع ونحن نظرنا بالبصيرة فلم نجد إلا نظاماً عالياً لا تفاوت فيه واقطعنا عن الوصول إلى غاية إبداعك ونهاية اتقانك بل لم نصل إلى عشر معشار جزء صغير منه فيا قوم ما لنفوسنا لا تقف عند حد فى الشوق والميل إلى الاطلاع

نعم حملنا الأمانة التى عجزت عنها العوالم كلها وأصبحنا عاجزين عن حملها وأردنا أن نعلم كل ما خلق فهاهى هذه الطريق أماننا وعرة والشقة بعيدة فالى متى لا نعرف الحقائق — كل انسان فى مشارق الأرض ومغاربها يرى فى نفسه ولوعاً بالبحث عن الحقائق الكونية ولم يذر الحكماء والعلماء من طريق ولا واد إلا جابوه ولا مفازة إلا قطعوها كل ذلك لينالوا حظاً مما تطالبهم به تلك الضمائر الصافية والنفوس النيرة العاشقة لما لا يتناهى من الجمال الباقي الذى لا يتغير (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ — فى ذلك السبيل — وَلَا يَظْأُونَ مَوْطِئًا) يبدد غيوم الشكوك والأوهام الا رأوا فى نفوسهم بهجة واشراقاً وبقي عملهم سنة ونوراً لمن بعدهم جيلاً

فخيلا (إن الله لا يضع أجر من أحسن عملاً) ، (ولا أجر الآخرة خير من للذين آمنوا وكانوا يتقون)

يحد العلماء فى نصيهم لذة لا يعرفها من قصرُوا على المحسوسات وبقوا فى قيود الذل والجهل فياليت شعرى الى أين تذهب هذه النفوس والى متى تنتهى فى بحار العلم ولا تجد لها قراراً وتطير فى جو السماء فتسعى الى الغايات التى تحن اليها وما هذا العشق العجيب والصبوة فى نفوسنا نعم هى فطرنا التى تعشق ما بعد عنها

الفصل الثانى

فى الحب والعشق

واعلم أن الحب هو ميل النفس الى الملائم والعشق شدة ذلك الميل جداً والشوق أن يحضر بعض المعشوق ويغيب بعضه فمن عرف ذا جمال وغاب عنه تصوره طبعاً فى خياله فهنا صورة فى الخيال وصورة فى الخارج ولكن صورة الخيال ناقصة وبها يطلب الحب الصورة الظاهرة ومتى حضرت لديه وتمكن منها بحواسه الخمس فلا شوق إذ الشوق إنما يكون لما بعد وهذه حاضرة أمامنا وهكذا من نظر أصبع الجمل وأعجبه أحب أن يشاهد اليد ومتى رآها أحب أن يرى الوجه فهكذا شوق نفوسنا الى هذه العوالم

إذا لم يكن فى الحب صد ولا جفا فأن لنا ذات الرسائل والعتب فهنا نحن أولاء حملنا الأمانة التى أعجزت الجبال والسموات ولم نطق حملها فكما نظرنا فى العالم طرنا به فرحاً وسروراً وجالت عقولنا فى جو السماء واستزادت فاذا نظرنا هناك ولت خاسئة وأقرت بالعجز

العلم مرتبة شريفة ومنقبة منيفة وسر جميل فمن لنا به والعلماء ملوك الأرض وكفى به شرفاً قول الله عز وجل (إنما يخشى الله من عباده العلماء) ما أعظم مرتبة

العلماء وما أجلها ومن الحكم إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يطلب ومنها ان العالم يستغفر له كل شيء حتى حيتان البحر ولما كان هذا الكون محتجبا أمامنا وهو مظلم خاف علينا كان من حكمة مديره أن جعل لكل غائب عنا نموذجاً نستدل به عليه اذ علم قصر آجالنا وضيق دائرة علمنا . هذا الكون الشاسع لا ندري مبدأه ولا نستشعر نهايته فياليت شعري في أى زمن ابتدأ هذا الدهر ومتى كان انشاؤه وكـم آلاف من السنين مضت وأيان منتهاه ثم ما هذا الفضاء الذى تجرى فيه الشمس وتوابعها وسياراتها أين آخره وهل له آخر وهل الأرض التى نحن عليها شيء مذكور فى جانب هذا الذى لا يتناهى وما أعمارنا فى جانب هذه القرون وأى شيء بيوتنا الصغيرة فى جانب الممالك الأرضية فضلا عن الأرض التى لا تذكر فى جانب هذا الكون الواسع فلما ظهر ضعفنا كما قال تعالى (وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا) وعلم عجزنا عن حمل أجارة العلم والايـمان بنى عالمنا هذا على نظام ثابت كما ثبت الحساب فى فطرنا فكانت هذه المشاهدات على وفق عقولنا مطابقة لها تمام المطابقة فهذه النجوم التى لا يعلم عددها ما كشف منها الانسان إلا بعضا قليلا وعرف حساب ما تيسر منه مما يعود عليه بالدفع فى معاشه ومعاده وجعل جميع اتجاهاتها واحداً ليعلم أن الكواكب كلها بنواميس تشبه هذه وإن لم تقف عليها تماماً فهذا من حيث اللانهاية المكانية فكأننا بمعرفة سير بعض الكواكب عرفنا الجميع إجمالاً كما ذكر علماء التوحيد وجوب معرفة بعض الرسل وبعض الصفات الإلهية تفصيلاً وبقية الصفات والرسل معرفة إجمالية (رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا)

الفصل الثالث

في أن جمال السموات الباطني الذي يلحظه العقل أبهى من
الجمال الظاهري الذي تدركه العين وذلك يبدائع الحساب والهندسة

بهجة السموات في نظامها أجمل من زينتها الظاهرة . اذا وقفت نهراً في فضاء
واسع مزدان بأجل بهجة من الأزهار الباهرة والأشجار المزهرة والأنهار الجارية والحدائق
الفناء ومحاسن الأطياف والنسيم عليل والجو جميل ثم حدثت بالبصر ليلاً إلى
تلك القبة الزرقاء ورأيت النجوم المرصعة في جلايبها كمثل ثوب أخضر عليه قطن
قد ندف تراقص طرباً ما بين ظاهرة وخافية ومتوسطة هذه حمراء وتلك بيضاء
والأخرى صفراء فهناك ترى الأشكال الهندسية على اختلافها بهذه النجوم فهذه
النجوم باجتماعها ترسم تارة خطاً مستقيماً وأخرى خطاً منحنياً وآونة قوساً من دائرة
وهذه على هيئة مثلث وهاتيك على شكل متوازي الاضلاع فاذا رأيت هذا كله
أخذت الخيلة تبدى ما لديها من صور الاختراع وتقول ما أشبه هذه اللامعات بالملوك
على الأسرة أو بالوزراء يتلاحظون أو بالعلماء يتناظرون مع الهيبة والوقار (أحياناً
كالنجوم فبأيهم اقتديتم اهتديتم) أو العشاق يتباهون ويرمزون أو هي
رسل العالم الأعلى سطعت على العالم الأدنى لتكون رمزاً إلى ما وراءها ونبراسة
لنا ودليلاً على حكمة عالية فهي كشف عن اتقان بديع وحساب وهندسة حتى أصبح
نوع الانسان ينظر في الأشكال وتقسيمها فجعلها ثلاثة أقسام خطوط وسطوح وأجسام
ورأى أن الأشكال منها ما هو مستقيم الاضلاع كالزوايا والمثلثات والأشكال المتوازية
الاضلاع والمحال الهندسية كالخط المتوسط في جسم الانسان نقطه على ابعاد متساوية
من اليدين والرجلين والعينين ونحو ذلك ومنها ما هو دائرة بفروعها من الأقواس

وزواياها ثم أخذ يبحث عن حساب ذلك كله فعرف مقادير كثيرى الاضلاع والاشكال المنتظمة والدوائر ثم أخذت مخيلته ترتقى الى ما هو أرقى من ذلك فعرفت السطوح وكونت منها الزوايا المجسمة والكرات وعرفت مساحات كثيرى السطوح من متوازى السطوح والمنشور والهرم ومساحات الكرات فهذا كله إجمال الهندسة العادية التى بنى عليها الهندسة الوصفية فحصل الهندسة ثمان مقالات نقلها اليونان عن قدماء المصريين وأخذها العرب عن اليونان ثم نقلت الى أوروبا ورجعت لنا منها الآن وهى :

الاولى فى الاشكال المستقيمة والاضلاع والزوايا . الثانية فى محيط الدائرة وما يتعلق به فحصل هاتين المقالتين البحث عن الخط المستقيم والمنحنى . والثالثة والرابعة فى مساحة كثيرى الاضلاع والخطوط المتناسبة وتشابه الأشكال المنتظمة ومساحة الدائرة فحصلها يرجع الى مساحة الاشكال الحادثة من الخطوط المستقيمة والمنحنية كالثلثات والمربعات والدوائر . والخامسة فى تصور المستويات والزوايا المجسمة . والسادسة فى الكرة والسابعة فى مساحة الخامسة والثامنة فى مساحة السادسة فانظر كيف تصور الانسان أشكال العالم كله من مستقيم ومنحن خطاً وسطحاً وجسماً وعرف حسابها ثم عرج بها الى السماء ومسح الكواكب فى علم الهيئة وعرف وزنها وسطوحها وأشكالها وسيرها وعين دوائرها وأقطارها وابعادها عن الشمس فعلم أن بعد عطارد عنها ٥٧ مليون كيلومترا وبعد الزهرة ١٠٧ مليون كيلومترا والمريخ ٢٢٥ مليون كيلومترا (والكيلومتر ألف متر) وبعد المشترى ٧٧٠ مليون كيلومترا وزحل (١٤٠٠) مليون كيلومترا تقريبا وبعد الارض عنها ٣٨ مليون فرسخا تقريبا وقطر الأرض يبلغ ١٢٧٥٤ كيلومترا وهكذا أخذوا مساحات هذه الكواكب الظاهرة لهم . ولعمرك ان الذى عرفوه شيء يسير جداً بالنسبة لما بقى . ولقد ذكرنا فى كتاب جواهر العلوم كلاماً مفصلاً على عدد النجوم وان المجرة التى هى فى جو السماء فيها نجوم لم يمكن تمييزها بالنظارات الى الآن ثم المعروفة طالى أمكن تمييزها تزيد عن عشرين مليون نجمة ولم تعرف الابعاد والسطوح والمساحات إلا لقليل منها وهذه هى التى كانت تدرس لنا منذ (٤٠) سنة وأمكن العلم ازداد بعد ذلك كما سيأتى قريباً

الفصل الرابع

في شواهد القرآن على حساب الكواكب وانتظام سيرها وعموم علمه تعالى

قال تعالى (هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ (إشارة إلى أنه أراد أن يعلمنا الفلك والحساب وهذا التفصيل ظاهر لمن يعلم ولقد ذكرنا لهذه الآية وجهاً جميلاً في كتابنا ميزان الجواهر

وقال تعالى (اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأُمُورَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ) تأمل كيف ذكر رفع السموات واستواءه على العرش وكبريائه ثم تسخير الشمس والقمر بحسب أمره وأنه جعل هذا للنؤمن ببقائه بخلاف الآية قبلها فانه ذكر ضياء الشمس ونور القمر وهما اللذان يفتيح عنهما الحساب ولم يذكر الجلال والعظمة واستواءه على العرش التي تدعو إلى تشويق النفوس إلى لقائه إلا عند ذكره في الآية الثانية لعلمكم بقاء ربكم توقنون وقال تعالى (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)

نعم علمنا بعض ما فصله مما أراد في هذه الآية من جعل النجوم لهدايتنا إلى الطرق براً وبحراً وهذا التفصيل ان يعلم . واعلم أن النجوم يهتدى بها السائرون ليلا

في الصحارى والقفار من الاعراب في قوافلهم والمدلجين على اختلاف طبقاتهم وهكذا الملاحون في البحار

ولما ارتقت المدينة الحاضرة قامت البوصلة وهي الإبرة الملوحة المغطسة مقام تلك النجوم إذ هي تتجه تقريباً إلى القطب الشمالى كما أوضحناه في جواهر العلوم فرجع الاهتداء بها إلى الاهتداء بالنجم كما قال في آية أخرى (وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ) فياسبحان الله أين نحن وأين ذاك القطب البعيد عنا الذى قدر الفلكيون وصول نوره إلينا فى ٥٠ سنة مع أن ضوء الشمس يصل إلينا فى ثمانية دقائق وثمانى عشرة ثانية. حارت الأفكار فى قدرة من قد هدانا سبلنا عز وجل ، أما الهداية فظاهرة وأما الحيرة فى القدرة الباهرة إذ كيف يحتاج هذا المسافر المنزوى فى ركن من أركان المعمورة إلى هذا النجم العظيم البعد الصغير ظاهراً الكبير الحجم حقيقة فى تلك الأبعاد التى لا تعرف إلا بمزاولة علم الفلك . صنع الله الذى أتقن كل شئ وتأمل قوله جعل لكم النجوم ولم يذكّر تقدير المنازل إذ لم يرتب عليه إلا الاهتداء فانظر كيف جعل فى كلامه دقة كما جعل فى خلقه حكمة

واعلم أن هدايتنا فى الأرض تارة تكون بضياء الكواكب كما علمت وأخرى بما ينوب عنها وهى البوصلة وطوراً بسير الشمس وهذا مشاهد عياناً

ألا ترى إلى الشمس متى تكبدت السماء ومركزها بخط نصف النهار الوسطى (الذى نشأ من تعديل سير الشمس على مدار السنة كلها بحيث يتقدم تارة على مرورها بخط الزوال الحقيقى وتارة يتأخر عنه) فان صاحب الرصد بالعباسية — كما شاهدنا ذلك يبصرها إذ ذاك فيضغط فى الحال على زر تحت يده له اتصال بالقلعة فيضرب المدفع فى أقل من لمح البصر ويصل الخبر بالبريد الكهربائى لسائر المحطات وتنضبط الساعات وينتظم أمر القطر أجمعه بسبب انتظام سير الشمس (أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) وهذا وربك من المدهشات والغرائب إذ لولا انتظام سير الشمس لتصادمت الواوورات إذ لا رابطة بينها وكيف ينتظم أمر الدواوين والمصالح الأميرية

أم كيف يتقابل التجار والمتبايعون والمتقاضون — أنظر كيف نشأ عن هذا المرور فى لحظة صغيرة جميع هذه المصالح وكأن الشمس وقد مرت على خط نصف النهار ملك أعطى أوامره لرئيس مدينته وتركه يتصرف فيها إلى رجوعه كرة أخرى فهكذا الشمس تمر بخط نصف النهار الوسطى وتعطى التعليم والأوامر لجميع الساعات التى قامت مقامها فى الأعمال الحسابية بل هى نموذج يدل على عالم السموات ونظام الكواكب فترى الانسان يحمل آلة من المعدن صغيرة تمثل له حساب عالم الافلاك وهو لا يدرى ولا تعلم العلوم أخذت تقل جيلا بعد جيل اه

الفصل الخامس

فى ذم من أعرض عن التفكير فى السموات

قدمنا ان الساعة التى فى أيدينا كأنها شمس ننقلها من مكان الى مكان تمثل لنا الشمس الكبرى فهى مثل ضرب للناس لعلمهم يتذكرون — ما أوضح الأمور عند العلماء وما أخفاها على الجهلاء. أما العلماء فظنوا ان الناس يعلمون فتركوا التذكير وأما الجهلاء فهم فى غفلة وهم لا يؤمنون . واعلم أن الأشياء كلما كانت أكثر وضوحاً اشتد خفاؤها والعكس بالعكس ألا ترى ان الناس يقرؤن الحروف الصغيرة فى الورقة ويفهمونها وهام أولاء يسمعون المدافع فى الزوال وهم لا يفهمون وينظرون الشمس وهم لا يبصرون ويقضون حاجاتهم ويلاقون أصحابهم ويذهبون الى دواوينهم وهم لا يتفكرون — أليست الشمس وضوءها وصوت المدافع الدال عليها أكبر من الحروف الصغيرة التى فى الورقة (وكأن من آية فى السموات والأرض يمرؤن عليها وهم عنها معرضون) نعم كلما اشتد الظهور اشتد الخفاء وصار المعتاد المألوس به لا يلتفت اليه . وعلى هذه القاعدة ترى كل شئ مما نشاهده لا يؤثر على فكر أهل الجهالة . وإنما يؤثر اذا فهم أولا وحكى بالألفاظ وعبر عنها بالكتابة فترى المتوسطين من أهل العلم اذا قرءوا عجيبية من عجائب

العالم استفزهم ذلك وحصلت لهم دهشة وأخذهم شائق غريب مع انهم ربما رأوه ولم يعيروهم جانب الالتفات وذلك لأن الكتابة لما عبرت عن الألفاظ الدالة على المعاني المطابقة لما في الخارج كان المكتوب عين المعبر عنه إلا أنه يشبه ما كان من وراء حجاب ولهذا نظير وهو الجسم إذا وضع بجانب العين لم يره. وهكذا قرص الشمس لا يرى إلا إذا انكسر شعاعه في ماء في اثناء فينظر الانسان الأثناء إذ ذاك ويرى قرص الشمس مع أنه لو حدى إليها لم يمكنه وهذا كمثالنا إلا أنه في مثالنا قد انعكس ضوءه ثلاث مرات بخلاف الشمس فقد كسر شعاعها مرة واحدة وهكذا ترى الهواء المحيط بأجسامنا لا يعبا به أحد لاحاطته بنا وترى ذكر الماء والامتنان به في الكتاب والسنة وتراهما شبيها العلم به وإنما كان ذلك للملاقة الهواء دائماً لجسم الانسان فحفي لشدة ظهوره وأما الماء فله زيادة ونقص وبحيى. وذهاب فلذلك كثر الامتنان به (وجعلنا من الماء كل شئ حي) مع أن الحياة من الهواء أيضاً ولكن الظاهر للناس أولى بالاستدلال ولذلك شبه به العلم في التوراة والانجيل والقرآن لأن العلم في صدور العلماء وضده الجهل فعرف والمثال الأشهر لذلك معرفة الله تعالى فانه ظاهر جداً للبداية البشرية وإنما خرج عن الطبيعة قوم فوجب ردهم بفهم الشرائع والأحكام والكتب والوعظ والأرشاد والتنبيه. فالخلاصة أن وضوح الشئ جداً سبب لحفائه ولذلك ترى الحواس لا تتأثر بما اعتادته ولولا ظلمة الليل ما عرف فضل الشمس فلذلك كله ترى الناس يعرضون عن النظر في السموات والأرض مع أنها أكبر ما يشاهد (اَخْلَقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) فإذا صورت لهم في الفاظ أو خط قربت من فهمهم ولحظوا المقصود منها فاما النظر الى حقائقها من أول وهلة فذلك قليل ومن الناس من اذا ذكرته بهذا أعرض ونأى بجانبه واذا ذكروا لا يذكرون واذا رأوا آية يستسخرون بل يقولون هذه أمور معروفة وكل الناس يفهمونها وهذا قول أحد رجلين إما جاهل أو متكبر قال تعالى في الأول (أُولَئِكَ الَّذِينَ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ) وفي الثاني (سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ

بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشدي لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الفى يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين (ولقد غرهم انهم أوتوا مالا وولدا (والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملى لهم إن كيدى متين) مع أن أحدهم ينظر الى العالم نظرة المتسخر ثم ينكس رأسه ويشرب بنت الحان أو يلهو أو يلعب تسلياً عما اختلج في ضميره من قبح صورة الجهل فى نفسه فانظر كيف أعقبه بقوله (أولم يتفكروا ما بساحبهم من جنة إن هو إلا نذير مبين) أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأى حديث بعده يؤمنون) فباحسرة على أعمار تنقضى ونحن فى غفلة معرضون فانظر كيف دل القرآن وكلامه الجامع وأمثاله العامة على كل ما نراه وما نسمعه مما ارتكز فى فطرتنا (ولقد ضررنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلمهم يتدكرون قرآنا عربيا غير ذى عوج لعلمهم يتقون) وتأمل سورة الرحمن قال تعالى (الرحمن علم القرآن أن خلق الإنسان علمه البيان الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان والسماء رفعها ووضع الميزان ألا تطفؤا فى الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان والأرض وضعها للأنام فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام والحب ذو العصف - التبن - والريحان فبأى آلاء - نعم - ربكما تكذبان) فتأمل كيف بدأ السورة بذكر الرحمة وتعاليم القرآن وخلق الانسان ومعرفة النطق والبيان وشرع بعد ذلك يفصل العوالم المحيطة به ليبينها ويفهمها بعقله فأول ما ذكر أن الشمس والقمر يجريان بحسبان لا يتغير ولا يتبدل وأعقبه بذكر الشجر والنبات وذكر أن هذا العالم كله موزون بالميزان الحق ولكن التأمل هنا فى ذكر الحساب وكيف ذكر ما فى العالم كله فى هذه السورة وبدأه بحساب النيرين ولعمري أن من تفتن لهذه النكتة هاله الأمر جداً فان العالم كله مرتب نظامه على حسب سير الكواكب وعلى حسبها يتكون كل شىء على سطح الكرة وعلى هذا الأصل سار علم أحكام النجوم قديماً

ولقد كانوا يظنون ما يبدو لهم منه صحيحاً مع كثرة ما يظهر لهم من الخطأ في الأحكام ولعمري إن أحكامه موهومة لأن النجوم إن كان بينها وبين عالمنا ارتباط فالمعروف قليل والجهول كثير ولذلك جاء الوحي بتكذيبه فالعالم الأرضي يجرى على سنن سير الكواكب وحره وبرده وإظلامه وإضاءته كذلك فانظر كيف تطابق فعله وقوله (إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) كذلك فلنفهم ونطبق ما نرى على ما نسمع والا كان إيماننا لا يقين فيه

المقاصد

وفيها قسمان : القسم الأول فصلان . والثاني خمسة فصول

القسم الأول في علم القسوغرافيا وهو العلم الباحث في النظام العام للسموات والكواكب السيارة والشموس والأقمار وأقمار الكواكب وأبعادها وأعدادها وتركيبها وأحجامها ومساحاتها وأضوائها المختلفة ونسبة بعضها إلى بعض والبروج والمنازل وما أشبه ذلك — إن هذا العلم في النظام العام أشبه بعلم التشريح في نظام جسم الإنسان

الفصل الأول

من القسم الأول

في مجمل ما عرفته الأمم قديماً وحديثاً

ملخصاً من كتابي الجواهر في تفسير القرآن عند قوله تعالى (تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا) اقتطف منها هنا قولاً وجيزاً فيما ذكر هناك من خطاب الله عز وجل لهذه العوالم وكأنه يقول لها ولم يقتصر التفنن في محاسنك على شعر الشعراء وحساب الحكماء بل تعدى ذلك إلى غيرهم من سائر الخلق فقد أنزلوك منازل حيواناتهم التي أفوها ودواجنهم التي ربوها ليقربوها من متناولهم حتى كأنك بين ظهرائهم مألوفة لهم

(١) فهام أولاً عبادي الآريون سكان الهند صوروا مجاميعك بصور حيوانات

يعرفونها وذلك في كرتهم المصورة قبل المسيح بتسعة قرون فجعلوك بجمعة ووزتين وشجرة كبيرة فيها كلب وصورة زنجي ضخمة الجثة وامرأة مقطاة بوشاح

(٢) وهام أولاء عبادى العرب سمو بعضك باسم بنات نعش الصغرى والفرقدين والجدى وبنات نعش الكبرى والقائد والعناق والجون والسها والهلبة والحوض والظباء الخ
(٣) وهام أولاء الصينيون قد سمو أكثر من ثلثمائة اسم ذكرها فيها أسماء كثيرة من عظمائهم

(٤) ولقد تمادى العرب عبادى في الخيال وأخذوا يقولون اذك الراعى وكنب الراعى والشاة أو الأغنام والضباع والكف الخضب وسنام الناقة والخباء والعز والجديان وممسك الأئنة والحية والدلو والحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت ، وسموا هذه الاثنى عشر بروجاً

(٥) وهام أولاء عبادى أهل (سكندينايا) قد سموك بالكلب وبالركبة وبالمغزل
(٦) وكذلك عبادى في الأقطار الشمالية (الاسكيمو) سموك (صائد القط) والقط حيوان بحرى عندهم فهام أولاء عبادى اتفقوا في مشارق الأرض ومغاربها على تسميتك أيتها النجوم بما لديهم من الصور المألوفة الحية وغير الحية ليستنزلك من سمائك إلى المعانى القريبة من متناولهم استئناساً بك وفرحاً بمرآك وأنساً بمشاهدتك . أيتها النجوم ويا أيتها الشمس أنتن جمال وأنى جمال . وأنتن أنس وأنى أنس . أنتن مشيرات العشق والغرام . أنتن المنعشات لحب العلوم . أنتن المضمرات نار الشوق للقائى ومشيرات نيران الحب الجمالى . أنتن عنوان جمالى وكلى . أنتن حلية عوالى . أنتن العرائس المصطفيات لأحبائى من عبادى وما العرائس الزينات الجلاوات فى الأرض إلا نموذج لزينتكن وجمالكن حتى اذا فرحوا بأقل الجالين طعموا فى أكملها بهاء وأبهامها حسناً ولألاء

وجاء بعد ذلك بصفحات مايتى :

بهجة السموات

كيف تعرف صور النجوم السماوية

اعلم أن علم الفلك قد خطا فيه الأولون خطوات واسعة . ولقد كنا نتعلمه في (دار العلوم) في أواخر القرن التاسع عشر وهذا صورة ما تلقينا نقلته من كتاب المرحوم أستاذنا حسن حسنى بك فلا ذكر ما فيه هنا من صور النجوم ومن الآراء المعروفة إذ ذاك ولكن الذى عرف بعد ذلك أكثر مما يدلك أن العلم اليوم سريع الخطى حتى ان الأجرام السماوية التى عرفت للآن أبعد ما يصل نوره لنا منها فى مائة مليون سنة وهذا القدر عظيم جدا فهو فوق العقل البشرى . وقد عدوا نجوم المجرة (٢٠) مليونا وهى الآن تعد بمئات الملايين فهناك ما فى الكتاب المذكور

وصف السماء . الصور السماوية . النجوم المشهورة

(٢٥) الاحصائيات . الكرات والخرط السماوية

الفلكيون بمعرفتهم الطرق التى بها تعين الأوضاع المضبوطة للنجوم على الكرة السماوية أمكنهم أن ينشئوا إحصائيات فيها النجوم مرتبة على حسب كبر مطالعها المستقيمة وأمام كل نجمة مطالعها المستقيم ومياها واستعملوا هذه الاحصائيات لوضع النجوم بأوضاعها النسبية على كرة صناعية وذلك بأن يرسم على سطح هذه الكرة الصناعية دائرة عظيمة من نقطة ما مثل (ق) نعتبرها القطب الشمالى مثلا وتكون هذه الدائرة العظيمة هى دائرة المعدل ثم ترسم جملة دوائر أخرى موازية لها وتكون هى الموازيات التى ترسمها النجوم تبعا للحركة اليومية ثم ترسم جملة دوائر عظيمة تدل على دوائر الميل ثم تعلم على سطح هذه الكرة جملة نقاط تعين كل واحدة منها بالمطالع المستقيم والميل لنجمة مطابقة ويتحصل حينئذ على كرة سماوية كالكرات الصناعية المبينة لسطح الأرض . وكذلك تنشأ خرط سماوية بطرق المساقط

(٢٦) الصور السماوية . النجوم الأصلية — لأجل مساعدة الذاكرة في دراسة النجوم قسموها من القدم إلى مجموعات متميزة تسمى (الصور السماوية) وهي صور كائنات حية وغير حية تصوّروا رسمها على الكرة السماوية وليس كل هذه الصور مثبته لمسمياتها بل البعض فقط وذلك كالنجوم الأصلية من صورة الثورفان لها وضعا مشبها يشابه نوعا للجزء العظمى من رأس الحيوان وكذا العقرب والاكليل والحية والتنين. وليبان نجوم كل صورة تستعمل الحروف الهجائية فالحروف (ا) و (ب) و (ج) و (د) تدل على أربعة نجوم أصلية من كل صورة بحيث أنه بالمرور من صورة إلى أخرى تكون هذه الحروف مبينة لنجوم تختلف عن بعضها في الضوء.

(٢٧) عدد الصور . قد عدّ (بطليموس) ٤٨ صورة منها ٢١ في الشمال و ١٥ في الجنوب و ١٢ في الجزء المتوسط بالقرب من دائرة المعدل في المنطقة التي يظهر أن الشمس تقطعها في سيرها السنوي ويشتمل مجموع هذه الثمان والأربعين صورة على (١٠٢٩) نجمة منها (٣٦١) للصور الشمالية و (٣١٨) للصور الجنوبية و (٣٥٠) للصور المنطقية . والاثنان عشرة صورة المنطقية اعتبرت المنازل المتتالية للشمس في مدة سنة وأسمائها هي (حمل . ثور . جوزاء . سرطان . أسد . سنبله . ميزان . عقرب . قوس . أوری . جدی . دلو . حوت . وهي مجموعة في قول بعضهم

حمل الثور جوزة السرطان ورعى الليث سنبل الميزان

ورمى عقرب بقوس لجدی نزع الدلو بركة الحيتان

والاحدى والعشرون صورة الشمالية هي (الدبّ الأصفر أو بنات نعش الصغرى . الدبّ الأكبر أو بنات نعش الكبرى . التنين أو الثعبان . الملهب . العوا . الاكليل الشمالى . هر كول أو الجاثى على ركبتيه . النسر الواقع أو السلحفاة . الدجاجة . ذات الكرسي . برشاوش . ماسك العنان . الحواء . الحية . السهم النسر الطائر . الدلفين . الفرس الأعظم ، الفرس الأصفر . المرأة المسلسلة . المثلث الشمالى أو الدلتا) والخمس عشرة صورة الجنوبية هي (قيطس . الجبار . نهر الأردن . الأرنب .

الكلب الأصفر . الكلب الأكبر . السفينة . الشجاع . الكاس أو الباطية . الغراب .
المجرب أو المجره . سنطورس . الذئب . الأكليل الجنوبي . الحوت الجنوبي (

(٢٨) والنجوم التي تتكوّن منها الصور المعروفة عند الأقدمين تنقسم الى أقدار
فأضوءها تسمى من القدر الأوّل ثم ما يليها في الضوء يسمى من القدر الثاني وهكذا
والقدر السادس يشتمل على النجوم التي هي آخر ما يمكن رؤيته بالعين وهذا الترتيب
اعتباري لأن آخر نجمة من القدر الثالث مثلاً يمكن أن تكون هي أوّل نجوم القدر
الرابع ولذا يوجد اختلاف بين الفلكيين في هذا الاعتبار . ولكن المتأخرين حافظوا
على هذا التقسيم وعلى رأى الموسيو (أرجيلاندر) يحتوى نصف الكرة الشمالي على ٩ نجوم
من القدر الأوّل و ٣٤ من القدر الثاني و ٩٦ من الثالث و ٢١٤ من الرابع و ٥٥٠
من الخامس و ١٤٣٩ من السادس . والمجموع هو ٢٣٤٢ وأما نصف الكرة الجنوبي
فيحتوى على ٤٦٨٤ نجمة منها ١٨ من القدر الأوّل و ٦٨ من الثاني و ١٩٢ من الثالث
و ٤٢٨ من الرابع و ١١٠٠ من الخامس و ٢٨٧٨ من السادس . وأشهر الخرط لا تعطى
اليوم سوى ٢٠ نجمة من القدر الأوّل وهي مرتبة على حسب ضوئها

أسماء	أسماء	أسماء
(١٥) الطائر	(٨) الشعرى الشامية	(١) الشعرى اليمانية
(١٦) السماك الأعزل	(٩) كتف الجبار	(٢) سهيل اليمين
(نير السنبلة)	(١٠) آخر النهر	(٣) (١) من سنطورس
(١٧) فم الحوت	(١١) الدبران	(٤) السماك الرامح
(١٨) ب من الدجاجة	(١٢) ب من سنطورس	(٥) رجل الجبار
(١٩) رأس التوأم المؤخر	(١٣) (١) من الدجاجة	(٦) العيوق
(٢٠) قلب الأسد	(١٤) قلب العقرب	(٧) الواقع

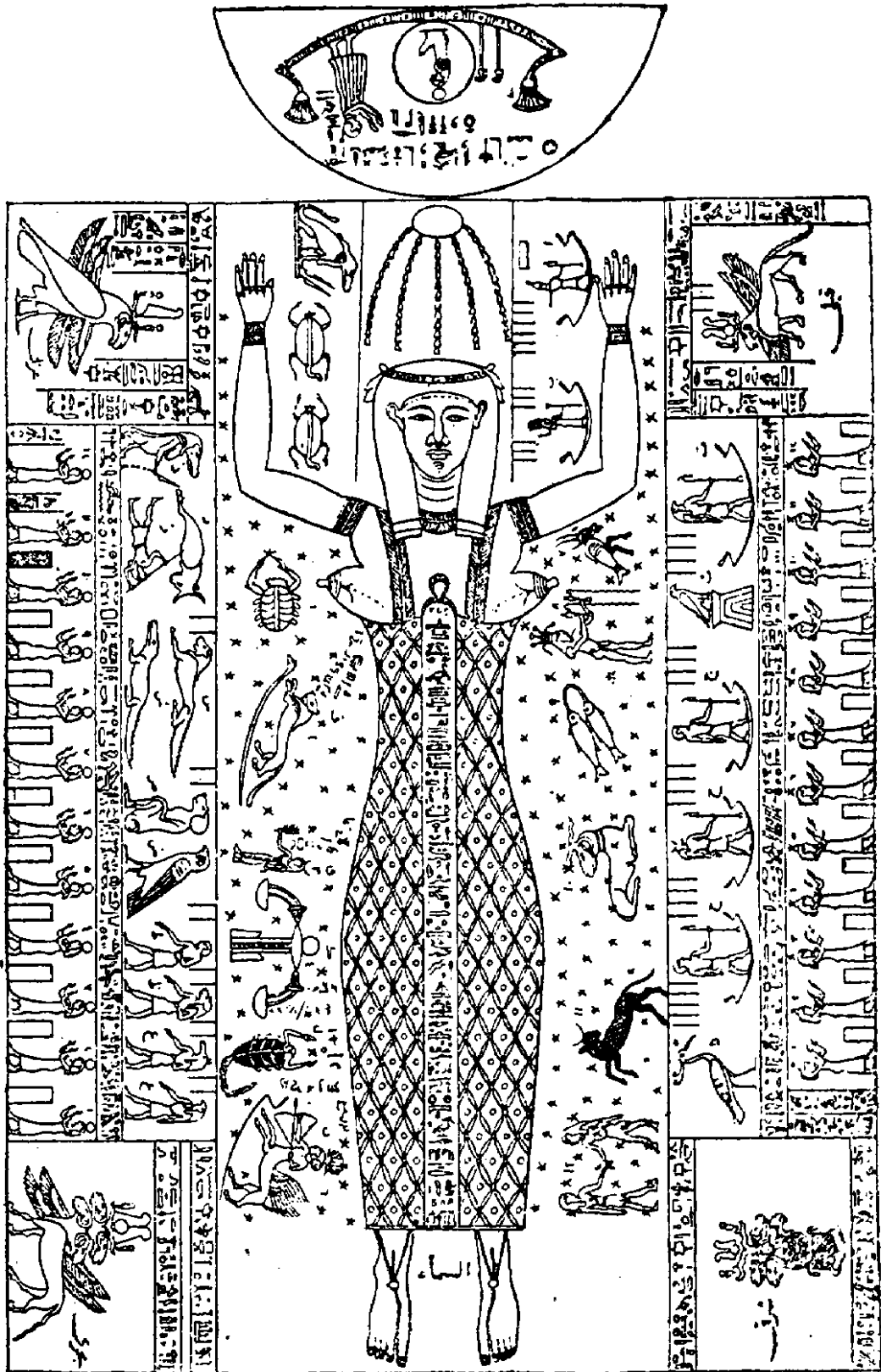
(٢٩) عدد النجوم المنظورة — يظهر أن عدد النجوم التي ترى بالعين عظيم جدّه

ولقد حصر المسيو (أرجيلاندر) ٣٢٥٦ نجمة ترى بالعين وتمتد على القبة السماوية بين القطب الشمالى و ٥ من ٣٦ من الميل الجنوبى وهذه المنطقة تشتمل تقريبا على ٨ من ١٠ السطح الكلى للكرة وبهذه النسبة يكون للعشرين الباقيين (٨٤٤) نجمة ويكون العدد الكلى للنجوم التى ترى بالعين (٤١٠٠) نجمة . وبعض الراصدين ذوى البصر الحاد أمكنهم رؤية بعض نجوم من القدر السابع حتى أن العدد السابق وصل الى ٦٠٠٠ نجمة تقريبا أو أزيد من ذلك ، وإذا استعملت النظارات يزداد هذا العدد كثيرا ويصل الى (٢٠٤٠٠٠٠٠) نجمة تقريبا فى جميع السماء من ابتداء القدر الأول لغاية القدر الخامس عشر

هذا ما أردت إثباته فى هذا الكتاب ومن أراد ازدياد الفهم والعلم فعليه بمطالعة كتابنا الجواهر فى تفسير القرآن فيه متسع لمن اتسع له الوقت وصفاله الزمان فهناك ترى أشكال بعض الصور السماوية وكيف الطريق لمعرفة بنفسي هذه الصور فى السماء ومباحث أخرى فى مواضع مختلفة من الكتاب ولكنى لا بد لى من أن أحلى جيد هذا الكتاب بصورة بدية بهية عثر عليها الباحثون مرسومة على تابوت عظيم من عظماء قدماء المصريين تتضح بها البروج مرسومة بهيئة بدية وكواكب كثيرة ليعلم المسلمون فى أقطار الأرض أن الأمم القديمة العهد كانت معترفة بجمال الابداع فى صنع الله عز وجل قبل أن تنحط عقائدها ويضعف حبه الله كما يطلبه القرآن وفى ظنى أن الغرام بذلك الجمال سيكون فى أمم الاسلام المقبلة أكثر من الأمم المتأخرة الاسلامية ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون

جاء فى تفسير قوله تعالى : (فَالْيَوْمَ تُنْجِيكَ بِدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً) مانصه :

ان قدماء المصريين فى عصر اليونان أو الرومان حسبوا هيئة السماء بالكيفية التى وجدت على صندوق حتر بطيبة (شكل ٩) وفيها رسمت السماء على صورة امرأة رافعة يديها ويسترها ثوب طويل مثبت على الاكتاف بحالات وفى رجلها نعلان .



(شكل ٩)

وعلى رأسها عصاة وفوق رأسها إشارة هيروغليفية يشار بها الى الشمس ذات الأشعة
وعلى جانبي هذه المرأة البروج الاثنا عشر منها ستة عن اليمين وهى السرطان والأسد
والسنبله والميزان والعقرب والقوس وستة عن اليسار وهى الجدى والدلو والحوت والحمل
والثور والجوزاء .

وأجل شئ، يستحق الالتفات اليه الكواكب السيارة الخمسة البادية
الذكر وهى بين النجوم المنتشرة عن يمين المرأة (نوت) منها اثنان فوق برج الأسد
وهما كوكب المشتري وكوكب زحل أشير إليهما بحرف (ف) كما أشير بحرف (ق)
الى كوكب المريخ الموضوع بجانب برج السنبله وفوق هذا البرج اسمه وهو (نتر —
سب تاحم) وبين الميزان والعقرب عند حرف (ك) كوكب عطارد ويسمى (سبك)
وتحت ذاك نقوش صعبة الحل مرموز لها بحرف (ل) وهى تدل على برج الميزان وبين
العقرب والقوس فى المكان المرموز له بحرف (م) كوكب الشعرى اليمانية (نتر — دوا)
والكتابة التى فوق العقرب صعبة الحل أيضا وهى اسم برج العقرب ويرى فوق القوس
اسمه (بشت) وقد وضع فوقه حرف (ن) للدلالة عليه . أما الصور المرموز لها بحروف
(ت ت ج ح خ د) فانها تدل على كواكب عرفت مدة الفراعنة لأنها وجدت
مرسومة على بعض آثار الأسرة التاسعة عشرة والعشرين ، وقد عرف قدماء المصريين
نجومًا غير ما ذكر كالمرسومة بين ذراعى (نوت) وكالجوزاء المشار اليها بحرف (ا)
والشعرى اليمانية والنجم المسمى (حس — مون) أو (رتر) أى النسر الواقع والذب
الأكبر المرسوم على هيئة فخذ الثور يسمى (ضبس) والنجم (آن) والأسد (س)
والتمساح (ش) والصور الأربعة المشار اليها بحروف (ط ظ ع غ) يرمز بها للملائكة
الأربعة المختصة بحفظ أحشاء الأموات وهى (أمست) و (حبي) و (دواموتف)
و (قبح سنوف) وقد جعلت هنا رمزاً للنجوم أما الأربعة والعشرون صورة التى عن
يمين ويسار المرأة الدالة على السماء فهى رموز للأربع والعشرين ساعة فاعات النهار

جعلت على هيئة نساء فوق رؤوسهن قرص الشمس إشارة إلى النهار وساعات الليل
رسمت أيضا كنساء فوق رؤوسهن نجمة إشارة إلى الليل وبجانب ساعات النهار كتابة
معناها ﴿ السلام عليك أيها المتوفى حتر بن المرحومة بحر الخ ﴾

فالساعة الأولى هي ساعة الفجر والأخيرة هي ساعة المساء وقد رمز للنقط الأربع
الأصلية في أركان شكل (٩) أيضا بحيوانات فلاحية البحرية سبع له أربعة أجنحة
ورأس كبش فوقه قرنان وبينهما قرص الشمس تعلوه ريشتان وبجانبه شعبانان وأشاروا
للجهة الشرقية بعجل له أربعة رؤس كباش وللجهة الغربية بباشق له أجنحة ورأس
كبش عليه ريشة وقرنان فوقهما شعبانان وللجهة القبليّة بسبع له أربعة أجنحة وأربع
رؤوس كباش ويشاهد في الرسم الذي فوق رأس المرأة (نوت) الدالة على السماء
مركب الشمس وفيها صورة المتوفى (حتر)

الفصل الثاني

من القسم الأول

ما ترجمته من اللغة الانجليزية من كتاب اللورد أوفيري

في الشمس وسيارتها والقمر والثوابت

الكواكب

ولندبج كتابنا هذا بما خبره يراع الكاتب الشهير العلامة اللورد (أوفيري)
في كتابه جمال الطبيعة . قال ذهبت لأزور مدينة نابلي فقصدت فيزوفيا لأشاهد
الشمس وهي تشرق من ذروة الجبل ثم صعدنا إلى (المرصد) مساء وقضينا الليل فوق
الجبل والسماء فوق رؤوسنا صافية الأديم تقيّة الراحة لم تنتقب بحجاب ولم تتوار بتقاب
وكان البحر تحت أقدامنا يتفرع منه خليج ازدان بالأنوار ورصع بدرارى الثريات
اللامعات والمصابيح المتقدات على شكل نصف دائرة هندسية يكاد سناضوها يذهب

بالأبصار والقمر والنجوم من فوقنا تزيد الجلال كلاً ، والبهجة رواء وبهاء فالقمر يرسل أشعته الفضية وينشر ملاءة بيضاء ناصعة كست الماء بهجة وجمالا والنجوم تتلألأ في الهواء وتراقص في جو السماء بأنوار وأضواء لن أنساها أبداً .

كم قرون مضت وأمم خلت وأجيال قضت وهم يعجبون مما عجبنا ويستعظمون مارأينا من هذه المشاهد والعجائب السماوية ولم يوفوا جمال السماء وزينتها حق قدرها ولم يقفوا على حقائقها ولا مقدار عظمتها فلم تتناولها آراؤهم ولم تسم إلى سماء عظمتها أسماءهم وإنما نحن مدينون في ذلك للعلوم الفلكية

وهل الحيل الميكانيكية إذا اختيرت لمقياس حركة الاجرام السماوية استقر لها قدم أو اعترف لها بمقدار حين ظهر وبهر الاكتشاف العظيم للعلامة (نيوتن) — قال رسكن أن العلوم أرتنا أن السحاب ضباب ذو ثلج ومطر وأن الصناعات تيجان من الذهب على رؤس الناس اهـ . وأنا لا أظن قوله صواباً . ولست أرفع الصناعات إلى المقام الذي أنزلها فيه . وإنما العلوم والمعارف والذوق والاختبار هي التي أجلها . وأرفع منها مقاماً وأعلى منزلة العلوم الفلكية — وكم في السحاب من صورة عجيبة فما من رجل يتخيل صورة إلا وجدها فيه فترى فيها سلاسل الجبال والمدن الفاخرة والعواصف تهب على البحار والطيور الطائرة وأنواع الحيوان على اختلافها وكل شكل غريب الحلقة عجيبها — وهل يمر علينا يوم ولا تبهجنا السحاب بألوان باهرات وصور عجيبات ثم شرع يتكلم على القمر فقال

القمر

القمر أقرب كوكب إلينا ولقربه منا يظهر مع مشابهة ما للشمس وهو أصغر الكواكب ولكن لشدة قربه يرى أكبرها

دورته

وكما أن الأرض يسيرها حول الشمس تقطع دائرة في السنة فهكذا القمر يقطع دائرة حول الأرض في الشهر وإذا دارت أرضنا حول مركزها كل ٢٤ ساعة مرة ونتج الظلام والضيء فكان الليل والنهار هكذا ترى القمر يدور حول ذلك المركز في الشهر مرة مقابلاً لنا بوجه واحد تقريباً

وليس القمر كالشمس وسائر الكواكب يضيء علينا بنوره ويمدنا بضوئه . كلا . فأنما نوره من الشمس انعكس عليه منها وتتغير صورته لأن الجانب الذي تضيء الشمس عليه ليس المقابل لنا وحده — ومن ذلك ينتج أشكال القمر التي تزيده رونقاً وبهجة وجمالاً ومنفعة ، من ذا الذي ينظر القمر ولا يعجب لغريب حكمته ويستغرب لدقيق صنعه — نراه أولاً هلالاً دقيقاً جميلاً مصفر اللون يرى في جهة الغرب بعد غروب الشمس ثم يأخذ في الظهور أبعد فأبعد جهة الشرق في السماء حتى يمتلئ ، نوراً ويوافق شروقه من المشرق غروب الشمس في مغربها

إذا صار القمر بديراً أخذ في النقص بالتدريج شيئاً فشيئاً إلى أن يصل إلى التربيع الأخير وحينئذ يرى في السماء صباحاً من الشرق عالياً فوق الأفق كما كان يرى قبل في أول الشهر ثم بعد أيام يمر يأخذ شكل الهلال ثانياً ثم يدق ذاك الهلال في النقص قليلاً قليلاً متقارباً جهة الشمس ثم يختفي عن العيون ثم يظهر بعد ذلك قرراً جديداً كما كان أول مرة ويتبع قانونه المعتاد

المد والجزر

قدمنا أن القمر على الشمس ولم يكن ذلك خاصاً بالجمال بل أنه أرفع مزية من سائر الكواكب السماوية وأكمل منفعة ألا ترى أنه إذا تلاقى سيره مع سير الشمس وازدوجت حركتهما حصل المد والجزر وما أجل منفعهما لصناعة الملاحة في البحار

وذلك أن مرافق البحر وفرضاتها ومينها ترد إليها السفن وتصدر عنها إذا كان المد فان كان جزر انخفض ماء البحر فجرت له الأنهر من البر وما القمر والشمس إذا ذاك إلا كالعملة الذين وكلوا بقنطرة تحجز الماء بمقدار للسفن وتساعد في رى الأرض تمر من فوقها السيارة ومن تحتها بتدبير أبوابها السفن فتأمل كيف دبر الله ذلك التدبير العجيب في سمائه وأرضه وهذا سر من أسرار قوله تعالى (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا) — وفي القمر منفعة أخرى للملاحين فيه يهتدون للجهات ويميزون الطرق وما ينبغى السير فيه وما لا ينبغى (هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)

جغرافية القمر

جغرافية القمر أصبحت معلومة عند الناس كأرضنا بلا فرق فترسم على الخريطات وتدرس بغاية العناية والدقة فترى فيه منظراً عجيباً يرتفع إلى درجات في أعلى جوه بهيئة مخيفة وما تلك المناظر يا ترى — تلك المناظر براكين متسعة بطل عملها وترى بالميكروسكوب المتوسط ولعمري أنه لمنظر عجيب . الجبال شاهقة جداً — أعلى جبال الأرض يبلغ تسعة وعشرين ألف قدم إرتفاعاً وارتفاعها في القمر يبلغ اثنين وأربعين ألف قدم ولنلاحظ أن جبال القمر معتبرة من أدنى أرضه انخفاضاً وأوطئها انحطاطاً أما جبال الأرض فانما اعتبروا مبادئها من موازاة سطح ماء البحر — وكثير من أفواه البراكين متسعة في القمر تبلغ مساحة أقطارها ٧٨ ميلاً وكثير منها ذات مخروطات تقريباً تشابه براكين أرضنا ومن العجب أن نرى جبال النار (البراكين) مسدودة لأفواه بالحلم البركانية وترى البراكين القمرية كأنها سكن لهيبها وخذت نارها وهدأت حرارتها وترى الجبال القمرية خالية من علامة حصول تغير فيها والقمر أصفر

من الأرض حجاً بارداً وأسرع منها طبعاً ، ومن المحتمل أن تلك الجبال قد مر لها
ألف الألوف من السنين فهي أقدم من كثير من سلاسل جبالنا
ومن ذا الذى ينظر فى خريطة القمر وغرائبها ولا يتعجب من ذلك المنظر المدهش
المعجب البادى على وجهه والحال الغريبة المحيطة به وذلك خلوه من الماء والهواء
ألا ترى أن هذين العنصرين يحيطان بالكرة الأرضية فيحدثان الرياح والأمطار
والرعد والبرق والثلج والبرد فتحارب تلك الحوادث الجبال الشم وتذك العروش العالية
وتبرى التماثيل وتخر لها القصور من أعاليها والمباني الفاخرة فيجعل عاليها سافلها أليس
هذا كله فعل الهواء والماء فلا غرابة اذا هال منظر القمر وسلمت جباله على مدى الأيام
بلا أدنى تغيير - واعتري جبال الأرض التغيير والتبديل . كيف لا وأدنى المطر
والرياح يحدث ثلماً وتغيراً فما بالك بالعواصف والأعصار والمزن العظام وعلى ذلك بقيت
جبال القمر آلاف الآلاف من السنين على حالها الى الآن واعتري التغيير جبال أرضنا
وما عليها .

عجائب القمر المجهولة

تعلم يا سيدى أن جبال القمر وجبال نارها انما سميت بهذه الأسماء واعتبرت هذا
الاعتبار لما يرى عليها من المشابهة بالمقارنة بينها وبين جبال أرضنا وجبال نارها ولكن
الأمر العجب الذى وقفت العقول دونه وتحيرت آراء العقلاء فيه ان هناك متسعاً عظيماً
كقمة البركان يبلغ ارتفاعه ١٧ ألف قدم وعرضه خمسين ميلاً ينتشر منه الضوء الى
جميع الجهات منبسطاً على سطح القمر ممتداً الى مئات بل آلاف الأميال ماراً على
السهول والأودية والجبال وهذا أمر عجيب فياليت شعرى ما منبع هذا النور وما سبب
سيره وامتداده هنا وقفت عقول البشر ولم تدر ما كنه هذه الغريبة اه .
أقول ان جريتنا على أصولهم المرعبة وأقوالهم الأساسية سهل الجواب وذلك انهم
يقولون ان الأرض محشوة ناراً وان البراكين تنفجر كينابيع منها ثم قالوا ان القمر غاب

عنه العمران ومات منه الثقلان فوقفت الحركة وتعطلت المنافع فانقطعت البراكين وبناء
عليه تقول ان في جوف القمر كرة من نار كما في أرضنا فانشق القمر بزلزلة عظيمة اندكت
لها الأركان وخضعت لها السكان وقامت قيامتهم فشح النور من هذا القسم الواسع والهوة
العظيمة وإذا يخرج بنفسه الى جميع الجهات أما ذلك الارتفاع فانما هي تلك اللحم التي
قذفها والجبال التي نثرها

الشمس

لنفرض في الكلام على الشمس ناهجين منهجنا من اقتباس آراء العلماء في كتاب
جمال الطبيعة للعلامة اللورد ايفري ثم ننظر كيف كانت هذه العجائب المكتشفة من
خفايا التنزيل وانها معجزة له فنقول

الشمس أبعد من القمر عن الأرض ٤٠٠ مرة وهي كرة لامعة قوية لا تقاس
حرارتها بفرن عظيم في أرضنا وهي أثقل من الأرض ٣٠٠ ألف مرة وأوسع منها مليون
مرة فأكثر وقطرها ٨٦٥ ألف ميل وتدور حول محورها ما بين ٢٥ و ٢٦ يوماً وبعدها
عن الأرض ٩٢٥٠٠٠٠٠ ميل ومع هذا كله فالشمس ليست في مصاف الكواكب
الكبرى وانما هي من النجوم المعتادة

على سطحها أعاصير وزوابع ملتهبة بالنار العظيمة قد تصل في ارتفاعها عن سطح
الشمس ٣٥٠ ألف ميل ثم تعود كأن لم تكن من قبل وقد لاحظوا أن الارتفاع المعتاد
لتلك الزعازع والأعاصير أن تصل في الثانية الواحدة مائة ميل والنهاية القصوى العادية
١٠٠ ألف ميل ارتفاعاً .

معجزة للقرآن في آخر الزمان

ذكر في التنزيل (اعصار فيه نار) ولم نشاهد هذا الاعصار على سطح الكرة
الأرضية وأظهر الاكتشاف الأوربي ان أعاصير الشمس ملتهبة بالنار ومعلوم ان

الأعاصير رياح هائجة متلاقية في مكان واحد تعلو الى جو السماء فانظر كيف ظهر أن
الأعاصير النارية على سطح الشمس المرسلة أشعتها عرفاً تبعاً الى الأرض بمازجة
لعناصرها فهذا القول وان لم يكن جيباً به على الشمس فانما فيه رمز الى أن في العالم
أعاصير مزجت بالنار لها اتصال بكم وبيساتينكم المذكورة في الآية قبلها ولو شاء لسلطها
عليكم فأحرقت زرعكم اذا لم تخلصوا في أعمالكم كما يعلمه من فهم الآية قبلها

حرارة الشمس

في معنى الحديث الصحيح (يد الله ملأى)

هذه الحرارة الشمسية المرسلة لنا من الشمس حيرت علماء هذا العصر فأخذوا
يجدون في البحث عنها

مضت ملايين من السنين والشمس ترسل أشعتها تبعاً ولم ينقص منها قليل من
الحرارة ما هذا المنبع الذي لا ينفد
ولو كانت الحرارة باحترق عناصرها لنفدت في القرون الأولى ولم تبقى في الوجود
أكثر من ٦٠٠٠ سنة — فاختار بعضهم ان هناك شهباً تتساقط عليها تكسيها ما أريجه
وقال آخر أن قطر الشمس ٨٦٥٠٠٠ ميل والشمس تتجمد دوماً فينقص القطر كل
سنة ٢٢٠ قدماً

منافع الشمس

أقسم الله بالشمس وكررها في مواضع كثيرة ليرينا عظمته وحكمته ويأمرنا بالنظر
والفكر في خليقته وإلا بقينا في النذل خالدين هل كان يكررها الله في القرآن عبثاً وباطلاً.
أم كان ذلك لحكمة تذكيرنا وإيقاظ عقولنا لما به رقينا وسعادتنا في الحياة وهو النظر
والعلم والتفكير . ألم يكن الأحرى بنا أن نكون السابقين الى هذه المباحث الشريفة :
حق على أمة تركت دينها أن تخضع لمن هو أعلى منها مقاماً وأرفع شأنًا ونحن نبحث
نريد احياء خطة السلف فنقول

الشمس ذات حر وضوء تحيا بهما أجسامنا وتهتدى عقولنا ألم ترها تجتذب الماء من البحار بحرارتها فيزجي سحاباً فتمطره فيملاً الأنهار ويعيش بمائها النبات والحيوان الشمس تثير الرياح بحرارتها فتنتقي الهواء وتسير الفلك في البحر بها تجرى سفن البخار وقطار الحديد إذ الفحم الذي يحترق فيهما إنما هو ما خزنته يد العناية الإلهية في الأرض أحقاباً طويلة في الأعصر الغابرة وفي تلك الفحم المطمورة قد خزنت الحرارة الشمسية لتبقى لمنافعنا

جعل الله عز وجل الشمس بحرارتها منعشة للطيور فتفرد على الأغصان ملونة الأزهار منضجة الفواكه منمية الأشجار ، فالشمس صنعها الله جمالا لصور المخلوقات وأشكالها ناقشة لها مرقشة لأزهارها وألوانها نافعة لنا في غذائنا وشرابنا وملابسنا ولعموم حياتنا ولكل شيء نافع في وجودنا وبقائنا

عجائب الشمس ومعجزة القرآن في تركيبها

في ابتداء القرن التاسع عشر أخذ العلماء يبحثون عن تركيب الشمس وأول ما عرفوا أضواءها السبعة المتحللة بقوس قزح وبالمشور البلوري وبكل جسم شفاف لطيف كالماء ثم رأوا أوسط تلك الأضواء خطوطاً سوداء تغلظها ثم أخذوا ينظرون في أضواء العناصر الظاهرة في أبحرتها فأعدوا لها عدتها وقارنوا بين الأضواء العنصرية الأرضية وبين نظائرها في الشمس بعلامات في الخطوط المركبة منها تلك الحزم الضوئية فأول ما عثروا عليه أن رأوا مشابهة بين أضواء الصودا وبين نظائرها في ضوء الشمس وهكذا أخذوا يرون عنصراً بعد عنصر إلى ٣٦ ولا ريب أن العناصر المعلومه في الأرض الآن تربو على السبعين ومن العجب أنهم رأوا أضواء في الشمس لعنصر لم يروا نظيره في الأرض فسموه عنصر الشمس ثم عثروا عليه في النوروج وكان ذلك انتصاراً باهراً للعلم والحكمة واستنتج من ذلك من باب الظن والفكر أن الأضواء الشمسية التي لم تعرف معادنها في الأرض والمعادن التي لم تعلم أضواءها في الشمس لا تمنعنا من القول

بأن الشمس مركبة من العناصر التي في الأرض تقريباً اه
 ونحن نقول أنت تعلم من هذا أن هذه البراهين غير قطعية وإنما هي فراسات
 وحسبيات توجب الاطمئنان فمن ذا الذي يخبر تلك الأرواح الطاهرة في برازخها
 فطاحل علمائنا العظام كالفخر الرازي والغزالي والزمخشري والسيد والعضد ويقول لهم
 أن بناءكم قد تم تشييده ورفع عماده فلقد حاربتم فلاسفة اليونانيين الذين زعموا أن العالم
 قديم وهذه الكواكب لا تتغير ولا تتبدل فهي خالدة فرددتهم عليهم وحاربتموهم
 بالقرآن (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ) فيا أيها الأرواح الطاهرة هاهي ذه آراؤكم أصبحت
 الآن منظورة بالمنظار المعظم وأضحى الاكتشاف الحديث معجزة للكتاب المقدس
 ألا فلتقر أعينكم في برازخكم .

معجزة أخرى للقرآن

العالم يناسب بعضه بعضاً بل هو كجسم انسان واحد وحيوان واحد ولا بد من أن
 يكون بين أجزائه تناسب ولولا المناسبة بين الأرض والشمس لم تقبل الأولى من
 الثانية ضوءها ولا حرارتها ولم تدر حولها فهي مركبة تركيبها (مَا تَرَى فِي خَلْقِ
 الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَافُوتٍ) اه

نظام الكواكب وترتيبها

علم الحكماء من مبدأ أمرهم أن هذا العالم نظام واحد كأنه حيوان أو انسان رتبت
 أعضاؤه ترتيباً محكماً ولما كانت الكواكب والشمس والقمر هي الأعضاء الرئيسية
 لهذا الجسم وجهوا أنظارهم إليها في أبحاثهم عليهم أن يعثروا على قانون يصلها أو حساب
 يجمعها فوصلوا الى تلك النتيجة في علم الفلك وعرفوا قوانينها وحسابها ثم نظروا نظرة
 في النجوم من حيث وضعها في المكان وعرفوا أنه كما أن العينين والأذنين والحاجبين
 والهدبين والجفنين والمنخرين والحددين واليدين والكتفين والثديين والجنبين والرجلين

موضوعات في أجسامنا وضعاً هندسياً بحيث أن الخطوط الواصلة منها الى السطح الموهوم القاسم للجسم « المسمى في الهندسة محلاً هندسياً » القاسم له من أعلى الى أسفل طولاً تضحي تلك الخطوط مساوية كل لنظيره فلو قسم رجل بسيف الى قسمين قسمة متساوية من أعلى الى أسفل لوجدت هاتيه الأعضاء كل منها يصل الى ذلك الوسط بخط مساو الى خط نظيره فهكذا فلتكن للواكب رتب محفوظة في أوضاعها وابعادها ومداراتها وترى أنهم يحاولون ذلك ليرجع العالم كله الى نسب موسيقية يستلذ بها العقل كما تستلذ الأذن بالأصوات المنتظمة « ان شئت فاقراً مقالة النغمات والعلوم في كتابنا النظام والاسلام » ولعمري أن الله مدبر العالم وهو واحد فالعالم واحد حتى أن أفلاطون جعل هذا برهاناً على وحدانية الله فقالوا أن هذا العالم واحد وكل كوكب منه عضو من أعضائه فمدبره واحد يشير اليه قوله تعالى (مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَعْشُقُكُمْ إِلَّا كَنْفُسٍ وَاحِدَةٍ) ، (يُدَبِّرُ الْأُمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ) ، (لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ) فبقارن بين خلق الناس وخلق السموات والأرض وفرق بينهما بالكبر والصغر لاغير

وهناك ما قرره علماء الاسلام في أوضاع الأرض والكواكب قالوا معلوم أن الأرض كره وهمي مركز العالم « على المذهب القديم » فإذا قدرنا قطرها ثمانية كان قطر الهواء تسعاً وقطر القمر ١٢ وقطر فلك عطارد ١٣ وقطر فلك الزهرة ١٦ وقطر فلك الشمس ١٨ وقطر فلك المريخ $\frac{٢١}{٣}$ وقطر فلك المشتري ٢٤ وقطر فلك زحل $\frac{٢٧}{٣}$ فهي هكذا

الأرض الهواء قمر عطارد زهرة شمس مريخ المشتري زحل

٨ ٩ ١٢ ١٣ ١٦ ١٨ $\frac{٢١}{٣}$ ٢٤ $\frac{٢٧}{٣}$

وقالوا هناك نسبة بين الأرض والقمر وبينها وبين الهواء والزهرة والشمس والمشتري اذ فلك القمر مثل فلك الأرض مرة ونصفاً والهواء مرة ونعنا والزهرة مرتين والشمس مرتين وربعا والمشتري ثلاث مرات وأما الثلاثة الباقية وهي عطارد والمريخ

وزحل فليست نسبها محدودة « اذ المحمود مثل النصف والربع والثلث » فقل عنها انها نحوس هذا ما قاله علماؤنا جارين على مذاهب اليونان ناهجين مناهج النسب المعربة عن النحوس والسعود

أن أبعاد السيارات عن الشمس تتبع نظاما معلوما واذا أخذنا الأرقام التالية
 ٠ ٣ ٦ ١٢ ٢٤ ٤٨ ٩٦ وكل منها كما ترى ضعف ما قبله ونصف ما بعده وأضفنا
 رقم ٤ الى كل رقم كان لنا السلسلة الآتية ٤ و٧ و١٠ و١٦ و٢٨ و٥٢ و ١٠٠
 واليك نسبة مسافات السيارات عن الشمس عطارد ٣٩ر٣ الزهرة ٧٢ر٢ الارض ١٠ المريخ
 ١٥٥ر٥ المشتري ٥٢ر٩ زحل ٩٥ر٤ هـ

(ايضاح أتم لهذا المقال)

ولا ذكر لك ما رسمه الافرنج لتطلع على آراء الشرق والغرب في النجوم وتأمل
 كيف اتحدت الوجهة واختلفت النتيجة لتعلم أن جميع العقلاء يرمون الى غرض المعرفة
 سواء أوصلوا الى النتيجة أم لا وجميعهم حكماء — ذكر (أوفيري) في كتابه جمال
 الطبيعة ناقلا عن العلامة (بود) قانونا سموه (قانون بود) ذلك القانون لم يتم انضاجه
 ولم تكمل تجربته فلا يزال عمل نظر وفكر وذلك أن كل كوكب يبعد عن الشمس
 ضعف ما قبله زيادة ثابتة ما عدا الأول . ايضاحه أننا اذا فرضنا أن عطارد بعده عن
 الشمس ٤ فبعد الزهرة ٧ والأرض ١٠ والمريخ ١٦ وفي بعد ٢٨ متسع عظيم ومنطقة
 مشغولة بكواكب أخرى يعبرون عنها (زون) تبلغ نحو ٣٠٠ محوطة بأخرى صغيرة
 كأنها ذرات لا تكاد تميز اكتشفها العلامة (بيزي) وكلها كواكب سيارة
 صغرى من أجمل مكتشفات هذا العصر في المسافة العظمى بين المريخ والمشتري وكان
 ذلك في أول يناير سنة ١٨٠١ أى نحو قرن

ثم المشتري ٥٢ وزحل ١٠٠ هذا هو القانون الذى رسمه (بود) وأكمله (بيزي)
 يريك أن بعد كل كوكب عن الشمس مضاعف لما قبله بزيادة ٤ وهو تقريبي وها أنا
 أريتك قول الفريقين الشرقيين والغربيين لتعلم أن كل امرئ عاشق للوقوف على

أسرار الخليفة ومحِب أن يشهد نظام الله المتقن ليكون من أولى العلم المعبر عنهم في آية (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) فهاهو ذا القسط والعدل وهو الوضع المنظم المتقن المحكم (حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ) ، (وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا) ، (الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ) (مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ)

وهانحن أولاً، أرجعنا البصر كرتين كرة بالبصر وأخرى بالبصيرة أو بالأخرى مرة بالحس وأخرى بالعقل فبالنظرة الأولى شاهدنا قبة زرقاء مرصعة بكواكب تبلغ ثلاثة الآلاف بالعين المجردة عن الميكروسكوب ومئة مليون بالنظر في الصور الفوتوغرافية المأخوذة عن صور السماء ولم نر فيها عوجاً ولا أمثاً بل هي ملساء لاشقوق فيها ولا فطوراً وبالنظرة الأخرى وهي الفكرية

وقال في المقتطف عدد الجزء الأول يناير سنة ١٩١٨ كانون الثاني المجلد ٥٢
٤ ٧ ١٠ ١٦ ٢٨ ٩٢ وهي مكونة من الأعداد التالية ٠ ٣ ٦ ١٢ ٢٤ ٦٨
٩٦ ١٩٢ ٣٨٨ يضاف إلى كل منها العدد ٤ فتصير هكذا ٤ ٧ ١٠ ١٦ ١٨ ٥٢
١٠٠ ١٩٦ ٣٨٨ والأبعاد الحقيقية عن الشمس هي الآتية :

عطارد ٣٦.٠٠٠.٠٠٠ ميل الزهرة ٦٧.٠٠٠.٠٠٠ ميل الأرض ٩٣.٠٠٠.٠٠٠
ميل المريخ ١٤٢.٠٠٠.٠٠٠ ميل المشتري ٤٨٤.٠٠٠.٠٠٠ ميل زحل ٨٨٧.٠٠٠.٠٠٠
ميل اورانوس ١.٧٨٢.٠٠٠.٠٠٠ ميل بنتون ٢.٧٩٢.٠٠٠.٠٠٠ ميل والذي بين
المشتري والمريخ ٢٥٢.٠٠٠.٠٠٠ وهي هكذا :

الأول ٩.٠٠٠.٠٠٠ × ٤ الثاني ٩.٠٠٠.٠٠٠ × ٧ الثالث ٩.٠٠٠.٠٠٠ × ١٠
الرابع ٩.٠٠٠.٠٠٠ × ١٦ الخامس ٩.٠٠٠.٠٠٠ × ٢٨ السادس ٩.٠٠٠.٠٠٠ × ٥٢
السابع ٩.٠٠٠.٠٠٠ × ١٠٠ الثامن ٩.٠٠٠.٠٠٠ × ١٩٦ التاسع ٩.٠٠٠.٠٠٠ ×
٣٨٨ عرفنا حساب منازل الشمس والقمر والكواكب فرأيناها مفصلة تفصيلاً حسناً

جميلاً موضوعة وضعا باتقان مرصعة في تلك الاماكن الشاسعة بابعاداً مثمة متناسبة لا ترى في حسابها فطوراً ولا شقوقاً وهذا هو الذي يشهده المقرَّبون الذين يشرَّبون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ومزاجه من تسليم ومن حرم من هذا فقد حرم لذة النعيم في الحياة الدنيا

على نفسه فليبك من ضاع عمره وليس له منها نصيب ولا سهم

هنالك مبدأ الحياة السعيدة وخطوات في الفردوس والزفاف الى الجنات

فيا عجباً كيف وضع كل كوكب على ضعف ما قبله وكيف يقول علماءنا ان وضع الكائنات وضع موسيقى وذلك ان الصوت اذا كان له نسبة مع صوت آخر وتألّف لحن فلا جرم يكون بينهما نسبة شريفة كالثلث والرّبع والنصف أو الضعف أو أربعة أضعاف وهكذا والا كان التأليف بين الصوتين مشوشاً واللعن مزعجاً وبنوا على ذلك كواكب النّجس والسعد بما عرفت من النسب ثم جاء الافرنج وظهر لهم نسب محفوظة بقانون لا تغيّر فيه تقريباً فانظر كيف هام علماءنا وعلمائهم وحكّائهم ووضعوا الارصاد ولزموا السّهاد في طلاب ذاك الجمال والبهاء والحسن والبهجة والنور في تلك القبة الزرقاء فجل الله جلالاً وعزّ جلالاً ألا فلتجد في ذلك ان كنت من أهله
واذا كان بعد عطارد عن الشمس ٣٦ مليوناً ميلاً كما قاله العلامة (أوفبرى) فعرفة ابعاد باقى الكواكب عنا وعن الشمس يسلمها عليك قانونه المرسوم الذى ذكرناه

السيارة

تأمل في اختلاف الكواكب صفراً وكبراً وكيف كان بعضها صغيراً جداً حتى يصغر عن أرضنا وآخرها كبر منها بمئات بل آلاف وكيف تدور هذه كلها حول

الشمس

عطارد

هو أقرب كوكب من الشمس قد يظهر صباحاً ومساءً تحت شعاعها مستحيلاً من طلعتها تقر به وصغره وهو أصغر من الأرض بنحو ٢٤ مرة وسنته ٨٨ يوماً

الزهرة

الزهرة تسمى عند العامة (فريجة) ويعبرون عنها بنجمة الصبح والمساء إذ تراها تشرق آونة فوق الافق بعد غروب الشمس أو قبل شروقها ظاهرة باهرة وسذتها ٢٢٥ يوماً

الارض

وترى الأرض ساكنة هادئة وهي تمر مر السحاب تدور حول محورها كما تدور العجلات المتحركات في الآلات البخارية في كل ٢٤ ساعة مرة ومحيط دائرتها عند خط الاستواء يبلغ نحو ٢٤ ألف ميل وعلى ذلك ترى الرجل الذى على خط الاستواء يتحرك فى الساعة جارياً مع حركة الأرض ألف ميل أو ١٦ ميلاً فى الدقيقة ومن العجيب أن تكون الشمس والأرض والسيارات جارية الى جهة مجهولة ونقطة مبهمه (والشمس تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) وهذه الحركة التى ذكرها القرآن واكتشفها الافرنج تصل فى الساعة ٢٠ ألف ميل أو أكثر من ٣٠٠ ميل فى الدقيقة وترى انها تسيراً حثيثاً فى ذلك محيطه بالشمس يتكون بها السنين الشمسية التى منها السنة القبطية والافرنجية وعليها مدار الزرع والحصاد فى دائرة تبلغ (٥٨٠) مليوناً ميلاً وعليه فنحن نسير حول الشمس فى الساعة نحو (٦٠) ألف ميل أو ألف ميل فى الدقيقة فهذه المقادير ثقلها لك من كتب العلامة أفرى المعاصر لنا فتأمل كيف ترى نفسك ساكناً وأنت سائر (اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ) وكيف نكون ساكنين هادئين ونحن فى الدقيقة تجرى بنا الأرض ١٦ ميلاً الى جهة و ٣٠٠ ميل الى أخرى وألف ميل الى سواها فيا عجباً كيف نكون مستقرين متحركين وما أغفل الناس عما عليه هذا العالم من الحسن والبهاء ، وما أجهل الكثير منا بتلك العجائب والغرائب فيا ليت شعرى أنكون متحركين مستقرين ولعلك تفهم من هذا سر قوله تعالى (وترى الجبال تحسبها جامدةً وهى تمر مر السحاب صنع الله الذى

أتقن كل شيء) فالأرض وما عليها من الجبال والبلاد تتحرك حول الشمس في الدقيقة ألف ميل والناس يحسبونها جامدة وتأمل سيدى (قلة) المدفع إذ ليست تزيد سرعتها عن ١٠ أميال في الدقيقة فانظر كيف كانت حركة الأرض مثلها ونصف مثلها في حركتها اليومية وفوقها ثلاثين مرة في حركة المجموعة الشمسية ومائة مرة في الحركة السنوية حول الشمس فتأمل حركة القلة وقد ضوعفت مائة مرة كيف تكون السرعة بل لا تكاد ترى وهي تمر أمام بصرك

لعمري ان هذه العجائب لما تحار فيها العقول فالحمد لله الذى من علينا بالحياة حتى متعنا بالنظر فى عظمة صنعه وحسن اتقانه وغرائب أحكامه ففى مثل هذا فليجد المجدون وعليه فليتنافس المتنافسون

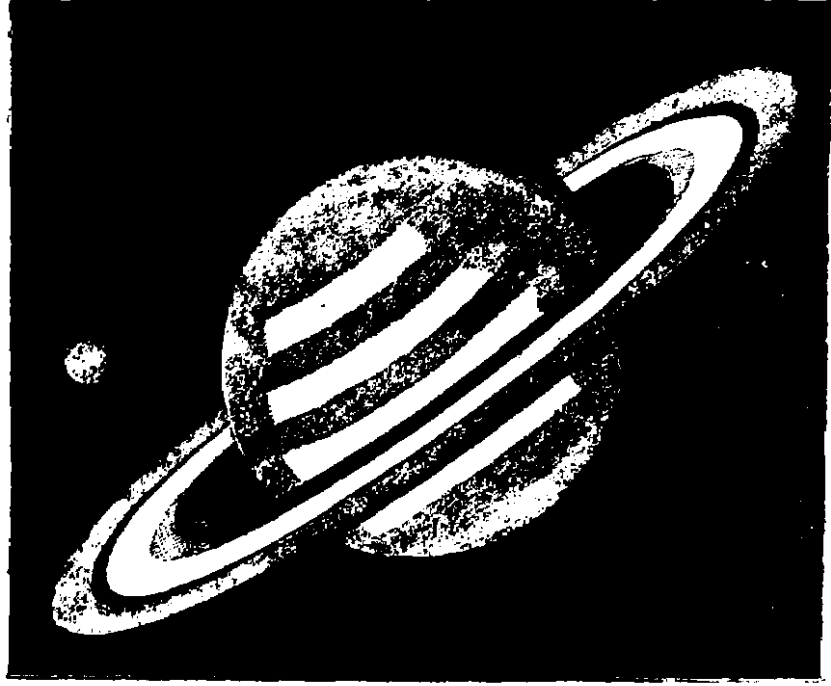
المريخ

وهل أذاك نبأ المريخ أقرب كوكب لأرضنا إذ يبعد عنها بما يبلغ ٣٥ مليوناً ميلاً بلون محمر وكما أن الأرض لها قران سموها (فوبس Phobos) (وديموس deimos) وهو أكبر من نصف الأرض قليلاً وهو وان بعدت مسافته من الأرض فهو أقرب إلينا من سواه فأمكن العلماء أن يحكموا بوجود ماء على سطحه وتكليل قطبه بلون أبيض ناصع يحسبونه ثلجاً كما فى أرضنا ويرينا وجهه خطين (series) متوازيين مجهولة حقيقتها وخاصتها

زحل

ان زحل نجم من النجوم السيارة المعروفة قديماً يقطع محيط دائرته فى (٢٩ سنة) باجماع علماء العرب والافرنج وزحل يقارب المشتري فى حجمه ولكن يظهر للناظر بلا مناظر مقر به نجماً لامعاً صغيراً والعلامة (جليليو Galileu) نظره فى المنظار العظيم فحسبه ٣ نجوم على خط واحد فجاء (هيجنس Huyghens فى سنة ١٦٥٥) فرآه

كوكب محوطة بثلاث حلقات أوسطهن مفضولة من الوسط بخط مظلم وترى تلك الحلقات تعطى زحل زينة وحالاً جردت عنه سائر النجوم



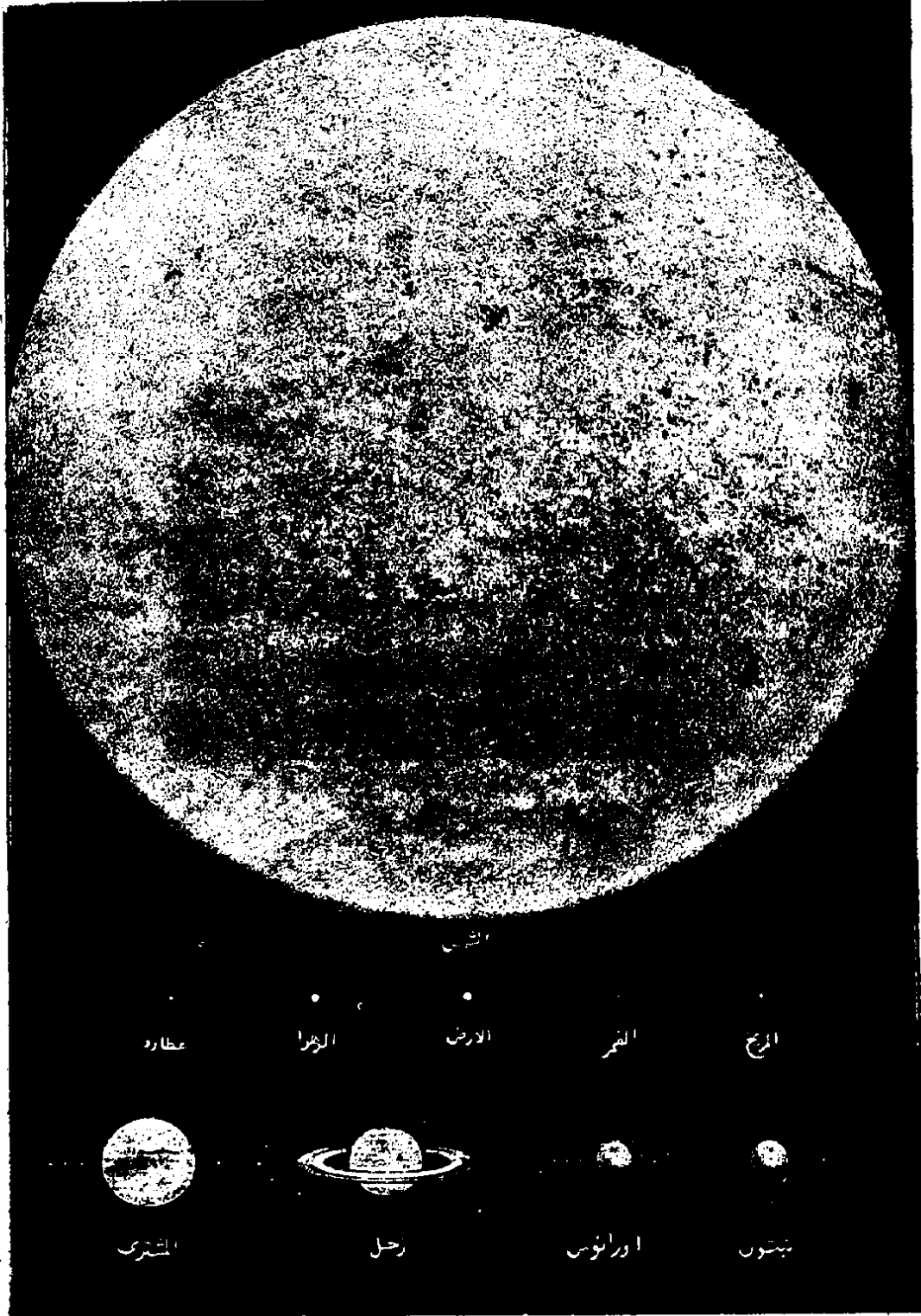
(شكل ١٠) زحل والأرض

المشتري

المشتري يدور في فلكه نحو ١٢ سنة باتفاق الجميع ويبلغ قدر حجم كرتنا الأرضية ١٢٠٠ مرة بحيث إذا اجتمعت السيارات كلها كان المشتري وحده أكبر منهن حجماً ويرى على وجهه أجرام لامعة كأنهن أحزمة تحيط به ربما كانت سحباً تغطي كسحابتنا ويؤخذ مما تقدم أن للأرض قرناً والمريخ قرين وللمشتري أربع ولزحل ٨

أورانوس *uranus*

في ١٤ شهر مارس سنة ١٧٨١ (ويليم هيرشكيل) نظروا في الرصد إذا قرص هذا الكوكب ظاهر جلي فبحث قطره فإذا هو ١٣٧٠٠ ميل وقد اكتشف له أربع



(شكل ١١) هذه الصورة والتي قبلها منقولتان من الصور المرسومة في كتاب الجواهر
في تفسير القرآن وشكل (١١) فيه الشمس وسياراتها

أقمار وفيها أمر عجيب ترى كل قمر يدور حول كوكبه في سطح واحد كالقمر حول الأرض أما أقمار أورانوس فانها تدور على زاوية قائمة كقمر نامثلا اذا دار حول الأرض من الجنوب الى الشمال مع انها تدور هي من المشرق الى المغرب وهذا أمر عجيب

نبتون Neptune

هو آخر كوكب يدور حول الشمس وطول قطره يبلغ ٣٣٠٠٠ ميل وبعده عن الأرض نحو ٢٧٨ مليون ميل.

هذه هي الكواكب التي علمها العلماء تابعة للشمس دائرة حولها وقد كشف قريبا كوكب جديد وراء نبتون وقد رسم وشرح في كتابنا الجواهر في تفسير القرآن في سورة يس

مسألة تشحذ اذهان الرياضيين في الفلك

بعد الكواكب يعرف بأحد أمرين

فان كان قريبا كالسيارة فطريقته أن يرصده اثنان من مكانين مختلفين على سطح الكرة الأرضية وتقاس الزاويتان اللتان بين الآلتين الراصدين والأرض وعليه فيكون للمثلث معلوماً واذا علم زاويتان والضلع بينهما فقد علم المثلث ومتى أمكن على الورقة سهل وبناء على تشابه المثلثات يعرف المثلث الأكبر ويعرف الارتفاع وبهذه الطريقة عرفت السيارات حول الشمس

الطريقة الثانية — أما الكواكب الثانية فليبعدها الشاسع تكبر أن تميز بالعمل السابق لصغر أرضنا حتى ربما كان الرصدان متوازيين في مصرين مختلفين هكذا (١١) وعليه اضطر علماء الفلك الى متابعة سير الأرض حول الشمس فينظرون الكوكب في رأس السنة وبعد مضي ثلاثة أشهر يبصرونه مرة أخرى فبالطبع يرسم خط مقاطع للأول عند الرصد وفي ثلاثة الأشهر الثالثة خط آخر وعند الانتهاء خط رابع فتقاطع

تلك الخطوط لاختلاف نسبة الأرض في الوضع بسيرها حول الشمس في الفصول الأربعة فهي تقطع دائرة قطرها ١٨٥١٠٠٠٠٠٠٠ ميلا ومتى وصلت الشمس الى رأس ستة أشهر كانت المسافة بين وضعها ١٨٥ مليوناً ميلاً فيمكن مقياس الزاويتين والضلع المحصور بينهما مفهوم فيرسم على الورق وبعبارة تشابه المثلثات تمكن معرفة الارتفاع بالضبط وهنا لطيفة وهي أنهم بعد انتهاء السنة ورسم خطوط أربعة متقاطعة تتكوّن عند رؤس الخطوط بعد التقاطع دوائر أخرى تكبر كلما قرب الكواكب وتصغر إذا بعدو عليه القاعدة (بمقدار بعد الكواكب تصغر الدائرة والعكس بالعكس)

وعلى ذلك فبمعرفة مقدار الدائرة السنوية لسير الأرض حول الشمس كما تقدم تعرف إبعاد النجوم ألا ترى أننا بهذا يمكننا على الأقل أن نرسم مثلثاً قاعدته قطر الدائرة السنوية المعلوم مصغراً والزاويتان تكونان معلومتين ومتى رسمناه عرفنا ارتفاعه وبطريقة تشابه المثلثات يمكننا معرفة المثلث الحقيقي وارتفاعه وهو المطلوب

وإذا أمكن رسم المخروط على الورق عرف ارتفاعه ويرجم للنسبة كما تقدم في المثلث ثم إن الراصدين لا يزالون يقيسون إبعاد الكواكب ما دامت متميزة ثم تصل الى درجة لا يمكن تمييزها ويكون الوضع متحداً مع ذلك الفرق الشاسع وهو نحو مائة وخمسة وثمانين مليوناً ميلاً فلا تميز الكواكب إذ ذاك ولا تقاس كما أوضحنا في الكلام على المجرة وهنا يقال لا يمكن معرفة أكثر الكواكب والله يعلم وأنتم لا تعلمون فتأمل هذا الموضوع وحققه

الكواكب الثابتة وأعدادها وأوضاعها وإبعادها

هل أتاك حديث ماسطره يراع العلامة اللورد (أفيرى) وما دبحه في نقوش السماوات فقال تنظر ليلاً فترى عدداً عظيماً من تلك اللوامع وفي المثل عد النجوم كذرات الرمال (كما إن الناس هكذا في كل أمة يضربون بها الأمثال في الكثرة)

وقد عدّها بعضهم فألفاها تبلغ ٣١٠٠٠ ثلاث آلاف نجمة بالعين المجردة من الآلات فاذا استعنا بالآلة المقرّبة (التلسكوب) بلغت مائة مليون نجمة — أما الآلة المصورة الفوتوغرافية فلها شأن أجل ومقام أرفع توضح الأشكال وتظهر الصور وتميز فيما بينها وذلك ان الضوء المنبعث من الكواكب اذا لاقى العين مجردة ارتسم عليها في الثانية الأولى ما تستعد العين لقبوله وكما تواردت أضواء أخرى لم تزد الرائي وضوحاً بل تسكل العين وتضعف الباصرة شأن الحواس الخمس فيما أقنعها من محسوساتها لكن الآلة الفوتوغرافية تقبل في الثانية الأولى ما تقبله عيوننا مجردة وكما ورد عليها ضوء زادت اتساحاً فيخزن الضوء فيها وتتضاعف قوتها حتى تقبل في الساعة من الضوء ما تقبله في الثانية الواحدة ٣١٠٠ ثلاثة آلاف وستماية مرة فاذا رفعنا غطاء الآلة المصورة ساعات متتابة فتعرضت للنور فلن تفقد مما ورد عليها بل تحفظه فيها غير منقوص ولو كان ذلك في ليالى ذوات عدد متتابعات فضلاً عن ليلة واحدة فتفيدنا تلك الآلة ما به يقصر دونها وضوحاً أى تلسكوب في العالم . العين وتلسكوبها ومصوراتها لم تصل الى معشار عشر ما في السماء من كواكب قصرت دونها تطاول الأعناق ومد الأبصار ونصب الآلات

علم القليل من الكواكب بعد هذا العناء والشقة وهذا الذي علم قد أدهش العلماء بعداً وضوءاً وقدرًا واحكاماً فترى أمثال نجمة سيريز Sirius (الشعرى الخمانية) أثقل وزناً من الشمس عشرين ضعفاً وتفوقها ضوءاً بما يقدر خمسين مرة متضاعفة بالنسبة لها أما بعدها فأمر عجيب فاقدر ترفعت وتناهت في أفطار السماء حتى كانت أبعد من الشمس بمقدار مليون مرة فالعجب العجيب من هذه الحكمة الباهرة والعظمة القاهرة والبهجة الظاهرة والقوة الحاضرة حكمة أدهشت العقول وأزاغت الأبصار وحيرت الحكماء وكيف يكون بعد الشمس عنا يقدر بنحو ٩٠ مليوناً من الأميال ويصبح بعد شمسنا المدهش المهول كأنه متر تقيس به أبعاد الكواكب فنقول إن هذا الكوكب يبعد بمقدار هذا البعد مليون مرة . هذا ثم ان هذه النجمة تظهر للناظر أنها ثابتة

لا تتحرك في أفطار السماء ومع ذلك فهي تجرى بسرعة ألف ميل في الدقيقة الواحدة سرعة تقطع دونها سرعة الوهم وجولة الخاطر وحركة الضمير ولحمة الكهرباء، وترى أمثال نجمة السيون (Aleyone) ونجمة فلكتر (Flecter) ونجمة ميا (Maia) وهن ثلاثة أنجم من بنات نعش

فهذه الثلاثة الأنجم أبهج ضوءاً من شمسنا هكذا بالتوالي ١٠٠٠ مرة ٤٠٠ مرة ٤٨٠ مرة ونجمة كوريسيس Carryises وهي سهيل ٢٥٠٠ مره أكبر من الشمس ضوءاً والأعجب من هذا كله والأغرب نجمة اركتورس Arcturus وهي السماك الرامح فهي أضوء من الشمس وأنور منها بما يبلغ ٨٠٠٠ مرة وهي تجرى في الثانية الواحدة ٣٠٠ ميل وأكبر منها عشرين مرة وتبعد عنا بعداً عظيماً حتى أن نورها لا يصل لنا إلا في ٢٠٠ سنة ولقد تعلم أن ضوء شمسنا يصل لنا في ٨ دقائق و ١٨ ثانية وبعدها يقدر بتسعين مليوناً من الأميال فياليت شعري كيف يكون مقدار بعد هذا وعلى ذلك فشمسنا ليست من النجوم الكبيرة وكيف وقد علمنا ترفع جميع نجوم السماء أن تتناولها آلاتنا أو يصل إليها فهمنا لعظمتها وبعدها ولم نصل إلا إلى نزر يسير منها ثم ما وصلنا إليه مع قلته ألفينا منه هذا الكوكب الذي برعها وسبقها فكان أضعافها ٨ آلاف مرة فكيف يكون ضوءه وما تأثير حرارته وما أمقاره وأرضه وسياراته وإنسان أراضيه وحيوانها لعمري ما أصغر شمسنا وما أحقر أرضنا وما أقل علمنا وما أضعف مدنيتنا (وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) دعنا من هذه الكواكب المعلومة والنجوم المرسومة في كتبنا وتأمل في تلك المجرة التي تراها في الليالي الصافية وأنت تنظر في أديم السماء الأزرق فتراه مرصعاً بهيئة جميلة كأنها سحب مستطيل مسافات يخترقها يمينا وشمالا تسميها العامة عند المصريين (طريق التبانة) أي الذين يبيعون التبغ وعلماء الفلك الشرقيين المجرة وعلماء الانجيز كما يقول اللورد (الطريق اللبني) وعند علماء الدين الاسلامي (أبواب السماء) ومهما اختلفت الأسماء فلندعها ولننظر لجوهرها فنقول انها عبارة عن كواكب ترفعت في السماء وهربت في أفطارها وكبرت ان نراها فصغرت في العيون شأن الاجرام المتباعدة وتناهت في الصغر حتى وصلت الى ذرات كأنها ذرات اللبن أو الماء لا تتميز من بعضها مهما حاول الناس

بعين أو تلسكوب أو منظار أو آلة مصورة مع ان كل ذرة منها شمس كشمسنا أو أعظم
بتلايين وربما كان لها سيارات وأرض وتوابع ونيازك فالعجب العجب (وَيَخْلُقُ
مَا لَا تَعْلَمُونَ) انتهى القسم الأول

القسم الثانى

يبحث فيه عن حساب سير الكواكب والشمس والقمر واختلاف الليل والنهار
ومعرفة الفصول الأربعة والسنين الشمسية والقمرية وتقويم السنة العربية وشهورها
وحوادث الأرض المبهولة واختلاف الأمم المناسب لاختلاف الليل والنهار وفوائد تتبع
ذلك فهذه خمسة فصول

الفصل الأول

فى اختلاف الليل والنهار

أما اختلاف الليل والنهار فاعلم أنهما يختلفان تبعاً لعروض البلدان فكما كانت
البلاد فى خط الاستواء كان الليل والنهار متساويين فى جميع أيام السنة أى يكون كل
واحد منهما ١٢ ساعة وكما بعدت عنه جنوباً أو شمالاً اختلف الليل والنهار تبعاً لمقدار
البعد فى عرض ١٥ درجة يكون أطولهما ١٢ ساعة و ٣٥ دقيقة وفى ٢٣ درجة و ٢٧
دقيقة وهو مدار السرطان شمالاً ومدار الجدى جنوباً يكون أطولهما ١٣ ساعة و ٢٧ دقيقة
كلسوان فى حدود مصر وفى عرض ٣٠ درجة كلقاهرة يكون أطولهما ١٣ ساعة و ٥٦
دقيقة وفى عرض ٤٥ يكون أطولهما ١٥ ساعة و ٤٦ دقيقة وفى عرض ٦٠ يكون الأطول
١٨ ساعة و ٣٠ دقيقة وفى عرض ٦٦ درجة و ٣٣ دقيقة وهى الدائرة القطبية يكون
الأطول منهما ٢٤ ساعة تماماً ثم يتزايد الطول كلما امتد عرض البلد وأغل جهة الشمال
والجنوب فيصير أطول الأيام والليالى شهراً أو شهرين أو ثلاثة وهكذا الى ستة شهور

(وهذا واضح لمن نظر الكرات الصناعية والخرط الجغرافية) وهذا إنما يكون في القطبين واذن تكون السنة كلها يوماً وليلة لا غير وهذه البلاد لا تصلح للسكنى قطعاً وإنما الصالح لها هي ما كانت في المنطقة الحارة أى بين المدارين الجدى والسرطان أو المعتدلتين من خلفهما الى شمال روسيا شمالاً أما الجنوب فهناك المحيط الهادى وهو البحر الأخضر ومن هنا نفهم قوله تعالى (إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ) . فانظر كيف عطف ما خلق على الاختلاف ليفهمنا أنه ليست كل أرض تصلح للسكنى وإنما الصالح ما تقدم فكأنه يقول قارنوا بين الخلقوقات واختلاف الليل والنهار تجدوا أن بعض الأرض لا يصلح لسكنناكم أنتم وإن كان يصلح للدب ونحوه والبعض الآخر يصلح وانظر كيف قدرت على تنويع الليل والنهار بحيث إن كلا منهما يأخذ أقداراً مختلفة من دقيقة الى ساعة الى أكثر الى ستة أشهر مع أن الشمس واحدة والأرض واحدة فهو كاختلاف أنواع النبات والحيوان والانسان مع اتحاد الأرض والماء والهواء والحرارة ، ولذلك عطف قوله ما خلق الله في السموات والأرض على ما قبله -- ما أعظم هذه الحكمة الباهرة ولعظم شأن هذا الاختلاف كثير ذكره في القرآن كقوله (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ) وقوله (إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبْثُ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ) . ولما كان اختلاف الدواب يشبه اختلاف الليل والنهار من حيث اتحاد العناصر في الأول واتحاد الشمس والأرض في الثانى أعقبه بقوله (واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) ولما كان هذا كافياً لالفات الانظار أعقبه بقوله (تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبَأَىٰ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ) أفلا نفهم يا قوم بعد سماع هذه الايات وننظر في هذا الكون ونعمر مدنيتنا بالأعمال وعقولنا بالأفكار

واعلم أن النقطة الواحدة من الأرض يختلف الليل والنهار فيها على حسب ما قدمنا:

فيكون في مصر مثلاً من ١٠ ساعات الى ١٤ ساعة تقريباً وكل بقعة تختلف عن الأخرى مقدار ذلك الاختلاف وهكذا تختلف البلاد باعتبار الطول ، أن هذه البلدة تشرق فيها الشمس قبل الأخرى حتى يصير الليل في بلد والنهار في آخر كما في مصر وبعض الاقياوسية وذلك باختلاف شروق الشمس عليها وذلك انه كلما كان الطول شرقياً أشرق الشمس على ذلك البلد أولاً فتشرق في مصر قبل طرابلس وفي طرابلس قبل تونس وفيها قبل الجزائر وفيها قبل مراکش وفيها قبل بحر الظلمات وفيه قبل أمريكا وفيها قبل الاقياوسية التي يكون نهارها ليلنا وبالعكس (صُنِعَ اللهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ) فتأمل كيف كان الاختلاف حاصلًا بثلاثة أشياء الطول والعرض وهما مكانيان وكرور الأيام على مدار السنة وهو زماني ولقد أوضحته فأفهمه (يُقَلِّبُ اللهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ)

ايضاح لما تقدم

لأذكر هنا نبذة مما جاء في كتابنا الجواهر في تفسير القرآن في هذا المقام في سورة البقرة فان هناك ايضاحاً أتم وأجل مما تقدم فحق على أن أحلى جيد هذا الكتاب بمجوهرة من جواهر ذلك الكتاب المذكور في تفسير قوله تعالى (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ) وهذا نص ما جاء فيه: أما اختلاف الليل والنهار فانه ظاهر خفي ظاهر للعقلاء خفي عن أنظار الغافلين يختلف الليل والنهار باختلاف الطول والعرض وذلك ان الشمس في شروقها وغروبها تأتي على الأماكن الشرقية قبل الغربية ، وهناك يكون الاختلاف العجيب فاذا أشرق أو غربت على الأقطار المصرية أولاً مثلاً فانها تفعل ذلك بعدها ببلاد مراکش فبحر الظلمات فأمريكا فالأقطار الشرقية كالمند والصين وهكذا ولكل دائرة (٣٦٠) درجة تقسم باعتبارها وللأرض درجات طول ودرجات عرض فدرجات الطول هي المشرقة الغربية ، ودرجات العرض تعتبر من خط الاستواء الى القطبين ثم ان خط

الاستواء الذى يقسم الكرة بقسمين متساويين جنوبي وشمالى تقطعه دائرة وسط فلك البروج وهى دائرة عظمى مائلة على خط الاستواء بثلاث وعشرين درجة ونصف وهذه الدائرة تمتد الى دائرتين متوازيتين موضوع كل منهما على البعد بثلاث وعشرين درجة ونصف عن دائرة الاستواء وتسميان المدارين وهناك دائرتان قطبيتان تبعدان عن القطبين بثلاث وعشرين درجة ونصف وبهذه الدوائر تنقسم الأرض الى خمس مناطق منطقة شديدة الحرارة ومنطقتان معتدلتان ومنطقتان شديدا البرودة ، فالحرارة هى التى بين المدارين مدار السرطان ومدار الجدى وهؤلاء يسمون أرباب الظلين لأن الشمس تارة تكون شمالهم كأولئك الذين فى السودان المصرى فيكون ظلهم اذ ذاك جنوبياً وتارة تكون جنوبهم وراء خط الاستواء فيكون ظلهم شمالياً ، والمنطقتان المعتدلتان هما ما بين الدائرة القطبية الجنوبية ومدار الجدى جنوباً وما بين دائرة القطب الشمالى وما بين دائرة السرطان شمالاً وهؤلاء لا تكون الشمس فوق رؤسهم البتة فيسمى هؤلاء أرباب اختلاف الظل لأن أرباب المنطقة المعتدلة الشمالية يرون الشمس فى الجنوب كأهل مصر وتونس ومراكش وأهل أوربا وأرباب المنطقة المعتدلة الجنوبية كبلاد الرأس التابعة للانجليز وما والاها من البلدان يرون الشمس فى الشمال أبداً فأما أرباب المنطقتين القطبيتين فيسميان أرباب الظل الدوار وحركة الشمس عندهم كدوران الرجا والظل فى زمن صيفهم يدور حولهم

والمهم فى هذا المقام أن نبحث فى اختلاف الليل والنهار ، انك اذا نظرت الى حركة الشمس الظاهرية من المشرق الى المغرب ألفيت ما كان صبحاً عند قوم هو نفسه ظهراً وعصراً ومغرباً وعشاء ونصف ليل عند أقوام آخرين فالشمس فى كل لحظة فى غروب وشروق وزوال وضحى ونصف ليل فالיום بأمله موجود أبداً وهذا يعرف بادننى تأمل عند من درس قليلا من مبادئ علم الجغرافيا أو علم الهيئة واذا نظرنا الى حركة الشمس السنوية بحسب الظاهر وهى تنقلها فى البروج وانها تبعد تارة وتقرب أخرى منا فانها تعطى أياماً على طول السنة مختلفة باختلاف الأقطار فأقصر الأيام قد

يكون ساعة أو أقل ، وأطول الأيام يكون نصف سنة وأعدل الأيام (١٢) ساعة فالاعتدال في الأيام عند خط الاستواء وأطول الأيام في المنطقتين القطبيتين فالليل عند هؤلاء ستة أشهر والنهار ستة أشهر وبعبارة أخرى السنة يوم وليلة فهي ستة أشهر مظلمة وستة أشهر مضيئة فأما الأيام فيما بين خط الاستواء وما بين الدائرتين القطبيتين فإنها تختلف من ١٢ ساعة الى ٢٤ ساعة فتكون ١٢ ساعة عند خط الاستواء و ٢٤ عند الدائرة القطبية ثم تأخذ الزيادة في الدائرة القطبية من ٢٤ ساعة الى شهر فشهريين الى ستة أشهر عند القطبين أنفسهما

أوليس من العجب العجائب ان الشمس اذا جرت الأرض حولها تنظم حركاتها بنظام يتبعه هذه الحكم العجيبة فتري الصيف عند أهل الشمال كأهل مصر وأوروبا يكون شتاء عند أهل الجنوب كبلاد الناطل فتري السنة كلها في وقت واحد حاضرة الصيف والشتاء والربيع والخريف كما كان في ملاحظة الأيام فجر ومغرب وعشاء ثم يترتب على هذا الاختلاف في الحر والبرد من النبات والحيوان والسحب والأمطار والرياح . ومن المنافع والعجائب ما تحمله العقلاء سجداً وانظر لو ان الشمس بقيت في مكان واحد لاحترق ولم يعيش فيه حي وتأمل ذلك وكيف يقول الله (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بَضِيَاءٌ أَوْ لَا تَسْمَعُونَ ، قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بَلِيلٌ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَوْ لَا تُبْصِرُونَ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)

ولأذكريك جدولاً تعرف منه كل نهار وكل ليل من خط الاستواء إلى القطبين مع ملاحظة ان أقصر وأقل مدة للنهار هي بعينها تكون لليل في ذلك المكان وكذلك في الأطول

(أقاليم يقع فيها التفاضل بنصف ساعة)

عرض أرفع المتوازيات					عرض أرفع المتوازيات				
أقاليم	ساعات	دقائق	درج	دقائق	أقاليم	ساعات	دقائق	درج	دقائق
١٧	٢٠	٣٠	٦٤	١٠	١	١٢	٣٠	٨	٣٤
١٨	٢١	٠	٦٤	٥٠	٢	١٣	٠	١٦	٤٤
١٩	٢١	٣٠	٦٥	٢٢	٣	١٣	٣٠	٢٤	١٢
٢٠	٢٢	٠	٦٥	٤٨	٤	١٤	٠	٣٠	٤٨
٢١	٢٢	٣٠	٦٦	٧	٥	١٤	٣٠	٣٦	٣١
٢٢	٢٣	٠	٦٦	٢١	٦	١٥	٠	٤١	٢٣
٢٣	٢٣	٣٠	٦٦	٢٩	٧	١٥	٣٠	٤٥	٣٢
٢٤	٢٤	٠	٦٦	٣٢	٨	١٦	٠	٤٩	٢
(أقاليم يقع فيها التفاضل بشهر)					٩	١٦	٣٠	٥٢	٠
أقاليم	أشهر	درج	دقائق		١٠	١٧	٠	٥٤	٣٠
١	١	٦٧	٢٣		١١	١٧	٣٠	٥٦	٣٨
٢	٢	٦٩	٥٠		١٢	١٨	٠	٥٨	٢٧
٣	٣	٧٣	٣٩		١٣	١٨	٣٠	٦٠	٠
٤	٤	٧٨	٣١		١٤	١٩	٠	٦١	١٩
٥	٥	٨٤	٥		١٥	١٩	٣٠	٦٢	٢٦
٦	٦	٩٠	٠		١٦	٢٠	٠	٦٣	٢٣

هذا الجدول تعرف منه اختلاف الليل والنهار بالزيادة والنقصان في الربع الشمالي من المسكونة فاذا كان الليل يساوى النهار وكل منهما ١٢ ساعة عند خط الاستواء في نحو الكونغو وسومطره وغينا الجديدة فان كلا منهما يزيد وينقص ساعة واجدة تقريباً في أطراف الهند والصين وساعتين في القاهرة وبعض البلاد الفارسية وبلاد السند وثلاث ساعات في البحر الاسود وقرب القسطنطينية والبلاد المحاذية لها

و ٤ ساعات تقريباً فيما يقرب من باريس وبرلين ونحو ذلك

و ٥ ساعات في بحر الشمال وما ولاء

و ٦ ساعات فيما وراء ذلك و ٧ و ٨

و ٩ ساعات شمالي بحر البلطيق

وفيما بينه وبين رأس الشمال تصل زيادة كل منهما الى ١٠ و ١١ و ١٢ ساعة
ثم يكون كل منهما شهراً فشهرين في جنوب جزائر جرونلنده و ٣ و ٤ أشهر في
شمالها ثم في القطب يكون كل منهما ٦ أشهر فيكون ليل القطب الجنوبي نهار القطب
الشمالي ونهار القطب الجنوبي ليل القطب الشمالي وكل منهما ستة أشهر
ثم اذا كان النهار في مصر مثلاً ١٤ ساعة في زيادته كان في تقصه ١٠ ساعات
وهكذا الليل فهناك عدل تام في الاضاءة والاظلام وعلى هذا فقس

ألا تعجب من هذا النظام الجميل وكيف ازدانت الأرض بهذه الأنوار المتلألئة
المتألقة لبهجة المناظر أفلا ينظر الناس لهذا الجمال البارع والعدل والقسط والحكمة الباهرة
اختلاف عظيم وعدل تام يكون الليل ١٣ ساعة عند زيادته في البلاد التي حول البحر
الأسود مثلاً وشهراً في أطراف جزيرة جرونلنده ثم يجيء النهار في نوبته فيصل الى
تلك الزيادة عنها أي ١٣ ساعة في الأول وشهراً في الثاني فيكون في السنة ليلة هي شهر
تام ونهار هو شهر تام

وهذا هو العدل الحقيقي العملي (الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ) ، (والسَّمَاءُ رَفَعَهَا وَوَضَعَ
الْمِيزَانَ) ، (اَنَا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) ، (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ
إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ) ، (وَاللَّهُ يَقْدَرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ)

هذا الاختلاف باعتبار العرض فانظر الى الاختلاف باعتبار الطول فساوضح لك
فأقول بعد الاجمال السابق

اذا طلعت الشمس على آفاق مصر مثلاً كان لها بعد طلوعها بالخليج الفارسي
وما حوله ساعة وفي بلاد فارس ساعتان وفي السند ثلاث ساعات وفي غرب بلاد الصين

أربع ساعات وفي أواسط بلاد الصين ٥ ساعات وفي شرق بلاد الصين والبحر الأصفر ٦ ساعات وفي بلاد اليابان ٧ ساعات وفي شرق استراليا ٨ ساعات وفي كاليدونيا الجديدة بالمحيط الهادى ٩ ساعات وفي جزائر الملاحين بالمحيط الهادى ١٠ ساعات وفي جزائر سندوئيش بالمحيط الأ' كبر ١١ ساعة وفيما بين جزائر سندوئيش وكاليفورنيا من المحيط الأ' كبر ١٢ ساعة

وعلى هذا اذا طلعت الشمس بمصر أول فصل الربيع الآتى ذكره قريبا أو الخريف كانت غاربة بين هاتين الجزيرتين بالمحيط الأ' كبر ويكون قد مضى بعد غروبها ساعتان في كاليفورنيا وغرب الولايات المتحدة و٤ ساعات بالبلاد الواقعة حول خليج المكسيك وشرقى الولايات المتحدة و ٥ ساعات عند (نيويورك) بالولايات المتحدة وست ساعات بناحية الأرض الجديدة شرقى أمريكا الشمالية و ٨ ساعات بالمحيط الاطلانطى غربى أوروبا وعشر ساعات بباريس وجبال أطلس بالغرب و ١١ ساعة في طرابلس والصحراء الكبرى -

هذه هى الصورة التى يراها المفكر فى اختلاف الليل والنهار فيما المصرى ينظر الشمس مشرقة فى أفقه يكون السندى والصينى فى وقت الضحى ومن فى كاليدونيا الجديدة وقت العصر ومن فى كاليفورنيا ساهرا مع صحبه ومن فى نيويورك قد نام نوما عميقا ومن فى طرابلس قام لصلاة الصبح

واعلم أن ما ذكرته لك من هذه الساعات لا يكون تاما من كل وجه الا فى ٢١ مارث وفي ٢٣ سبتمبر من كل سنة لأن الأول أول فصل الربيع والثانى أول فصل الخريف وهما اليومان اللذان يعتدل فيهما الليل والنهار ثم ان أول الصيف ٢٢ يونيه وأول الشتاء ٢٢ ديسمبر ، والأول يكون أطول أيام السنة كما ان الثانى يكون أقصرها والليل على عكس النهار (يقاب الله الليل والنهار ان فى ذلك لعبرة لاولى الأبصار).

الفصل الثاني

في حكم السنة الشمسية والقمرية والفرق بينهما

حببت النفوس الانسانية الى حب الاستطلاع على حقائق الأشياء لاسيما تقدير الزمن حتى انك تسمع العامة في مجالسهم والسوقة في محادثاتهم يتناجون فيما خفي عليهم من تلك العجائب الفلكية ويجلس الفلاح وفأسه أمامه وجاره بجانبه ويقول يا فلان. ها أنا صمت رمضان في بؤونة الحجر (كلمة عند العامة يريدون بها أن الأرض تكون فيها خالية من الماء كالحجر) وأنا في عنفوان شبابي وكنا من شدة الحر نجلس في الماء. وفي السواقي وهانحن أولاء الآن في طوبة ثم تمضي مدة طويلة ويأتي رمضان في الصيف. فترى الرجل يحدث صاحبه وهما في أرضهما يستروحان نسيم الروح يقول أحدهما هانحن أولاء صمنا رمضان في الصيف كما صمناه ونحن أطفال ثم يتناقشان الحساب فيختلفان. في التقدير فهذا يقول ٣٠ سنة والآخري يقول ٢٥ والآخري يقول ٤٠ وهكذا أما الحقيقة: فستعلمها لمسند كره انها ٣٣ سنة كما سيظهر من أن لكل مائة سنة سنة واحدة ولكل ٣٠٠ سنة تسع سنين كمشكلة أهل الكهف وستراه بأجلى بيان

فهذه فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم وهو شوق نفساني ورد من العالم الأعلى الى حضيض هذه النفوس ليوقظها من سبات الغفلة الى يقظة العلم وزخرف الجنة والسعادة والهناء مع الذين أنعم الله عليهم بالعلوم والمعارف فما أشوق نفس الانسان وأبهجها بالمعرفة — جاء القرآن مطابقاً لما في فطرتنا، مساعداً على نمو تلك الغريزة الالهية وإيقاظها من نومة الاغترار على فراش الجهل الوطى. فخل هذه المسئلة الظاهرة الخفية القرية البعيدة في قصة أهل الكهف حين ناموا ولم يستيقظوا إلا بعد ثلاثمائة سنة ان اعتبرت سنين شمسية وتزيد تسع سنين ان اعتبرت قمرية وتوضيحه أن النوع الانساني راقب حركات الكواكب المشهورة.

ودقق الحساب جداً في الشمس والقمر فأما قدماء المصريين وأهل أوربا وكثير من الأمم فنظروا الى الحر والبرد وتفاوتهما واختلافهما وفي كون كل منهما يخلف الآخر وما ينتج عنهما من الزرع : وأحوال الامم والممالك مع انتظامه انتظاماً تاماً فلم يجدوا له سبباً إلا قرب الشمس وبعدها عنا ووجدوا انها تقطع بحسب الظاهر دورة واحدة في كل ٣٦٥٢٤٢٢١٧ يوماً شمسياً بمعنى انها تحدث قرباً اليها وبعداً عنها ينتج عنهما الصيف والخريف والشتاء والربيع ومدة هذه الاربع تسمى سنة شمسية اذ النظر فيها الى سير الشمس وتقریبها ٣٦٥٢٥ ثلثمائة وخمسة وستون يوماً وربع يوم وانما قربنا ذلك لأننا نريد في كتابنا هذا أن نأتي بما يسهل على الناس ولا نخوض فيما يدق جد على الأفهام إذ ذاك لعلماء الفن نفسه فأما نحن فلسنا نحاسبين أنفسنا على فن واحد إذ ذاك يخرج بنا عن الجادة وإنما نتخذ من كل فن أحسنه لأن مرادنا أرقى من جميع الفروع العلمية وهي خلاصة الكون كله مدبره فلا اشتغال بالتعويقات يذهب بنا عن الجادة (ان ربِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) هذا واعلم أن هذه السنة الشمسية تسمى أيضاً السنة الانقلابية لأنها عبارة عن المسافة الزمنية التي تمضي بين مرورين متتاليين للشمس بنقطة اعتدال واحد كاعتدال الربيعي مثلاً وإيضاحه انك تنظر الى الشمس مثلاً وهي تغرب من محل معلوم في السماء في أول يوم من برج الحمل مثلاً أي حين ذهاب الشتاء وعند اقبال فصل الربيع في ٢٢ مارس وتعلم المحل الذي أشرقت منه كشجرة مثلاً ثم تتأملها فتجدها تميل الى الشمال عن تلك النقطة شيئاً فشيئاً ثم تقف بعد ربع السعة وذلك في أول الصيف في ٢٠ يونيه ثم تراها ترجع ثانياً وتغرب في المحال التي غربت فيها على طريق العكس من باب اللف والنشر المشوش عند علماء البديع إذ بين هذا الكون وبين علوم اللغات تشابه عجيب حتى انك ترى الكون كله مملوء بعلم البديع كالجمع والتقسيم وهكذا ثم لا تزال الشمس كذلك حتى تغرب في النقطة التي كنت علمتها أولاً وهذا أول فصل الخريف في ٢٣ سبتمبر ثم تتجاوزها الى جهة الجنوب الى تمام ثلاثة الأشهر وهذا ابتداء فصل الشتاء في ٢١ ديسمبر واذن تكون الشمس في ذنب الجوزهر كما كانت

وهي في المنقلب الصيفي في ٢٠ يونيو المتقدم في رأس الجوزهر فهنا رأس الجوزهر وذنبه وهما المنقلبان الشتوي والصيفي وهنا اعتدالان وهما الخريف والربيع ثم ترجع ثانياً آخذة النقط التي مرت عليها منقلبة متقهقرة الى جهة الاعتدال الربيعي حتى تصل اليه في ٢٢ مارس وفي هذا يتساوى الليل والنهار في كافة أقطار الأرض وكذلك في الاعتدال الخريفي فالاعتدال في السنة يومان لا غير فقد عرفت كيف سميت انقلابية لأن الشمس تنقلب فيها من البروج الشمالية الى الجنوبية وبالعكس وبهذه الطريقة يمكنك أن تعرف هذه السنة بمجرد النظر الظاهر بدون آلة ولا مشقة إذ كثيراً ما نرى العامة يراقبون هذه الحركة بنحو هذا. وتأمل في حكمة هذا الصانع الحكيم وكيف جعل الشمس تغرب في يومى الاعتدال من محل واحد بحيث لا تتغير على كره العصور ومر الدهور وترى أن لكل يوم من أيام السنة مشرقاً ومغرباً مختصاً به لا يشركه فيه سواه وإنما تحذو أيام السنة التي بعدها حذو أيامها. ما أعجب هذا الاتفاق وما أغرب هذا الابداع فتخيل أن رجلاً من نحو أئني سنة رأى الشمس في أول الصيف تشرق من محل معلوم وأن رجلاً في هذه الأيام راقبها في أول الصيف وجدها تغرب في المحل بعينه فجل الذي أتقن صنعه وأحكم اتقانه ولعلك من هنا فهمت قوله تعالى (فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ) وقوله أيضاً (وَالصَّافَّاتِ صَفًّا فَالْزَّاجِرَاتِ زَجْرًا فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا إِنَّ إِلَهُكُمْ لَوَاحِدٌ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ) وفهمت أيضاً قوله (رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ) فجمع ليريك القدرة الباهرة في أن كل يوم له مشرق ومغرب على حدته وأن كل سنة تحذو حذو سابقتها وثني ثانياً باعتبار أن المشارق قسمان جنوبية وشمالية وخاطب الخاصة بالجمع والعامة بالثنى فافهم

وإذا دققنا النظر وأجلنا الفكر مع استحضار ما ذكرناه سابقاً من تقدم الاعتدالين نجد أن كل يوم لا يشركه غيره في شروقه وغروبه ولا في السنة الثانية فالوضع الذي

أخذته الشمس في يومه لا يرجع الى يوم القيامة فما دورة تشبه ما قبلها الا شها ظاهرا وهذا لا يفهم الا للفطن الذي دقق النظر فيما قلناه سابقاً في تقدم الاعتدالين فتأمل كيف أدهش العقول بهذا النظام فانا ان نظرنا نظرا قريبا قلنا الأيام يحذو بعضها بعضاً ورأينا تشابها وان دققنا لم نجد لشيء من هذه الأيام مثلاً من كل وجه . الا أنبتك بما يشبه هذا يشبه أفراد النوع الانساني فانك لو نظرت الى الجنس الأبيض منه وجدت أنهم كلهم بيض ولن تجد مع ذلك انساناً يشبه الآخر بالحقيقة وان قال علماء الطبيعة بالرجعة وهي أن كل نوع يأخذ أشكالاً كثيرة ثم يرجع ثانياً ويمر على تلك الأشكال فترجع صور الأبناء للجدود المتباعدين جداً في العصور السالفة كما تدور أيام السنة وتحذو حذو سابقها فيما سيأتي في كل ٢١٠ سنة مائتين وعشرة وكاهنا في مسألة مشارق الأيام في السنين المتتالية فلقد علمت أن ما مضى لا يعاد ولا فرق بين الفلكيات والطبيعيات وأن الأعادة انما هي بحسب النظر الظاهري رحمة من الله به ليعرفنا عدد السنين ويرينا أن هذا الملك ثابت فلا تضطرب نفوسنا

ولذلك يرى الانسان أن هذا العالم ساكن ولكن اذا دقق النظر لم نجد شيئاً الا وهو متحرك علواً وسفلاً وأرضاً وسماً وهذا أيضاً عجيب فقد جمع بين الحركة والسكون باعتبارين وفي الحقيقة ليس عندنا الا الحركة (إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) ولعلك من نظرك في اشكال المشارق والمغارب مع النظر لصور الناس وألوانهم وتخطيط أشكالهم فهمت قوله تعالى (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ السِّنِّكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ) وانظر كيف ذكر ألسنتنا وألواننا ولم يذكر اختلاف المشارق والمغارب مع انهما متناظران لينبه بهما ذكر على ما لم يذكر فما ظهر يفهمه الخاصة وما لم يظهر وهو اختلاف سير كواكب السماء لا يفهمه الا خاصة الخاصة ولذلك أتم الآية بأن هذا لا يفهمه الا العالمون جمع عالم

ولقد أطيننا في هذا المقام لايضاحه لاخواننا أهل العلم الذين لم يمارسوا هذا الفن

أو مارسوه ولكن عهدهم به بعيد فلقد لخصنا المقام لك أيها الأخ بأبسط ما يمكن مع الاستيفاء والحمد لله

واعلم أن علماء الفلك راقبوا هذه الحركات بآلاتهم فدققوا الحساب وعرفوا ما ذكرته لك ثم حاولوا سهولة الحساب فجعلوها سنين كبيسة وبسيطة ولا حاجة لنا إلى التطويل فيه وقد لخصنا لك في كتابنا ميزان الجواهر ما يغنيك في هذه المسألة عن استخراجها من علم الفلك فهذا ما أردنا ذكره في السنة الشمسية أو الانقلابية ولتتميم ما نحن بصدده نذكر السنة القمرية وما أدراك ما السنة القمرية السنة القمرية نور من نور الله تجلى لعامة الناس والاعراب في البادية ظهر على وجه القمر بقربه تارة من الشمس وبعده تارة أخرى

كل إنسان في مشارق الأرض ومغاربها يبصر الهلال حتى أوجب الله الصيام على من شهد فقال (فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ) أي أبصر الهلال (فَلْيَصُومْهُ) الضمير يرجع إليه باعتبار الزمن المعلوم وهي الأيام المحدودات ويسمى عند علماء البديع الاستخدام راقب حركات القمر تجده في أول الشهر محاذيا للشمس محترقا بها مخفيا بنورها ويسمى ذلك (الاحتراق أو الاقتران) ثم زاه بعد عنها قليلا فصار هلالا فرآه الناس فحكموا بأنه أول الشهر

أما الفلكيون فرأوا أن رؤية الناس تقريبية مبنية على الظواهر التي لا تنضب فاعتبروا أن ابتداء الشهر عند اجتماع الشمس مع القمر ومحاذاته لها واقترانه بها ثم أخذ القمر في التباعد شيئا فشيئا حتى يصل إلى نحو أربعة عشر يوما فيكون مقابلا لها ويتم اشراقه ثم يأخذ في التناقص شيئا فشيئا حتى يجتمع معها فهذا هو الشهر فعامة الناس يقولون شهر ٢٩ وشهر ٣٠ وهذا تقريب

أما الفلكيون فانهم دققوا في الحساب ونظروا في خسوف القمر الذي لا يكون إلا في لحظة الاستقبال أي حين يكون بدرًا كاملا والأرض إذ ذاك تحول بين الشمس والقمر بجرمها الكثيف فتحجب الضوء عنه وقتا ما فحسبوا بين كل كسوفين متوالين عدد الدورات الاقترانية المسماة الحركات الدائرية أيضا وقسموا المدة الكلية على عدد

تلك الدورات فاذا لكل دورة ٢٩ يوماً و ١٢ ساعة و ٢٤ دقيقة و ثانيتان وتسعة أجزاء من عشرة من الثانية أو ٢٩٥٣٠٥٨٩ يوماً أى ٢٩ يوماً وما ينوف عن نصف يوم فالسنة القمرية اذن تتركب من ٣٥٤٣٦٧٠٦٨ يوماً أى ثلثمائة وأربعة وخمسين يوماً وسبعة و ثلاثين جزءاً من مائة جزء من اليوم تقريباً فاذا طرحنا السنة القمرية من السنة الشمسية كان الفرق بينهما ١٠٧٥١٤٩ ر ١٠ أيام وهذا العدد يكون فى كل ٣٣ سنة ٣٥٥٥٧٩٩١٧ يوماً أى ٣٥٥ يوماً ونحو ٥٨ جزءاً من مائة من اليوم وهذا نحو سنة فتكون كل ٩٩ سنة شمسية تزيد ثلاث سنين اذا اعتبرت قمرية وبالتقريب تزيد كل مائة سنة ثلاث سنين فثلاث المائة تكون ٣٠٩ سنة فهذه هى التى ترى العامة يقولون فيها فى محاوراتهم صمنا رمضان فى الصيف وهانحن أولاء فى الشتاء وهكذا فكان كل ثلاث و ثلاثين سنة يمر الشهر العربى فيها على فصول السنة كلها اذ التفاوت ما بين عشرة أيام واحد عشر كما رأيت فترى الشهر العربى يقارن الشهر الشمسى نحو ثلاث سنين ثم ينتقل لسواه فيدور على جميع فصول السنة وهكذا سنة الله فى خلقه فانظر كيف اشتاقت النفوس الانسانية الى الاطلاع على غرائب هذا العام وعجائبه وكيف حنت الى الوقوف على هذا السر المكنون فى هذا الحساب كما يأخذها البهر والاندھاش حينما تسمع باختلاف الليل والنهار وانهما كما تقدم يتفاوتان باعتبار عرض البلاد من خط الاستواء الى القطبين ويمران على الاقدار من ١٢ ساعة الى ستة أشهر وهذا من جهة العرض كما قدمنا ويختلفان أيضاً من جهة الطول فترى الشمس اذا كانت عند بحر الظلمات فى غربى أفريقيا وأوروبا تشرق وتغرب عليهم بعدنا

فاذا ذهبنا الى بلاد أمريكا كان التفاوت أشد ثم عند بعض بلاد الاوقيانوسية يكون ليلهم نهارنا وبالعكس وحقيقة هذا يعرفنا قوله تعالى (خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ) فمن هنا نفهم معنى التكوير بحيث يلف كل واحد منهما حول الكرة الأرضية كما تلف العامة ونفهم أيضاً قوله : (يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ فَالتكوير فى الآية الأولى بالنظر

لاختلاف المشرق والمغرب فالبلد الشرقي ليله ونهاره قبل البلد الغربي . ولذلك كان ليل أهل مكة ونهارهم قبل ليلنا ونهارنا وبعكسهم بلاد مرا كس وأهل انكلترا أو فرنسا وغيرهم وأما الايلاج فباعتبار أن كلا منهما يزيد بما أخذه من الآخر فكأنه أوج أي أدخل فيه ولقد ذكرنا هذا سابقاً وإنما أعدنا هنا لزيادة الفائدة ولنرجع إلى ما نحن بصدده فنقول : قد عرفت مما ذكرناه فرق السنين العربية من السنين الشمسية ثم تأمل كيف ساعدنا مدبر هذه الصنعة على ميل فطرنا فأنزل القرآن وقص علينا قصص أهل الكهف وذكر مدة نومهم وانهم استيقظوا بعد مدة ٣٠٩ سنين فقال : (وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ) اذا اعتبرت شمسية (وَازْدَادُوا تِسْعًا) اذا اعتبرت قمرية . فكأنه سبحانه أراد أن يوقظ أفكارنا وينبها من سنة الغفلة الى النظر في هذا الحساب فنعمر مدنيتنا وتقوم بما ينفعنا في دنيانا وآخرتنا اذ هذا الفرق لا يعرف إلا بمزاولة علم الفلك وياسبحان الله كيف أدمج ايقاظنا في ايقاظ من قبلنا وكيف نبها في ذكر قصصهم (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولَى الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) وكأنه سبحانه علم اننا سننام نوم جهل وخمول كما نام أهل الكهف نومة أجسام فذكر تلك الزيادة وهي التسعة بعد ثلاث المائة لتستيقظ لهذا الحساب

ويحذر بنا بعد ما بيناه أن نذكر التقويم تقلا من كتاب القسموغرافيا تأليف أستاذنا المرحوم حسنى بك

التقويم

التقويم هو عمل جداول يعرف منها حساب السنين والأشهر والأيام وقد اختلف الأمم في كيفية حساب السنين لأن السنة الشمسية مركبة كما ذكرنا من أيام صحيحة وكسر يوم فلو بقيت على ذلك لتغيرت ساعة ابتداء كل سنة ولذلك ضرب قدماء المصريين صفحا عن الكسر واعتبروا السنة مركبة من ٣٦٥ يوما فقط وقسموها إلى ١٢ شهراً كل شهر ٣٠ يوماً ثم أضافوا الى آخر كل سنة خمسة أيام تسمى بأيام النسيء والأشهر المصرية هي المستعملة الآن عند القبط وتسمى على التوالى : توت . باه .

هاتور . كيهك . طوبه . امشير . برمها . برمودة . بشنس . بؤنه . أيب . مسرى
التصليح أو التعديل اليوليوسى — هذه القاعدة وان أمكن بها ازالة الاختلاف،
الذى يقع فى ساعة ابتداء كل سنة الا انه يبقى مع استعمالها اختلاف آخر فى يوم الابتداء
وذلك اننا لو فرضنا مرور الشمس بالاعتدال الربيعى فى ٢١ مارث فبعد أربع سنين
تتجمع كسور الأيام المتروكة وتصير يوما كاملا فتمر حينئذ الشمس بالاعتدال المذكور
فى ٢٢ مارث وبعد أربع سنين أخرى تمر به فى ٢٣ منه وهكذا ولا يخفى ماينتج من
ذلك من الخلاف فى الفصول واضطراب مواسم الزراعة ولما تنبه لذلك يوليوس قيصر
روميه أمر الفلكى (سوسيجينوس) بعمل تعديل فابتدأ بضم ٦٧ يوما الى السنة التى
عمل فيها التعديل أعنى الى سنة ٧٠٧ لروميا أو سنة ٤٧ قبل المسيح وكذلك قرر انه
فى كل أربع سنين تكون الثلاث الأول ٣٦٥ يوما والسنة الرابعة ٣٦٦ وتسمى بالسنة
الكبسة والسنين العادية تسمى بسيطة وذلك بسبب الساعات الست التى تزيد بها
المدة الحقيقية للسنة عن عدد الأيام الصحيحة وانتشرت هذه القاعدة فى جميع البلاد^(١)
التعديل الجريجوارى — ان القاعدة اليوليوسية جعلت السنة ٣٦٥ يوما و ٦
ساعات مع انها فى الحقيقة ٣٦٥ يوما و ٥ ساعات و ٤٨ دقيقة و ٥٠ ثانية أعنى
٣٦٥ و ٢٤٢٢١٧ يوما وسطيا وحينئذ فكل سنة يوليوسية تزيد عن المدة الحقيقية للسنة
الفلكية بكسر من اليوم مساو الى ٠٠٧٧٨٣ و أعنى ١١ دقيقة تقريبا وهذا الفرق
ولو أنه صغير يزيد مع الزمن ويصير يوما كاملا فى كل ١٣٢ سنة وفى سنة
١٥٨٢ ميلادية قد وصلت هذه الزيادة إلى عشرة أيام فأمر (البابا جريجواريلينو)
الطليانى بأن يصلح هذا الخلل فأسقط ١٠ أيام من تلك السنة بجعله الخامس من شهر
اكتوبر الخامس عشر ثم لعدم تكرار هذا الخطأ لاحظ ان الفرق السنوى المذكور
وهو ١١ دقيقة يصير ١٨ ساعة تقريبا فى كل مائة سنة وثلاثة أيام فى كل أربع مائة سنة
(١) تنبيه — حيث ان السنة الرابعة فى كل أربع سنين تكون كبسة فيكفى لمعرفة
السنين البسيطة والكبسة ان نقسم عدد سنى التاريخ على ٤ فان قبل القسمة كانت السنة
المطلوبة كبسة والافسطة مثلا ١٨٨٨ كبسة و ١٨٨٩ بسيطة

فوجب اذن طرح ثلاثة أيام من كل أربعمائة سنة فأضاف الى القاعدة اليوليوسية قاعدة أخرى وهى ان كل ثلاث سنين مثنوية عوضاً عن أن تكون كبيسة تكون بسيطة والرابعة تبقى كبيسة وهم جراً ، والمراد بالسنة المثنوية ما ينتهى عدد التاريخ فيها بصفرين مثلاً ١٦٠٠ ولزيادة السهولة اتفقا على أن السنة المثنوية الكبيسة هى التى عددها يقبل القسمة على ٤٠٠ فسنة ١٦٠٠ كبيسة و ١٧٠٠ و ١٨٠٠ و ١٩٠٠ بسيطة وقد قبل هذا التعديل جميع الأمم ماعدا المسكوف والأروام والاقباط فانهم بقوا على التعديل اليوليوسى ولذلك ترى قرناً ١٢ يوما ما بين حسابهم وحساب الافرنج ١٠ منها هى الأيام التى أسقطها جريجوار والاثنان ناشتان عن جعلهم سنتى ١٧٠٠ و ١٨٠٠ كبيستين والافرنج جعلوها بسيطتين

- ومع ذلك فلا يزال يوجد بين مدة السنة الفلكية والمتخذة فى التقويم الجريجوارى للسنة المدنية فرق يبلغ ربع يوم تقريباً كل عشرة قرون أو الى يوم صحيح كل ٤٠٠٠ سنة بحيث يجب أن يضم يوم لسنة ٥٥٨٢ لأجل تعديل تجمع الخطأ القليل جداً

الفصل الثالث

في تقويم السنة العربية وشهورها

وقد آن أيها الأخ أن نذكر لك حساب مبدأ السنة العربية وشهورها لتعلم أن الله على كل شىء قدير وأن الله قد أحاط بكل شىء علماً وتفهم كيف صرفت الأبصار والبصائر عن هذا النظام العجيب وكيف شقى قوم وسعد آخرون وإن حساب السنة العربية أدوار منتظمة ومتى عرفت دوراً واحداً فقس عليه آلاف كثيرة من الأدوار بل مالا يتناهى منها واذن تعلم أن الزمان واحد بحيث يشار اليه فى عقولنا بأنه واحد كواحد الأعداد فإذا جزأناه الى أجزاء بحسب حركات الأفلاك ظهر لنا انه انقسم أقساماً منتظمة تشبه تمام المشابهة الكسر الدائر البسيط والمركب وتفهم قوله عليه الصلاة والسلام وهو يخطب على الجبل فى حجة الوداع ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذوات قاعدة

وذو الحجة والحرم وواحد فرد وهو رجب مضر الذى بين جمادى وشعبان واذا أردت التفصيل فاصغ أقص عليك

أنا الآن أكتب هذا الموضوع ضحى فى يوم الأربعاء خامس يوم من شهر الحرم سنة ١٣١٩ هجرية فوجب اذن أن أجعل التمثيل بهذه السنة فأقول :

إذا أردت معرفة أول يوم من السنة العربية فاقسم عدد السنين الهجرية على (٢١٠) واقسم الباقي على (٣٠) وما بقى فاقصه واحدا ثم اضرب البسيط فى (٤) والكيس فى (٥) واضرب الخارج من قسمة الباقي فى (٥) أيضاً وأضف (٥) أخرى فهذه حواصل (٤) فاجمعها واقسمها على (٧) وما بقى فاجره على أيام الأسبوع من يوم الأحد فالיום الذى يدل عليه العدد هو أول تلك السنة من زمن الهجرة الى مالا يتناهى ففى مثالنا هذا باقى قسمة سنة ١٣١٩ على (٢١٠) هو (٥٩) وبقسمته على (٣٠) يكون خارج القسمة ١ والباقى ٢٩ وبطرح واحد منه يكون ٢٨

والسنين الكبيسة فى كل ٣٠ سنة هى ٢ و ٥ و ٧ و ١٠ و ١٣ و ١٥ و ١٨ و ٢١ و ٢٤ و ٢٦ و ٢٩ وبضرب الكبيسة فى مثالنا فى ٥ يكون (٥٠) والبسيطة فى (٤) يكون ٧٢ والباقى عندنا (١) نضربه فى (٥) ونضيف (٥) وهذه الحواصل الأربعة « ١٣٢ » وبقسمتها على « ٧ » يكون الباقى « ٦ » فيكون أول هذه السنة على هذا يوم الجمعة ولكن الهلال لم ير الا ليلة السبت فأول السنة الشرعية يوم السبت وقدمكث الهلال نحو ٤٣ دقيقة بعد الغروب دلالة على ان الاجتماع سبق بمدة عظيمة

وبالجملة فهذه القاعدة قريبة جداً من التحقيق الا انه لا يخفى عليك ان حساب الفلكيين المبني على الارصاد أكثر دقة ومهما كان فهذه القاعدة لا تتبدل وان حصل اختلاف يسير وقد ذكرها الغازى مختار باشا فى كتابه وهذا الذى ذكرته ملخص ما قاله واعتمده هو وعلماء الفلك الأقدمون التتاريون

ولمعرفة أول الشهر اضرب عدد الأشهر السابقة على الشهر المطلوب على حساب أن الحرم ٣٠ وصفر ٢٩ وهكذا شهر كامل وشهر ناقص فاضرب التام فى (٢) ويضاف اليه عدد الناقصة ويضاف الى مجموعهما العدد الدال على أول يوم من السنة ويقسم

الكل على سبعة فلعرفة أول شهر ربيع الأول من هذه السنة نأخذ واحداً للمحرم و ٢ لصفر فهن (٣) وبجمعها على (٦) وهو الذى كان ابتداء السنة يحصل (٩) فنسقط (٧) فالباقي (٢) ويكون أول شهر ربيع الأول من هذه السنة يوم الاثنين ولكن على حسب القاعدة نفسها لا على حساب الهلال الذى فى النتائج فافهم

وقد علمت ذلك الخلاف اليسير الذى لا يضر فى سير القاعدة فهذا هو ملخص ما ذكر سعادة مختار باشا الفلكى فى كتابه فى علم الهيئة فتأمل كيف دارت الافلاك دورات منتظمة وكيف كانت الأدوار كل دور (٢١٠) وهذه فيها (٧) ادوار لعدد (٣٠) المشتمل على الكبيسة والبسيطة بحيث أنك ترى الكبس والبسط فى كل (٣٠) منها مماثلاً تماماً للثلاثين الثانية ثم ان أوائل الشهور والسنين فى كل دور من الأدوار الكبيرة وهى (٢١٠) هى بعينها تماماً أوائل السنين والشهور فى الدور الآخر بحيث أن السنة الثانية من الدور الأول ترى أوائل شهورها مثل أوائل شهور السنة الثانية من الدور الثانى وهكذا العاشرة والعشرون والأربعون وهكذا الى المائتين والعشرة فتأمل كيف أعطى كل يوم من أيام الأسبوع حظه من القسمة فى الأدوار اذ المائتان وعشرة فيها الثلاثون مكررة سبع مرات عدد أيام الأسبوع لتدور الأدوار بعدد الأيام ليأخذ كل يوم جميع أوضاعه الممكنة له عقلاً

حساب الشهور القمرية أيضاً

من كتابنا الجواهر فى تفسير القرآن فى سورة يس

جاء فى كتاب « العقد الفريد » مانصه :

لقد قرأت الجدول الآتى فى كتاب العقد الفريد للملك السعيد وحسبت بمقتضاه أول شهر رمضان المعظم فى السنة الماضية سنة ١٣٤٨ هـ فكان موافقاً لما جرى عليه العمل فأردت اثباته هنا

فان أردت العمل به فخذ جميع سنى الهجرة من أولها مع السنة التى تريد معرفة أول

شهرها ومواسمها فتسقط ذلك كله مائتين وعشرة مائتين وعشرة الى أن يبقى أقل من مائتين وعشرة فتتنظر في جدول الأعداد في بيوت العشرات وفي بيوت الآحاد فجانب الجدول عن يمينه طولاً فيه العشرات وأعلى الجدول فيه الآحاد فالآحاد من الواحد الى العشرة والعشرات من العشرات الى المائتين وعشرة فتتنظر الى المقدار الباقي بعد اسقاط عشراته في العشرات وآحاده في الآحاد فتوضع أصبع على البيت الذي فيه تلك العشرات وأصبع على البيت الذي فيه ذلك العدد من الآحاد ثم تمر الأصبع في السطر الذي بازاء تلك العشرة عرضاً وتنزل الأصبع في السطر الذي تحت ذلك العدد من الآحاد طولاً فحيث التقت الأصبعان في بيت واحد ينظر ما في ذلك البيت من الأسماء والصفات السلطانية فيحفظ ثم ينظر في الجدول المعمول للشهور ويعتبر أعلاه فينظر ذلك الاسم والصفة المحفوظة فاذا ظهر في أعلى الجدول فتوضع الأصبع عليه ثم ينزل في السطر الذي تحته الى محاذاة الموسم أو الشهر المطلوب معرفة أوله ان كان شهراً أى يوم هو أو إن كان موسماً فما كان في محاذاته فهو المطلوب

واعتبار ذلك انه اذا أريد معرفة شعبان من سنة أربع وأربعين وستمائة ومعرفة ليلة نصفه ومعرفة أول شهر رمضان فتسقط سنوات الهجرة مائتين وعشرة مائتين وعشرة فتسقط ستمائة وثلاثون ويبقى أربعة عشر ففي الآحاد أربعة وفي العشرات عشرة واحدة فاذا وضعت أصبعاً على العشرة الواحدة ثم مررت في الوسط الموازى لها ووضعت أصبعاً على الأربعة ثم نزلت الى محاذاة العشرة الواحدة التقت الأصبعان في بيت واحد فيه الاسم الكريم السلطاني نصره الله وهو يوسف فيحفظ لازال في حفظ الله جل وعلا ثم ينظر في جدول الأشهر فيوجد الاسم الكريم المحفوظ في الطرف الأيسر من السطر الأعلى منه فتوضع الأصبع بازائه وتنزل الى محاذاة شهر شعبان فيوجد في محاذاته اسم أوله وهو يوم الأربعاء ومحاذاة نصفه تحت يوم الأربعاء ومحاذاة أول رمضان تحت يوم الخميس ومحاذاة أول شوال تحت وهو يوم العيد يوم السبت وهكذا طريق العمل به دائماً (انظر الجدول المذكور في الصفحة الآتية)

حساب الشهور القمرية أيضاً

١٧١

الأعداد أحاد وعشرات	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
عشرة	خدمة	الناصر	المولى	خدمة	الملك	يوسف	خدمة	السلطان	يوسف	الناصر
عشرين	المولى	يوسف	الملك	خدمة	السلطان	يوسف	الناصر	المولى	خدمة	الناصر
ثلاثين	الملك	خدمة	السلطان	يوسف	الناصر	المولى	خدمة	السلطان	يوسف	الناصر
أربعين	السلطان	يوسف	الناصر	المولى	خدمة	السلطان	يوسف	الناصر	المولى	خدمة
خمسين	يوسف	الناصر	المولى	خدمة	الملك	يوسف	الناصر	المولى	خدمة	السلطان
ستين	المولى	خدمة	الملك	خدمة	الناصر	السلطان	يوسف	الملك	خدمة	الناصر
سبعين	السلطان	خدمة	الناصر	يوسف	الملك	خدمة	السلطان	يوسف	الناصر	المولى
ثمانين	الناصر	السلطان	يوسف	المولى	خدمة	السلطان	يوسف	الناصر	المولى	خدمة
تسعين	يوسف	الملك	المولى	خدمة	السلطان	يوسف	الناصر	المولى	خدمة	الملك
مائة	المولى	خدمة	السلطان	يوسف	الناصر	المولى	خدمة	الملك	خدمة	الناصر
مائة وعشرة	السلطان	خدمة	الناصر	المولى	خدمة	السلطان	يوسف	الناصر	المولى	خدمة
مائة وعشرين	الناصر	المولى	يوسف	الناصر	خدمة	السلطان	يوسف	الناصر	المولى	خدمة
مائة وثلاثين	يوسف	الملك	خدمة	السلطان	يوسف	الناصر	المولى	خدمة	الملك	خدمة
مائة وأربعين	خدمة	السلطان	يوسف	الناصر	المولى	خدمة	السلطان	يوسف	الناصر	المولى
مائة وخمسين	السلطان	يوسف	الملك	المولى	خدمة	الملك	خدمة	السلطان	يوسف	الناصر
مائة وستين	الناصر	المولى	خدمة	الملك	خدمة	الناصر	المولى	خدمة	السلطان	يوسف
مائة وسبعين	الملك	خدمة	الناصر	المولى	خدمة	السلطان	يوسف	الناصر	المولى	خدمة
مائة وثمانين	خدمة	الناصر	السلطان	يوسف	الملك	خدمة	السلطان	يوسف	الناصر	المولى
مائة وتسعين	السلطان	يوسف	الملك	المولى	خدمة	السلطان	يوسف	الناصر	المولى	خدمة
مائتين	الملك	المولى	يوسف	الناصر	المولى	خدمة	السلطان	يوسف	الناصر	المولى
مائتين وعشرة	السلطان	خدمة	الناصر	المولى	خدمة	الملك	المولى	يوسف	الناصر	السلطان

أسماء الشهور	خدمة	المولى	السلطان	الملك	الناصر	صلاح الدين	يوسف
المحرم	الاحد	الاثنين	الثلاثاء	الأربعاء	الخميس	الجمعة	السبت
عاشوراء	الثلاثاء	الأربعاء	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين
صفر	الاثنين	الثلاثاء	الأربعاء	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد
ربيع أول	الأربعاء	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاثاء
ربيع آخر	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاثاء	الأربعاء	الخميس
جمادى الأولى	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاثاء	الأربعاء	الخميس	الجمعة
جمادى الآخرة	الاثنين	الثلاثاء	الأربعاء	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد
رجب	الثلاثاء	الأربعاء	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين
شعبان	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاثاء	الأربعاء
الصنف	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاثاء	الأربعاء
رمضان	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاثاء	الأربعاء	الخميس
شوال	الاحد	الاثنين	الثلاثاء	الأربعاء	الخميس	الجمعة	السبت
ذو القعدة	الاثنين	الثلاثاء	الأربعاء	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد
ذو الحجة	الأربعاء	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاثاء
الوقفة	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاثاء	الأربعاء
عيد الاضحى	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاثاء	الأربعاء	الخميس

العلم هو أعلى السعادات لنوع الانسان

هو العلم الذى أرانا أن :

- (١) السنين الكبيسة والسنين البسيطة دوائر منتظمات متعاقبات كدوائر الشعر والموسيقى ونغمات الطيور وأن نغمات الطيور تسير على دوائر كما تقدم فى الدائرة الاولى من دوائر الخليل
- (٢) التى فيها بحر الطويل المائل
- (٣) لصياح الفاخنة
- (٤) ولنظيره من الذى يسمونه الماخورى فى علم الموسيقى
- (٥) ومن دوائر الكسوف والخسوف من حيث مواعيد وقوعها كالتى قبلها
- (٦) ويتبع ذلك أن للقمر وجوها تتكرر كل شهر فهى إذن أشبه ببحر من الشعر ذى أوزان تتكرر فى كل سنة (٩٦) مرة
- (٧) وهكذا دوائر الكواكب المعروفة ومنها « الكوكب الجديد السيار » فكلها تتم دائرتها ثم تعود كما يفعل الشاعر فى شعره والمغنى فى غنائه ، إن الله عز وجل يفعل فى فلكه من سير الكوكب وحسابه ما يفعله الشاعر والموسيقى ، وفعل الله فى نظام العناصر وفعل الانسان والطيور فى نظام الحروف والنتيجة تتبع المقدمات اه من كتابنا الجواهر فى تفسير القرآن

حقائق العرفان وآيات القرآن

ولعلك الآن فهمت من هذا قوله تعالى (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقِسْطِ) فهذا حقيقة هو القيام بالقسط والعدل والنظام والترتيب ولعلك أنت من أولى العلم واذن تعلم أن الزمان الذى هو مقدار حركة الأجرام السماوية الذى رأيت هذا العدل فيه ليس بأولى من المادة المتحركة بالعدل ألا ترى رعاك الله الأنواع المعدنية والنباتية والحيوانية فان موادها حصل فيها

العدل من جهات شتى ألا ترى أنها ليست بالحيوان أولى منها بالنبات ولا بالنبات أولى منها بالمعدن وهكذا نقول هذا الدليل في جميع أنواع الحيوان وأنواع النبات والانسان فلذلك قسم هذه الصور بين أجزاء المادة تقسيماً عجيباً فجعل بعضها معدناً وبعضها نباتاً وبعضها حيواناً ثم كل نوع منها يجوز أن يكون أشخاصاً كثيرة وليس شخص منها أولى من الآخر فجعل البقاء لها محدوداً متناهياً لتلبس المادة خلع الصور جميعها صورة بعد صورة الى ما لا يتناهى فهذا إذا تدبرته هو العدل والقسط ويشابه تمام المشابهة لما رأيته من أدوار الفلك فتأمل كيف تشابه العدل في الزمان والقسط في المادة وصاراً بنسبة واحدة ومن هذا تفهم حكمة الموت وتعلم أن الحرب والوباء والفناء كلها حكمة عالية تامة وتمت كلمة ربك وبهذا يبدأ سرك ويطمئن بالعلم ومعرفة الحقائق وتبتهج بها وهكذا ترى الناس اقتسموا أنواع البلاء كما تقاسموا أصناف المسرات فيعطى هذا جمالا وفقرا وذاك غنى وقبحاً وهكذا مما لا نهاية له فهذه ثلاثة أنواع :

الأول النظمات الفلكية والثاني صور المادة وهى أنواع الموجودات وأشخاصها والثالث أحوال السرور والحزن والنعم والبلايا وهذا كلام مجمل لا يفصله الا طول البحث والتفكير ومساعدته بالعلوم الطبيعية والعقلية والشرعية وغيرها والمدار كله على التمثل والفهم وهذا لعمر ك يسر العاقل ويتبهرج به ويسمعه الجاهل من وراء حجاب وأنت أيها الأخ الفطن اذا فهمت هذا عرفت حقيقة كيف كانت أجسامنا عرضة للبلايا من داخل ومن خارج وأن سببه كثرة العناصر الداخلة فيها وعرفت أن لذة الشهوتين ليست مقصودة وإنما هى لبقاء البنية الى وقت ما بادخال بدل ما انحل وللتذكرة والتبصرة والاعتبار بلذة العلم الذى نصل اليه بعد هذه الحياة المبنية على التفاعل . وأيضاً لو كانت أجسامنا قليلة التركيب كالأحجار والصخور والرمل لدمنت زمننا طويلاً ولم يكن ذلك عدلاً فوجب بطريق الحكمة والعدل أن تتفاعل أجسامنا داخلاً بالعناصر المتضادة وخارجاً بالحروب والعوادي الجوية وغيرها لتتحل أشخاص ويأتى آخرون من بعدهم

وأما الحروب فلتحبي أمة وتموت أخرى فلا بد من خفض ورفع وعز وذل وضعة وشرف لئلا يختص قوم بالعدو دون آخرين (وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ) فكان من استطلع خفايا هذا الكون يقرأ في صفحاته باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب . وهذا الباب من العلم لذة عظيمة لا يفهمه الا الراسخون في العلم وبه تتفاوت العقلاء والحكماء ومن هنا عرفوا أن وجوداً مثل هذا لم يكن مقصوداً الا وسيلة لوجود لذة لا تتقضى وعرفوا كيف كان تعاقب الموت والحياة نعمة على كل فرد اذ بتكرار الأشخاص وتلاحقهم تزداد لذاتهم اذ كل يفرح بشبهه ونظيره ممن هو على شاكلته ولذلك طلب منا الزواج لتكثير النسل وقرأنا في كل صلاة السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين تذكرة باخوان على الشاكلة وهم أمثال متلاحقون واليه الرمز بقوله (أُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ)

لعلك أيها الأخ فهمت من هذا قوله تعالى (مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَافُوتٍ) فيها أنت ذا رأيت التناسب بعين بصيرتك في هذا العالم كما رأيت بعين البصر في هندسة الأشجار وانتظام أوراقها وأزهارها وأثمارها وان كل شجرة تحذو نهج أصلها وكل أم يتبعها ولدها فأنواع النبات والحيوان والانسان كل فرع منها تراه يتبع أصله بل الأمم يشبه بعضها بعضاً كما في الحديث (لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه) . ولذلك ترى علماء الافرنج يقولون التاريخ يعيد نفسه وقال سيدنا علي لولا ان الكلام يعاد لنفد أي أن الأفكار اللاحقة تشابه الأفكار السابقة (كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ) . فكما تشابهت القلوب والأفكار تشابهت الأمم وتتابعمت وهكذا الأفراد من كل نوع فكان الله ذكر هذه الآية وما يماثلها لينبهنا الى تشابه العالم وتناسقه وأحكامه وانتظامه لثلاثة أسباب

الأول - انه يرينا حكمته ونظامه وعدله

الثانى — علم أن حياتنا قصيرة فما نسبة الزمن الذى نحن فيه الى جميع الأزمنة الا كنسبة الجزء الذى تشغله أجسامنا الى هذا الفضاء الواسع الذى لا يتناهى ولا نعرف آخره فأراد بهذا التشابه بين جميع العوالم علويها وسفليها أن يوقفنا بالجزء على الكل اذ جعل كل جزء من العالم يشبه بقية الأجزاء بل جعل كل انسان وحيوان يشابه العالم كله حتى جعل نظام جسم الانسان كنظام العالم كله ونظام المدينة الفاضلة فكأن روح الانسان فى ثلاث ثياب متشابهات ثوب الجسم وثوب الأئمة وثوب الملك وكل يشبه الآخر . وهذا ملخص آراء أهل المدينة الفاضلة للفارابى وهو المعلم الثانى وكانه عز وجل يقول للانسان افهم هذا الجسم الذى سكنته وأشبهه العالم كله

وقد مثلت الانسان بقصر مشيد فى مقالة مختصرة فى كتاب جواهر العلوم فارجع اليه ان شئت فتأمل كيف أردف الآية المتقدمة وهى قوله تعالى (كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ) بقوله (قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) والايقان العلم الذى لا يعتوره شك وهو الذى كان يطلبه من ربه نبينا صلى الله عليه وسلم وكان يقول خير ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر وقال فى الثانى وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر

الثالث معرفة الجزاء ولذلك قال (وَالْوِزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ تَلَفَحَ وُجُوهُهُمْ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَانْتَكَبْتُمْ وَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ قَالُوا رَبَّنَا عَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ قَالِ اخْسِئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُون إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ أَنَّنِي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَازُونَ قَالِ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ

عَدَدَ سِنِينَ قَالُوا لَيْسَ بِنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْتَلِ الْعَادِّينَ قَالَ إِنْ لَيْسَ بِنَا قَدِيمًا وَ أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَفَحَسِبْتُمْ أَنْمَّا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنْتُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ) فانظر كيف كان أول هذه الآيات والوزن يومئذ الحق وآخرها ذكر الحساب عند الرب فأجل نظرك في الحساب المتقدم وكيف رأيته لم يترك مثقال ذرة إلا أحصاها في أدوار الفلك وقل اذا كان هذا فعله في الدنيا فكيف به في الآخرة والحقيقة أن النظام واحد في الدارين لا يتغير وإنما هو جلي عند الخاصة خفي على العامة وانظر كيف يقول الظالمون (ياويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادرُ صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها) وقال الله فيهم (ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلمُ ربُّك أحداً)

حقائق ورقائق

لقد رأيت سير الشمس والقمر وانتظامهما وما فيهما من حكم ومصالح ولعلك من هذا تفهم ما يرد عليك من آيات القرآن فتفرح بما في نفسك من علم وفهم وتقول رب زدني علماً ويكون فرحك مأموراً به (قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) لا الفرح المذموم كما قال تعالى في حق قارون (إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ) ولا كذبتك الرجلين الصالحين اللذين أرسلهما الحكيم لتعليم الملك في بلاد الهند فعلماه ومالا الى الدنيا وزخارفها وصارا فتنة للناس فانظر كيف اختلف الفرحان إذ أولهما باقٍ وهو العلم والثاني فان وهو عرض الدنيا الذي عند قارون ومن على شاكلة ومالا بقاء له فالفرح به وصحبته جهل وخزي فانظر كيف تفرح بعد ما فهمت هذا إذا قرأت قوله تعالى (الشمس والقمر بحسبان والنجم

والشجرُ يسجدان) وقوله (وكفى بنا حاسبين) وقوله (وهو أسرع الحاسبين) وقوله (وما يعزبُ عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين) وقوله (والشمس تجري إستمراً لها ذلك تقدير العزيز العليم) وقوله (والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم) وكيف ترى في نفسك بهجة وسروراً اذا لاحظت منازل القمر وتقديرها وهي ٢٨ منزلة ينزلها القمر في خلال الشهر فتراه أول ليلة كالعرجون الذي هو الساق الحامل لشاريخ البلح ويسمى عند العامة السباطة) وقد أشبهها القمر في الصفرة والدقة والانحناء ثم يرى في الليلة الثانية متأخراً عنه في الليلة الاولى والمسافة بينهما منزلة تقريباً ومثل ذلك في الليلة الثالثة والرابعة وهكذا فيتم ثمانية وعشرين منزلة في مدة ٢٧ يوماً و ٧ ساعات و ٤٣ دقيقة و ١١ ثانية ونصف ثانية

فاذا أتم هذه الدورة لم يجد الشمس في المكان الذي تركها فيه في القبة السماوية فيجري ليصلها فيدركها وقد قطعت منزلتين وثلاثاً تقريباً وهي نحو برج من السماء في يومين وخمس ساعات تقريباً وتكون المدة جميعها تسعة وعشرين يوماً و ١٢ ساعة و ثمانيتين و ٩/١٠ من الثانية الواحدة والحاصل انه كلما قطع ١٣ برجاً قطعت الشمس برجاً واحداً وها أناذا أيها الاخ اوضحت المقام بما في الوسم

فتأمل هذا التقدير العجيب وكيف قدر جرى القمر بهذه السرعة العجيبة وترتب عليه مصالح الأمم فترى أهل البدو والاعراب والفلاحين يعرفون حسابهم بلا نصب ولا تعب مكتفين بالنظام والتقدير الذي قدره لهم ربهم مطمئنين به لا يشكون في صدق حسابه فهل رأيت أيها الاخ يوماً رجلاً سواء أكان من أقل الناس إدراكاً وأحطهم فكراً أم من أقصاهم عرفاً وأعلامهم عقلاً يدعى جوراً وظلماً في هذه المواقيت أو تقديماً وتأخيراً فالأجير والخادم والتاجر والحاكم كل مصدق مطمئن على صدق الزمن وحسابه لا يشك فيه وإنما يحصر فكره في مقدار ما يأخذه من الأجرة على كل مقدار من الزمن وهذا حقيقة هو العدل

فهذا من فوائد التقدير في الآية ولقد أخذني العجب والانبهار عند كتابه هذا الموضوع وتعجبت من هذه الحكمة الباهرة الظاهرة وكيف كان مقدار سرعة القمر قدر سرعة الشمس نحو ثلاثة عشر مرة لا يتغير هذا المقدار من يوم أن خلق الله السموات والأرض إلى ما شاء الله في المستقبل (ان هذا شيء عجب) ما أعجب هذا الملك وما أتم هذه الصنعة وما أغربها ولعلك من هذا عرفت حكمة قوله تعالى (لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) لما علمت أن الذي يدرك الآخر هو القمر فانه يجري ويرجع لها كالصبي يذهب إلى المدرسة وأمه تلاحظه ويرجع إليها آخر النهار ولذلك يسمون ظهور القمر أول الشهر توليداً

ولعمري أيها الاخ ما الحياة إلا حياة العلوم والمعارف حياة مشاهدة نظام عجيب مشاهدة حكم وغرائب ولطائف (تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فيأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون) فاذا رأيت هذا القول شارحاً لصدرك فابشر فقد انفتحت لك البصيرة في العلم والفهم فاذا نظرت إلى القمر وترتيب سيره عرفت قوله تعالى (ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) فذكر التقدير مع الشمس والقمر ثم العزة مع الاولى لانها هي السلطان في العالم وذكر معها العلم أيضاً ليرينا بهذا الحساب علمه وقدرته وتقديره . ما الطف هذا البيان وما أجل هذا التفصيل (يُدَبِّرُ الْأُمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بَلِقَاءَ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ) (ولقد جئناكم بكتاب ففصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون) فهذا من التفصيل . فتأمل كيف يكون فرحك اذا قرأت بعد ما عرفت ما تقدم قوله تعالى (يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ) فاذا اتبعت هذه الآية ما بعدها وهو قوله (وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)

رأيت أمراً عجيباً ألا ترى أن الاختلاف بين أنواع الحيوان وهي من أصل واحد وهو الماء يشبه تمام المشابهة الاختلاف بين الليل والنهار اللذين يقلبهما الله على صور

متعددة والشمس واحدة تدور في مدار قطع ناقص واحد وان هذه الحيوانات كلها من نواتج الاسباب السماوية فأشبهتها في الاختلاف وبهذا عرفت تلك القدرة وفهمت الموازين التي في السموات والارض وعلمت معنى قائماً بالقسط وانه حكيم وانه خلق السموات والارض بالحق ومعنى (وكلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ) وقوله (اللهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ) وانه كيف عطف الميزان العام في السموات والارض على الكتاب من باب عطف العام على الخاص ثم كيف ذكر مسألة الساعة بعدها فكأنه يقول اذا كانت هذه الأفلاك الدائرات لم أذر حركة من حركاتها الا حسبتها (وما يَعَزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) فكيف أترك أفعال خلاصة خلقي بدون نظر في شؤونهم فلا بد من يوم أزن فيه أعمالهم وافرغ لهم كما وزنت هذه الدنيا بما فيها من خير وشر ونفع وضر (يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُنْ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّهُ لَطِيفٌ خَبِيرٌ)

الفصل الرابع

اختلاف الأمم والممالك

المناسبة لاختلاف الليل والنهار

اعلم أن هذا النظام الأرضي تابع لسير الاجرام العلوية فالرياح والأمطار والحر والبرد كلها على حسب سير الشمس كما هو ثابت في العلوم الطبيعية إذ هبوب الرياح قد ينشأ من تملخلها بالحرارة في الجهة الاستوائية فيذهب تياران جنوبي وشمالى الى القطبين ويكون هناك التبخر ويحصل التغير في البر والبحر ويشير لذلك قوله تعالى : (اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ

رزقاً لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظالم كفار (فقد ذكر الماء الذي تخرج به جميع الثمار وتجري به الأنهار عليها السفن ثم أعقبه بذكر سبب انزاله من السماء وخروجه من البحر الملح بالتبخر بالحرارة الناشئة من الشمس فقال وسخر لكم الشمس والقمر دائبين فانظر كيف جعل العطف رمزاً لذلك كله على حسب ما تقرر في العلوم الطبيعية فهو من ذكر السبب عقب المسبب وبمثل هذا فليفهم القرآن ولقد علمت أنه بانتقال الشمس شمالاً وجنوباً يحصل اختلاف في الحرارة كما يحصل في الأيام والليالي فتختلف الفصول وتكون أربعة الصيف والخريف والشتاء والربيع اثنان معتدلان وواحد حار والآخر بارد وإذا كانت أحوال الأرض على وجه العموم لا ثبات لها فهكذا كانت أحوال الأمم والدول فكما أنه بمقدار ما ينقص الحر تزداد البرودة كذلك الأمة بمقدار ما تنقص تزيد المضادة لها وكما أن الزيادة والنقصان لازمان لكل من الحر والبرد والليل والنهار والصيف والشتاء فكذلك الأمم لا بد فيها من غالبية ومغلوبة وعالية وسافلة ولا تقف على حالة واحدة فالأمة إما في انحطاط أو ارتفاع في كل آن فهي كالجسم دائم التفاعل لا يقف لحظة عن زيادة أو نقص (ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت) وكما أن الفصول متغيرة كذلك الدول متغيرة فلا بد من انخفاض دولة وارتفاع أخرى ثم يتبدلان وهذه هي الحال في الشرق والغرب وهذه سنة الله في خلقه (فلن تجد لسنة الله تبديلاً وأن تجد لسنة الله تحويلاً) ومن هنا نفهم قوله تعالى (وتلك الأيام نداولها بين الناس) اذ يستحيل أن يغير السنة اذ النهج واحد لا يتغير عن التغير ولا يتبدل عن التبدل فهو دائم على التبدل .

الفصل الخامس

في حوادث الارض المهولة

وما يتبعها من فوائد أخرى

وهل أتاك ما أجمع عليه الفلكيون وأثبتته الأقدمون وكشفه على أثرهم العلماء
العصريون من انقلاب أحوال الأرض وتغييرها واضطرابها وتبدل عامرها غامراً
وغامرها عامراً وسهلها جبلاً وجبلها سهلاً وبرها بجزراً وبحرها برأً وقطبها خط استواء
وخط استوائها قطبا والمسكون خراباً والخراب مسكوناً (أفرايت إن متعناهم سنين ثم
جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون وما أهلكنا من قرية إلا لها
مُندرون ذكروا وما كنا ظالمين) وإنما هو بحساب ذكره علماء الفلك وهكذا
علماء الجولوجيا أى علم طبقات الأرض فاصغ لما أقول بذهن صاف وقلب حاضر

ذكر علماء الفلك أن للعالم دوراً قدره الأقدمون ٣٦ ألف سنة قالوا ان أحوال
الأرض كلها تتغير فيصير البر بجزراً والبحر برأً والجبل بجزراً والبحر جبلاً وهذا القطب
سيكون كما كان قديماً ويصير خط الاستواء الآن ثلجاً والقطبان خط استواء وهكذا
قال الأقدمون وقالوا ان الرأس والذنب لمدار الشمس يتغيران من سنة الى أخرى وفي
كل مائة سنة تنتقل الرأس درجة واحدة في السماء ففي كل ثلاثة آلاف سنة تنتقل
الرأس برجاً واحداً وفي كل ٣٦ ألف سنة تنتقل في ١٢ برجاً وترجع الى ما كانت
عليه وهكذا وإذا انتقل الرأس فالذنب كذلك ومعلوم أن الرأس هي النقطة التي اذا
وصلت اليها الشمس كانت في مبدأ الصيف في أول يولييه تقريباً والذنب النقطة التي
اذا وصلت إليها الشمس كانت في أول يناير في مبدأ الشتاء تقريباً وبعبارة أخرى الرأس
أقصى نقطة تصل إليها الشمس جهة الشمال وعكسها الذنب فهاتان النقطتان تتغيران
دائماً كما رأيت

أما علماء الفلك المصريون فقد قالوا كما قال الذين من قبلهم مع اختلاف في الحساب فقد كشف هيبارك الاسكندري (من مدينة اسكندرية) من نحو ألفي سنة ان الاعتدالين يتقدمان وهو المسمى مبادرة الاعتدالين تقدماً يسيراً جهة الشمال وتوضيحه أن الشمس في كل سنة لها يوماً اعتدال في أول الربيع وأول الخريف فاذا نظرت الى الشمس في أول الربيع من سنة معينة ونظرت غروبها من نقطة معينة ثم نظرت اليها في اليوم بعينه من السنة الثانية ثم الثالثة والرابعة وهكذا لم تجد فرقاً بين مغاربها في تلك الأوقات بحسب الحس الظاهر — أما هيبارك الاسكندري ومن حذا حذوه من علماء الفلك المصريين الأوروبائين فقالوا تتقدم في تلك الأوقات سنة بعد سنة وتقدمها في كل مرة $\frac{1}{6}^\circ$ دقيقة من القبة السماوية أو ٥٠ ثانية وجزء من ١٠ من الثانية وبناء على ذلك يصير التقدم في كل ٧٢ سنة درجة وفي كل ٢١٦٠ سنة برجاً ٣٠ درجة

وبناء على هذا يتغير سير القطب الشمالى من سنة الى سنة فالقطب الآن بينه وبين النجمة القطبية درجة ونصف فاذا مضى ٢٥٠ سنة صار هذا البعد نصف درجة أو ٣٠ دقيقة وبعد ذلك الوقت يتباعد القطب الشمالى عن النجمة القطبية وفي زمن قدره ١٢٠٠٠ اثني عشر ألف سنة تقريباً تصير النجمة السماء الواقع من النسر هي القطب بدل النجمة القطبية الآن وتنال خواص النجمة القطبية الحالية وهذه النجمة بين السماء الأعزل من السنبلة والسمك الرامح في نحو منتصف القبة السماوية أى تتباعد عن هذه النجمة الحالية الآن بنحو ٦٠ درجة وبناء على هذا تتغير مناظر السماء فما كان ابدى الظهور يصبح ابدى الخفاء وما كان ابدى الخفاء يصبح ابدى الظهور وأسماء البروج المشهورة وهي الحمل والثور والجوزا النخ صارت صورها المعلومه أيام هيبارك ليست محل البروج الحقيقية الآن بل حفظت الاسماء وان تغيرت الصور كما أوضحه حسن بك حسنى في كتابه الاصول الوافية في علم القسموغرافيا وهكذا نرى ذات الكرسي التي هي عبارة عن نجوم قريبة من القطب الشمالى في الجهة المخالفة للدب

الأكبر كانت أبدية الخفاء منذ أربعة آلاف سنة فهي الآن أبدية الظهور
 هذا ملخص أقوال القدماء والعصريين ولقد رأيت الفرق بينهما عشرة آلاف سنة.
 فان الأقدمين يجعلون الدور ٣٦ ألف سنة والعصريون يقولون ٢٦ ألف سنة وتأخذ
 من كلام الفريقين أن هذه الكرة الأرضية تحدث فيها أحوال على طول الزمن غير
 ظاهرة للعامة ظاهرة للخاصة فتأمل كيف كان تقدم الاعتدالين له سير مخصوص يتم
 دورته في آلاف من السنين فاذا أتم دورته فكأنها يوم واحد اذ يوم الكوكب عبارة
 عن دورة تامة له وقد قال الأقدمون في كل ٦٠ سنة تغير يسير وفي كل ٣٦٠ سنة
 انقلاب آخر

فتأمل كيف دل حساب الفلك على ان يوماً عند ربك ربما كان كألف سنة
 مما تعدون وربما كان كخمسين ألف سنة مما تعدون وذكرهم بأيام الله أو ٣٦٠ ألف سنة

حكمة

هل أتى العلم بالنهاية كلا ثم كلا فلقد أظهر علماء العصر الحاضر أن للشمس حركة
 حول نجم آخر لا يعلم كيف تلك الحركة انما يعلمون أنها ترسم في سيرها قوساً من
 قطع ناقص ولكن الى متى وفي أى مدة — فياليت شعري كم عدد السنين التي تتمها
 الشمس في دورتها حول ذلك الكوكب الآخر وربما كان تمام دورها يوم القيام وربما
 كان غير ذلك

ولعلك من هذا عرفت معنى كونه تعالى أسرع الحاسبين وعلمت أيضاً أيها الأخ
 انه ما على الأرض يتأثر بالحركات السماوية وتتغير الأوضاع والدول والحر والبرد
 والحيوان والانسان وكل ما على الأرض

حل معضلات

وهذه المسئلة تفهمك أيها الأخ ما تسمعه في الاستكشافات الحديثة من أن الجهة القطبية فيها حيوانات مهولة الحلقة وجدت مطمورة تحت الأرض فتحير علماء طبقات الأرض وقالوا لعل الأرض تتغير من حال الى حال ولقد علمت علم اليقين أيها الأخ من الفلك أن الجهة القطبية كانت خط استواء في غاية الحرارة كما هي الآن في غاية البرودة

فانظر كيف شقيت البلاد وسعدت كما شقى الناس وسعدوا وأن الدول تنقل من أمة الى أمة وهكذا العلوم والمعارف والعز والذل ولذلك ترى أن الأمم الأوروبية الآن تكشف الجهة القطبية حكمة من الله وعدلا ليلفت أذهان نوع الانسان لتلك الجهة في مستقبل الزمان حتى تسكن فيما سيأتى هكذا معلوم في التاريخ أن أمم أوروبا كلها من بلاد آسيا وانما انتقلوا اليها الهاماً من الله حين نقص بردها بالتدريج على طول الزمان وستصبح حارة والتاريخ دل أيضاً على ان العلم والحكمة إنما كانت عند قدماء المصريين و بلاد آسيا والشرقيين وانما حدثت في بلاد أوروبا أخيراً

ومن الحكمة العجيبة أن جهة القطب الجنوبي مغمورة بالماء ولا يعلم منها الا الى درجة نحو ٨٠ عند الجليد — أما الشمالية فقد تقدموا في اكتشافها الى ما يقرب من القطب وكما كانت أمم آسيا التتاريون يغيرون على أرض أوروبا قديما ويعمرونها كلما أخذت في الحرارة شيئا فشيئا كذلك أهل أوروبا الآن سيتقدمون جهة القطب شيئا فشيئا على طبق ما تفعله الشمس

لا تيأسوا من روح الله

إذا فهمت هذا علمت كيف ورد الوعيد الشديد في القرآن على البأس من رحمة الله تعالى قال (وَلَا تَيَاسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ) وذلك لأنهم لم ينظروا في هذا الكون فلم يعلموا أن مع العسر يسرا وأن

كلا من الليل والنهار يعقب الآخر وهكذا الحر والبرد وان الكون متشابه يشبه بعضه بعضا فهذا فى الحقيقة جهل بنسبة الكون ونواميس الطبيعة كيف لا والحروب التى تحدث فى الكون طبيعية لا بد منها ومن ظن من السواس أن يوقفها مرة واحدة فهو جاهل بنواميس الكون قصير النظر اذ الحرب عليها مدار تقدم الأمم ولولا العداوة ما تقدمت الافراد ولا ارتقت الصناعات فلذلك ترى الأمة تحارب الأخرى حتى اذا أيقظتها من رقدتها قامت تلك الأخرى فوجدت أن الأولى الحاربة قد ترفت ونامت على مهاد العز وعروش العظمة فأخذت تترقى شيئا فشيئا لتجارىها فى مضمار الحياة وسعت لها سعيها حتى رجعت عليها فأخذتها أخذ عزيز مقتدر مسلط قاهر فالجاهل يرى هذا اختلالا فى الملك والعالم الحكيم يقول لو لم يكن هذا لكان اختلالا وهزءا وتركنا للحكمة وما مثل هذا الا اختلاف الليل والنهار وتقدم الاعتدالين الذى من فوائده أن الحكمة الالهية تدبر فى باطن الأرض هناك بالحرارة معادن لتحضرها الى الأمم التى تسكن هناك بعد حين من الدهر عظيم جدا اذ المعادن التى فى الأرض المسكونة لا بد من نقادها يوما ما وذلك حتى يأتى وقت لا تصلح للسكنى كل هذا تدبير وحكمة فالحركة سارية فى الكون من علوى يتبعه سفلى على سطح الكرة وفى باطنها فالملك يبقى فى الأمة أمدأ على مقدار ما وهبته من العلم والعمل وحينما تأخذ فى الترف تكون أمة أخرى دبّت فيها روح النشاط فتتنقص الأولى وتزيد الثانية فهى على وزان الارض وانتقال العماره فيها تبعاً لحركات الشمس كما رأيت

ولعلك من هذا أنها الأخ فهمت حكمة تقديم سير الشمس والقمر وحسابهما فى سورة الرحمن ثم ذكر جميع العوالم بعدها واحدا واحدا اجمالا حيث قال (الشمسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ الخ السورة)

وملخص هذا الباب أن أحوال الدول والممالك والمعمر والخراب والعز والذل والرفع والخفض مثل سير الشمس واختلاف الليل والنهار وتعاقبها وانتقالها من جهة الى جهة بالزيادة والنقص قال تعالى خطابا لنبينا صلى الله عليه وسلم (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ

الْمَلِكُ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (وأشار الى سبب ذلك فقال (تولجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ)

فتأمل هذه الآية وما فيها من الرمز الغريب وتعجب من هذه الأحكام ، انتهى الكلام على المقام الأول من الباب الثاني وفصوله

المقام الثاني — في عجائب الظلال وشواخص المزاويل وفي ان جميع

الظلال حسابها كحساب الشمس وهي تقوم مقامها وفي غفلة العقلاء عن النظر في جلال الأشجار وفيما يناسب ذلك مما يتضمنه قوله تعالى ان ربكم لرءوف رحيم وفي أعجوبة الظلال وملح الهندسة وفي أبداع من ذلك في مساحات المثلثات الظلية وفي معرفة حقائق الظلال أعرض هي أم جوهر أم أمر عدى وفي دلالة الظلال على الله فهنا سبعة فصول:

الفصل الأول — في ان جميع الظلال حسابها كحساب الشمس

الفصل الثاني — في الكلام على غفلة العقلاء عن النظر في ظلال الأشجار والأبنية

الفصل الثالث — في النظر في الظلال أيضا لمناسبة ان ربكم لرءوف رحيم

الفصل الرابع — في أعجوبة الظلال وملح الهندسة

الفصل الخامس — عجائب مساحات المثلثات الظلية التي ترسمها

الأعداد التسعة البسيطة

الفصل السادس — في الكلام على ما يأتي أعرض الظل أم جوهر أم

أمر عدى

الفصل السابع — في دلالة الظل على الله

الفصل الأول

في ان جميع الظلال حسابها كحساب الشمس

اعلم ان قصة أهل الكهف المذكورة فيما تقدم وقد تضمنت حساب السنين الشمسية والقمرية جاء فيها أمر ظاهر خفي واضح مستور من حيث سير الشمس وهو قوله تعالى (وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُ مِنْهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ) أى أن الشمس تميل عن كهفهم إذا طلعت وإذا غربت فلا تصيبهم شمس وهم في متسع الكهف نعم أتبعه بقوله ذلك من آيات الله

فإذا قرأ القارىء هذه الآية يقول في نفسه أين آية الله هنا إذ المقرر في أذهان العامة وكثير من أهل العلم ان آيات الله هي الخوارق للعادات. انما آيات الله ما ظهر لذوى النفوس العالية في حساب سير الكواكب والشمس والقمر والنظام العجيب فالآية هنا ظاهرة لذوى البصائر خفية على العامة والجاهلين وتوضيحه أن الشمس كما علت حسابها منتظم وجميع ظلال الاشجار تبع لها فهي بحساب منتظم أيضا فلن ترى من شجرة صغيرة ولا كبيرة ولا شاخص الاوله حساب منتظم تمام الانتظام تابع لحساب الشمس ولقد عرف هذا الفلاحون وأهل البدو فجعلوا أعمالهم على حسب الظلال ولقد استعمل علماء الفلك نفس هذا الظل في معرفة مقدار الزاوية التى بين الدائرة الكسوفية ودائرة المعدل المسمى ميل الدائرة الكسوفية وذلك انهم نصبوا شاخصاً في الارض في محل مستو مكشوف و نظروا ظله في يوم المنقلب الصيفي ويوم المنقلب الشتوي وقاسوا في هذين اليومين أعظم ارتفاع زاوى للشمس وتوضيحه أن الشاخص يعتبرونه ضلع مثلث وقياسه ممكن وظله على الارض ضلع آخر والخط الواصل من نهاية الظل ورأس الشاخص الذى هو وتر المثلث المقابل للزاوية القائمة ضلعه الثالث فالزاوية المنحصرة

بين وتر المثلث والضلع الذي رسمه الظل هي الدالة على البعد الزاوي للشمس وهذه الزاوية كلما قصر الظل كبرت وكلما طال صغرت كما هو مبرهن عليه في الهندسة فإذا راقبت ظل الشاخص فنهاية قصره يكون هناك أعظم ارتفاع للشمس واذن علم من المثلث ضلعه والزاوية المنحصرة بينهما فيمكن رسم ومقاس تلك الزاوية الدالة على ارتفاع الشمس بكل سهولة على الورق بالرق المشهور في الهندسة أو بغيره وتصنع هكذا في يومى المنقلين اللذين عرفتهما سابقاً وتقسّم الفرق بين هذين الارتفاعين نصفين فيكون ذلك النصف هو الزاوية الواقعة بين الدائرة الكسوفية ودائرة المعدل

ويمكنك أيضاً أن ترسم خطاً بين هاتين النقطتين اللتين وصل إليهما الظل في يومى الانقلابين فذلك الخط هو نصف نهار ذلك المحل وحينئذ متى جاء ظل الشاخص عليه أى يوم من أيام السنة كان وقت الظهر مدى العمر كله فتأمل وتعجب كيف أمكن نوع الانسان بشاخص بسيط أن يعرف أوقاته وأن يحكم على الشمس في السماء وبعين درجاتها نعم نعم هذا من آيات الله

إذا فهمت هذا أبها الأخر فتأمل في آية الكهف وقوله تعالى : (وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَرَاوِرُّ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُ إِلَيْهِمْ ذَاتَ الشَّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ) فتأمل تر أنه جعل الشمس ونورها وظلالها لها حساب معين لا يتغير ولا يتبدل وذلك هو الآيات والحكم التي تبهر عقول أكابر الحكماء ولما علم سبحانه أن كثيراً من الناس لا يعقلون هذه الآية أردفها رامزاً لذلك بقوله : (مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُرْشِداً) فانظر كيف كانت هذه بعد قوله ذلك من آيات الله رامزاً الى أنه لا يقبل هذا إلا من عرف هذا العالم وهداه الله وأما الضال فكيف يهتدى وهذا وإن كان كلاماً جامعاً ومرسلاً كالأمثال فله مساس بما قبله فتأمل ما لهذه الظلال من الحساب وكيف تبعث الشمس في سيرها وحسابها ونظامها فلا ترى من حائط أو عماد أو خشبة منصوبة أو شجرة أو جسر أو جبل أو صخرة أو حجر في سهل حضر أو بدو ولا انسان أو حيوان أو نبات أو معدن مكشوف إلا ولكل من ظلالها

حساب كحساب الشمس كما رأيت في الشاخص المتقدم ألا ترى إلى قوله تعالى : (وَاللَّهُ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ) ومعلوم أن السجود هو الاتقياد للقوانين الموضوعة لهذا النظام فلما سجد كل مافى السموات والأرض ومشى على حساب النظام سجدت ظلالها وكان النظام واحداً وإلا لم يمكن الاستدلال بالظلال ولا بالمزاويل على سير الشمس ومعرفة انتقالها ومدارها وذلك تقدير العزيز العليم وإتفايد الظلال بالغدو والآصال لأن الاختلاف ظاهر في هذين الوقتين في التابع والمتبوع ويشير لذلك قوله : (الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان) سجود الأشجار والنبات من وجهين أحدهما من جهة النمو والمدة التي ينقضى أجلهما فيها وذلك على حسب الأشعة ومرور الزمان وثانيهما من حيث الضوء الناتج منه الظل فهو على حسب النور المشرق حوله وقد قال الله تعالى : (الشمس والقمر بحسبان)

فلما سجد المتبوع سجد التابع طبعاً . وهنا نكتة عجيبة وهي أن الانسان يحكم بالظل في الأرض على سير الشمس في السماء والبعد عظيم جداً لعله يتنبه من غفلته ويستيقظ من رقدته ويعلم أن الله نور السموات والأرض وكما أن للنور الذي يشاهد بالبصر أثراً يستدل به عليه فهكذا الخالق سبحانه وتعالى كل العالم ظل لنوره فلنستجمل مظاهره ولنقل كل جمال في هذه الظلال فأما هي سنحات من جماله وبوارق كمال ومحاسن من أخلاقه

الفصل الثاني

في الكلام على غفلة العقلاء عن النظر

في ظلال الأشجار والابنية

كم من عاقل يجلس تحت الأشجار الخضرة في البساتين النضرة والنور ظاهر والنفس زاهر والورق تغنى على الافنان فرحة بالروح والريحان وقطوف الأغصان دانية لاتسمع فيها لاغية والرياح النواسم على تلك الأغصان البواسم فيسكره خمردلك الجمال الظاهر والحسن الباهر ولا يعرج على الباطن من تلك المحاسن ولا ينظر إلى تلك الظلال وما فيها من الجمال مع أنه لو انخلع من ربه قيد المحسوسات ورجع الى فكرته لرأى ما هو أعجب من ذلك ألا وهو ظل الشجرة التي هو جالس تحتها ويقول ان أبصارنا إيمان ترى نوراً أو ظلمة أو ظلاً فالظلمة كالليل اذا يفتشى والنور معلوم كالنهار اذا تجلى وأما الظل فهو عبارة عن أشعة تنعكس من الأشعة الشمسية على ما وراء الاحجام الحاجبة لها كظل هذه الشجرة فمن جلس في ظل فهو في ضوء الشمس تتمتع بنورها وكفى شرها وأمن حرها (والله جعل لكم ممّا خلق ظلالاً وجعل لكم من الجبال أكناناتاً وجعل لكم سراييل تقيكم الحرّ وسراييل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون فان تولّوا فإنا علىك البلاغ المبين يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون) فتأمل كيف نبهنا بلطف خفي الى النظر في ظلال الأشجار وغيرها من كهوف الجبال ومغاراتها وامتن علينا بالثياب التي تقينا الحر والبرد والدروع السابغات التي تقينا الحرب وبالجملة كل ما نتقي به الاخطار من الحصون والقلاع والسلاح والعدة اذ لا فرق بين ما يقي أجسامنا مباشرة وما يقيها بواسطة عند الاتساع في القياس

وهنا نظر أدق وأعلى ألا وهو أن ظل هذه الشجرة ينقبض وينبسط

بحساب بديع كحساب الشاخص المتقدم بحيث يمكن حساب البعد الزاوى للشمس اذا انضبط والمقصود أن جميع الظلال من النبات والشجر والمساكن ذات حساب كحساب الشمس ولكل ظل من حائط أو شجرة أو زرع صفر أو كبر حسب حساب لا يشركه فيه سواه لاختلاف المقادير مع اشتراك الجميع فى القانون العمومى التابع للشمس فهو كاختلاف الليل والنهار فيما ذكرنا سابقا مع اتحاد الشمس والارض وكاختلاف أنواع مع المواليد الثلاثة وأفرادها مع اتحاد العناصر وكاختلاف اللغات مع اتحاد الحروف

فهذا نظرك أيها العاقل فى الظلال تفردت به عن الجهال الذين أسكروهم صبوة الهوى . (أفرايت من اتخذ إلهه هواه أفانت تكون عليه وكىلا) أى لست متوكلا عليه حتى تقهره على الإسلام شاء أم أبى وهذا كقوله (لست عليهم بمسيطر وما أنت عليهم بجبار) أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا (ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه فينا قبضا يسيرا وهو الذى جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا)

فانظر كيف يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم انظر الى هؤلاء الذين اتخذوا مذهبهم ومعبودهم الهوى اتظن أن هؤلاء يسمعون فيفهمون أو يعقلون وما هم إلا قوم أرجعوا القوة العاقلة الى اللذات السافلة التى فى مرتبة الأنعام ثم أخذ يشوق ذوى العقول ويوبخ الغافلين بالنظر الى الظل فانك تراه أول النهار قبل طلوع الشمس ساكنا مائلا للكرة الأرضية إذ نور الصبح طبعاً من انعكاس ضوء الشمس فى الهواء وذلك أن الكرة الأرضية محوطة بهواء الحامل للون الزرق التى نراها فوقنا ككرة محيطتنا بنا كما هى عادة الأجسام الشفافة فانا نراه كما امتد يزداد زرقه وهى لون غير حقيقى فهكذا هذا الهواء نرى فيه هذا اللون الأزرق لارتفاعه فى الجو ولولاه لكان جو السماء أسود لا أزرق وقد أجمع الحكماء على أن لون الزرق والخضرة أصلح ما يكون

لأبصار كل حي وبهذا الهواء ينتشر ضوء الشمس تحت الأفق وينعكس على سطح الكرة الأرضية قبل طلوع الشمس وبعد غروبها فهي في الحقيقة ظلال للشمس انعكست عن أشعتها ولو زال الهواء لطلع ضوء الشمس دفعة واحدة وغاب دفعة واحدة ولم يكن هناك فجر ولا صباح ولا شفق ولا غيره وإنما هما ظلام وضياء لا غير مع أن هذا مناف للحكمة الإلهية من التدرج في أحكام الصنعة فهذا فلنفهم قوله تعالى (أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ) أي قبل طلوع الشمس ثم قال (وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا) في الأرض فلا يظهر ضوء الشمس (ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا) أشار بذلك إلى نقصان الظل شيئاً فشيئاً كما ارتفعت الشمس بحساب معلوم على حسب دلالة الشمس وسيرها بحسب ما يظهر لنا في جو السماء مشيراً إلى أن المطابقة تامة بين الدليل وهو الشمس والمدلول وهو الظل إذ الشمس تجري بحساب معلوم يتبعها ضوءها والظل تبع للضوء فالشمس كأنها اللفظ وهو الدال والضوء الظل كالدلّول والمعنى واحد وقد قدمنا أن القسمة ثلاثة ضوء وظلمة وظل ولكل حكم يخصه فالظل والشمس تقدم حكمهما فإذا تعب الناس من الشمس لجأوا إلى الظل فاهتدوا بالنور وكفوا الحرارة وبقى القسم الثالث وهو الظلمة التي هي عدم الضوء بالسلبية الداعى إلى النوم بخلاف سابقه المعينين على الحركة ولذلك أعقبه بقوله (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا) فالليل بظلمته ساتر كاللباس كأنه شامل لجميع من على سطح الكرة من إنسان وغيره فينامون والنوم راحة للأبدان وأما النهار فقد قدمنا أنه للانتشار في الأرض والسعى على الرزق واعلم أن الله عز وجل علم أن كثيراً لا يفهمون ما ذكرنا من حكمة الهواء وأنه يكون به تدرج الضوء عند الغروب والشروق اتباعاً لما رسم في الحكمة الإلهية من التدرج في كل شيء فلم يذكر ذلك صريحاً لخفائه على الأفهام ثم اتبعها بهذه الآية (وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ بُشْرَى بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا) الآيات أي إرسال المطر يكون

في الغالب اذا كثرت الرياح الذاريات بين يديه ليستعد الناس له اذ لا يفجأ الله عباده بالأمر دفعة واحدة كما نراه يعطى النعم بتدريج في الأغلب رحمة بالعبيد لئلا يهلكوا بمفاجأة الفرح وهكذا يتقدم المرض الموت استدراجاً للنفوس من حال الى حال وهذا في الأعم الأغلب رحمة من الله ولطفاً (إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) وهذه قاعدة عمومية في العمل الالهي والذي نسجت عليه الأمم المتمدنة في الاستعمار بالاستدراج كما قال تعالى (سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ) فانك ترى وتعلم أن أهل أوروبا قلدوا هذه الحكمة العالية في الاستعمار فيستدرجون الناس من حيث لا يعلمون فيأسون بما ورد عليهم شيئاً فشيئاً وفي ذكر هذه الآية وهي التي فيها إرسال الرياح بعد ما قبلها وهي آية ألم تر إلى ربك كيف مد الظل رمز إلى أن احتمال الهواء لضوء الشمس وعكسه على الكرة الأرضية قبل ظهور النور من هدم القاعدة أيضاً فهو كالإرسال الرياح بشرى بين يدي رحمته فما أدق القرآن وأعجبه

ثم تأمل كيف كان الهواء هو المبشر في الحالين ففي الصباح بشر بلطفه ورقته المناسبة للضوء فحمله ونشره في الأرض ظلال وعند المطر بشر بحركته وسرعته فتأمل هدم المناسبات العجيبة واعلم أن بقية هذه الآية الأخيرة وهي قوله تعالى (وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا لِّنُخْرِجَ بِهِ بَلَدًا مَيِّتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْسَى كَثِيرًا) الآية قد ذكرناها الى آخرها في كتابنا ميزان الجواهر وذكرنا تفسيرها بما يسرك فارجع اليه هناك .

ولآية الظلال وجه آخر وهو أنه يراد بكونه ساكناً أن تقف حركة الشمس فوق الافق فتبقى الظلال لاصقة باصول الجبال لا تمتد ولا تنبسط فهو يقول ألا تنظر الى صنع ربك كيف مد الظل وبسطه مع أنه قادر على سكونه ووقوف حركته بأن تقف الشمس التي هي الدليل عليه وأحرك له والمادة له يميناً ويساراً فنحن جعلناها دليلاً عليه تدل عبادنا بحر كانتها المنتظمة المعروفة لكل إنسان على سطح البسيطة ليرتب أعماله في نهاره وأوقات فراغه وراحته من شغله على أوقات ذلك الظل فلا ترى رجلاً ولا امرأة ولا صغيراً ولا كبيراً إلا وهم ينتظرون الاستظلال في محل كن لاسيما القفار

وبلاد الفلاحين وعند الاعراب فكل هؤلاء لا يمكنهم الراحة والجد في العمل إلا بنظرهم في أمر الظل لراحتهم هم وأنعامهم وفي كل ذلك لولا أن سير الشمس بحساب ما أمكنهم أن يستدلوا على مواقع الظلال قبل مجيئها (إِنَّ رَبَّكُمْ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ)

الفصل الثالث

في النظر في الظلال ايضاً

(للمناسبة إن ربكم لرؤوف رحيم)

لأعلم أيها الناظر في هذا الكتاب أتى وأنا أكتب في هذا الموضوع في يوم الاربعاء ٢٢ مايو سنة ١٩٠١ كتبت أن ربكم لرؤوف رحيم كان ذلك باشتعار تلك الرأفة والرحمة ولم يكن في ذكرى ان بعدها هذه الآية وهي قوله (أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ) فتمجبت كيف سطر اليراع إن ربكم لرؤوف رحيم لاستدعاء المقام لذلك وكيف كان القرآن نفسه آتياً بمسئلة الظلال بعدها كما رأيت اذ القرآن موافق تمام المطابقة لفطرنا الانسانية ناطق بما فيها فهو ذكر وتذكر .

يقول الله تعالى أغفل هؤلاء الجاهلون ولم يروا ما خلقنا من الاجرام ذات الظلال تتميل ظلالها عن الايمان تارة وعن الشئائل تارة أخرى وتلك الاجرام خاضعة لناجارية على النواميس التي سنناها وهم داخرون صاغرون فكل من الظلال والاجرام خاضعة لنا منقاد طائفة ثم أعقبها بقوله (وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يُسْتَكْبَرُونَ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) ومن نظري هذه الآيات رآها آخذة في طريق الترقى وذلك انه ذكر خضوع الظلال ثم الاجرام ثم ما في السموات وما في الارض من الدواب وذلك أرقى طبعاً من بقية الاجرام ذات الظلال ثم ارتقى في العالم الذي لانراه وهو ما به هذا النظام وحركات الكون

ونواميسه الذى يسمى بلسان الشرع ملائكة وكما يسميه علماء الفلك والطبيعة نواميس يسميه الشرع ملائكة اختلفت التسمية والمعنى واحد .

ولم يبق بعد هذه النواميس والمديرات فى العوالم إلا خالقها فلذلك قال :
(يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ به) فقد ترقى فى هذه الآية من الظلال إلى الاجرام إلى أنواع الحيوان إلى الملائكة إلى الخالق سبحانه وربط كل درجة بما فوقها فى الطاعة وارجع الجميع إلى واحد . وهذه الآية تشبه تمام المشابهة العلم الذى كان يدرسه علماء اليونان والمسلمون المسمى بفن الآلهيات وهو الذى يبحث عن العلوم كلها ويقسم الكون كله تقسيماً يدخل تحته كافة العلوم ويرجعونها كلها إلى أصل واحد وهو مدير الكون ومهندسه وخالقه ثم فى قوله من دابة يمكن ارجاعه إلى ما فى السموات وما فى الأرض وحينئذ يفيد أن فى هذه الكواكب دواب تدب غاية الأمر إنا لانراها كما يظن كثير من الأوروپاويين اليوم وهو الذى تشهد به الفطر وتألفه النفس ويقبله القياس ولذلك قام رجل يونانى الأصل سربى المولد أمريكى الإقامة وهو الآن فى نيويورك يحاول مخاطبة من فى المريخ من السكان بالتلغراف الذى بلا سلك لما شعر أن الآلة الكهربائية التى أمامه فيها اضطرابات وقال لها ليست من أرضنا ويظهر أن هؤلاء القوم فى المريخ أرادوا مخاطبتنا وأنهم ارتقوا فى المدنية أكثر منا كل هذا رأيته فى أيامنا هذه فى مجلة الهلال مع صورة الرجل هناك وهذا أمر لا يصح الاقدام على تكذيبه أو تصديقه وانما المستقبل كشف

ولقد أطنبت فى الكلام على الظلال لأننى كنت أرى فى نفسى شائفاً لا أدرى ماهو وأتأمل فى هذه الظلال وأقول فى نفسى لعل لهذه حساباً وياليت شعرى كيف يكون ذلك الحساب وعلى ماذا يدل وما نظامه وكان هذا الذى ذكرته يحضر فى خيالى ولكن أجد فى القلب حرارة وشوقاً ولا أدرى كيف السبيل إليه ولا أى علم يدل عليه فى ابتداء مجاورتى بالجامع الأزهر فما أناذا أيها الأخ قد نلخصت لك ما يمكن بالعبرة البسيطة لتقف عليه بلا نصب ولا تعب مع ما يناسبه من آيات القرآن وتقف

على ما جهله العاجزون وأمرنا الله بالنظر فيه والتفكر في عجائبه فإن لم تجد لك شوقاً إليه فعالج نفسك دائماً حتى ترى فيها انشراحاً لفهم غيره من مواضع هذا الكتاب ولا تيأس من روح الله انه لا يأس من روح الله إلا القوم الكافرون وأنا أقول انك أيها الأخ إذا وصلت في قراءة هذا الكتاب إلى هذا الموضع وفهمت كثيراً منه فقد صرت من اخواننا المستعدين للترقى في العلوم والمعارف .

ولتأمل أيها الأخ معي بذهنك الصافي وقلبك الحاضر زيادة تأمل في مسألة الظلال وانها تابعة للشمس جارية بنظام حتى جعلها علماء الفلك رحمهم الله تعالى دليلاً على الشمس معرفة لساعات النهار بل هي أضبط جداً من ساعات الجيب وهي ساعات تقسم النهار اثنتي عشرة ساعة بلا زيادة ولا نقص وهي الساعات الشمسية الحقيقية وهي أربعة أقسام مزاوِل معتدلة وأفقية ومنحرفة ورأسية ولنذكر لك الأولى منها يا أخي لتقف على سر الخالق في صنعه بأبسط عبارة لك وأسهل ما يمكن مع الاستعانة بالبراهين الهندسية إذ قصدنا من هذا الكتاب الحقائق العلمية فنقول

المزولة المعتدلة

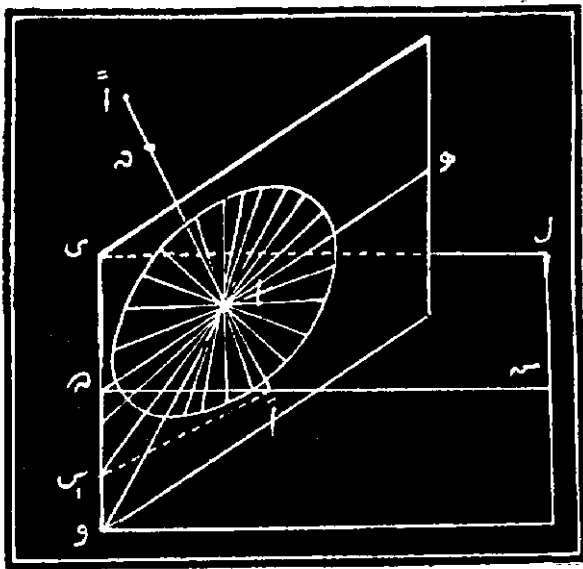
يجب أولاً معرفة خط زوال المحل بأن تعد محلاً معتدلاً مستوياً لا عوج فيه وترسم فيه دائرة حيثما اتفق وتقيم في وسطها شاخصاً عموداً عليها وتنتظر شروق كوكب كالشعري الجمانية مثلاً وتضع الشاخص بين عينيك وبين الكوكب وتعلم النقطة التي أشرقت حذاءها من محيط هذه الدائرة ثم تتركها وتراقبها وقت الغروب وتعلم النقطة المحاذية إلى ما عندك بالطريقة المتقدمة ثم تصل خطاً بين النقطتين فهذا الخط مواز لخط الاستواء فتقيم عليه عموداً فهو خط زوال المحل والأقرب من هذا أن تأتي بروح التسوية وتسوى به المحل أولاً بأن يكون رخاماً أو خشباً أو غيرها فتضع روح التسوية وضعين متعامدين لتحقيق التسوية ثم تثبت فيه الشاخص ثم ترسل دوائر مركزها ذلك الشاخص دائرة بعد دائرة وتنتظر شروق الشمس فتى جاءت

على نقطة من الدائرة الكبيرة فعلمها وهكذا فيما يليها وتفعل هكذا بعد الظهر وتصل خطا بين هذه النقط فهو خط المشرق والمغرب وتقيم عموداً عليه بطريقة البرجل المعلومة وهذه في العلوم الرياضية فان قلت إن الشمس ليس سيرها على خط واحد أجبت إن هذا فرق يسير جدا لا يؤثر في مثل هذا العمل ثم تأتى بلوح مستو من معدن أو غيره وتقيم عليه عموداً شاخصاً وترسم دائرة مركزها موقع هذا الشاخص وتقسم محيط هذه الدائرة ٢٤ قسمًا متساوية فيكون كل قسم ١٥ درجة ثم تأخذ هذا اللوح وتضعه عموداً على خط الزوال أى أن أثره الذى على الأرض هو الذى يكون عموداً إما نفس اللوح وهى المزولة فتكون مائلة بمقدار متمم عرض البلد وهو في مصر ٦٠ درجة أما الشاخص فانه يكون مائلاً طبعاً على الأفق بمقدار عرض البلد ويكون موازياً لمحور العالم إذ هو عمود على المزولة الموازية لدائرة المعدل والعمودان على مستو واحد متوازيان ومعلوم أن العمود على أحد سطحين متوازيين فهو عمود على الآخر . فاذا وصلت بين موقع الشاخص والأقسام الأربعة والعشرين التى على المحيط انصاف أقطار فهمى إذن عبارة عن آثار مستويات ساعية على مستو مواز لدائرة المعدل والشاخص موجود في كل منها فاذا جاء مركز الشمس في أحد هذه المستويات الساعية ينطبق ظل الشاخص كذلك على نصف القطر الدال على المستوى الساعي .

والخط الذى هو أثر مستوى الزوال على المزولة يبين الظهر تماماً فاذا جاءت عليه الشمس فقد جاء وقته فيعلم عليه ١٢ وجميع الخطوط الموضوعة غرب ذلك الخط تبين ساعات قبل الظهر والتى في شرقه تبين ساعات بعد الظهر والقطر الأفقى يبين السادسة صباحاً والسادسة مساءً .

ومن الواضح أن الشمس في الربيع والصيف تكون فوق المزولة وفي الخريف والشتاء تنير الوجه السفلى منها فلا بد من رسم المزولة على وجهى المستوى . ولما كانت الشمس وقت الاعتدالين تكون في مستوى دائرة المعدل أى في مستوى المزولة وجب عمل بروز في نهاية مستوى المزولة لأجل سقوط ظل الشاخص عليه .

ولكن لا يسعني أن أترك هذا الموضوع قبل أن أوضح من الكتاب المذكور
المزولة المعتدلة - نتصور مستويا مثبتا بالتوازي لدائرة المعدل فأثره على مستو
أفقي هو خط y و (شكل ١٢) العمودى على خط الزوال z ويبين نقطتي الشرق



والغرب من الأفق وأثر مستوى
الزوال على ذلك المستوى هو خط
هو العمودى على Y و يكون
مع خط الزوال زاوية تساوى
متمم عرض البلد
ثم يوضع شاخص فى نقطة A
من المستوى المعلوم يكون عموديا
عليه فهذا الشاخص يكون موازيا
لمحور العالم ومائلا على الأفق
بزاوية تساوى عرض البلد

ثم نجعل موقع الشاخص مركزاً ونرسم محيط دائرة أو نقسمها بالابتداء من القطر
هـ الى ٢٤ جزءاً متساوية بانصاف أقطار متباعدة عن بعضها بالتساوى فهذه الانصاف
أقطار تكون هي أثلاث ٢٤ دائرة ساعية على مستو مواز لدائرة المعدل وحيث ان
الشاخص موجود في كل مستوى من هذه المستويات الساعية فهو عبارة عن خط

تقاطعها المشترك ومتى وجد مركز الشمس في أحد هذه المستويات الساعية ينطبق ظل
 الشخص كذلك على نصف القطر الدال على أثر هذا المستوى الساعى وبذلك يبين
 وقت لحظة الرصد والخط $\odot$ هـ هو الساعة التى فيها تكون الشمس فى مستوى الزوال.
 أعنى نصف النهار الحقيقى فينمر بنمرة ١٢ ساعة وجميع الخطوط الموضوعة غرب ذلك
 الخط تبين ساعات قبل الظهر والتى فى شرقه تبين ساعات بعد الظهر والقطر الأفقى
 يبين الساعة السادسة صباحا والساعة السادسة مساء ومن الواضح أن مدة الربيع والصيف
 توجد الشمس فى نصف الكرة الشمالى وتنير الوجه العلوى من المزولة ومدة الخريف
 والشتاء تنير الوجه السفلى منها وحينئذ فمن الضرورى رسم المزولة على وجهى المستوى
 وحيث ان الشمس وقت الاعتدالين تكون فى مستوى دائرة المعدل أى فى مستوى
 المزولة فمن اللزوم عمل شفة أو بروز فى نهاية مستوى المزولة لأجل أن ينسقط عليه ظل
 الشخص

وتصنع مزاوِل معتدلة شفاقة تسمح برؤية الساعة على وجه واحد من المزولة فى
 جميع أوقات السنة

الفصل الرابع

في أعجوبة الظلال وملح الهندسة

فر عصفور من فوق نخلة ووصل الى الأرض بحيث يرسم في طيرانه خطا مستقيما
أوله على الشجرة وآخره نهاية ظلها على الأرض ونريد أن نعرف طول هذا الخط
الجواب — نقيس طول النخلة وطول الظل الذي يمتد من أصلها الى نهاية الظل
ونربع كلا من الضلعين ونجمع المربعين ونجذرهما فالجذر هو المطلوب فإذا كانت النخلة
أربعة أمتار وطول الظل ثلاثة فربع الأول ١٦ والثاني ٩ ومجموعهما ٢٥ والجذر خمسة
وهو المطلوب

وذلك من قاعدة ان مربع وتر المثلث القائم الزاوية يساوى مجموع المربعين
المنشأين على الضلعين الآخرين ولها شكل في الهندسة يسمى العروس ووضعه
فيثاغورس وانما ذكرت هذه لتتأمل أحوال الظلال وتعلم أن كل ظل لاى مرتفع
من الأرض عمود عليها تجرى عليه هذه القاعدة ويكون بينه وبين الضلعين الآخرين
هذه المناسبة العجيبة سواء طال الظل أم قصر بكرة وأصيلا وطال الشاخص أم قصر
وبلغ ما بلغ فالحكم سار في الجميع

وهذا لعمرك من الميزان الذي قامت به السموات والأرض وما بينهما هذا اذا
كان العمود أو الحائط قائما عموديا فان كان مائلا فليزل من رأسه عمود على الأرض
فالمسافة المحصورة بين أصل المرتفع وذلك العمود هي مسقط النخلة على الضلع الثاني
وحينئذ تقول أن المربع المنشأ على الضلع المقابل لزاوية حادة من هذا المثلث يكافئ
مجموع المربعين المنشأين على الضلعين الآخرين منه ناقصا ضعف المستطيل الذي
قاعدته أحد الضلعين المذكورين وارتفاعه مسقط الثاني عليه فان كان ذلك العمود
أو الشجرة أو الحائط مائلا الى خلف فتكون الزاوية منفرجة فنضع ماتقدم قبله ونقول

أن مربع الضلع المقابل لزاوية منفرجة في أى مثلث منفرج الزاوية يكافئ مجموع المربعين المنشأين على الضلعين الآخرين منه زائداً ضعف المستطيل الذى قاعدته أحد الضلعين وارتفاعه مسقط الثانى عليه وتمثيله غير خاف عليك

فتأمل فى هذا الارتباط العجيب فى كافة أنواع العالم كله وظلاله وكيف أمكننا أن نقيس كل ظل من الظلال فى مشارق الأرض ومغاربها بهذه القوانين الثلاثة فهكذا يكون الميزان والعدل والنظام المحكم فى السموات والأرض وتأمل فى الظل اذ قصر أو طال فى أول النهار وآخره فان النسبة لم تزل محفوظة ثابتة فلا يتغير الانتظام الهندسى ذلك تقدير العزيز العليم

إذا فهمنا هذا المثال الصغير نجد أن العالم كله على هذا المنوال الا فاعتبروا يا أولى الأبصار

ولعلك من هذا تتذكر قوله تعالى وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم أى تتركهم ذات الشمال فاذا طلعت كانت على يمينهم واذا غربت كانت هى على شمالهم اذ الظلال لها نسب محدودة وحساب منتظم دال على حكمة الله تعالى والارتباط العجيب بين هذه العوالم وأن جميع هذا العالم على نسب محفوظة كهذه ليتم النظام والمصالح ومنها استظلال أهل الكهف وهنا نكتة أرق مما تقدم كله وهى أن هذه النسب المحفوظة أمور ثابتة فى نفسها تدركها العقول وان لم تظهر فى الخارج فهى متحققة فى نفسها سواء أوجد هذا العالم أم لا فاذا كانت مثل هذه الأشياء أدركتها العقول ولم تشاهد الا آثارها من المساحات والأشكال فما بالك بمبدع هذا الكون الذى خفى عن الأبصار وظهر للبصائر بالأشكال التى اخترعها والتخاطيط واظهار صور هذه الحقائق والمبدعات فهو أظهر وجودا وأتم وأكمل وهذا فى الحقيقة هو آية الله عند الحكماء

ولعمري لا يعرف هذه اللطيفة الا الذين ارتاضوا بالعلوم ومارسوها وصفت نفوسهم فتأمل جداً وهذه من أعظم فوائد الهندسة والحساب وأكرر عليك القول بأن تتأمل

قوله تعالى (ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ) وقوله بعدها (مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا)

لطيفة أدق وعجيبة أبهج في الظلال

ان للشمس اذا طلعت ظلالا كثيرة فيما يحاذيها من أشجار وجبال ومساكن وهكذا مما لا يتناهى وكل له ظل بحساب خاص به ومصالح وحكم فهكذا هذا العالم قبل أن يخلق علم الله أجمل صورة يمكن وجوده عليها فاختار هذه الصورة فكما أن صور الظلال لانهاية لها ولا بد أن تكون صورة منها أوفق للمصلحة عندك فهكذا صور هذا العالم كله لانهاية لها في الحسن وضده وإنما اختار المبدع له هذه الصورة التي هو عليها الآن من دنيا وآخرة وهي أجمل وأرقى وأبهج ثم حين أبدعه جرى على حساب لا يتغير كما رأيت في ظل الشاخص والشجرة وان بين الظلال نسبة محفوظة لا يمكن أن تتغير

واعلم اننى وأنا أكتب هذا الموضوع وجدت نفسى فرحة به طالته تحب أن لا ينتفى ولو أطعتها لم يقف اليراع وسيوقفنى خوف سامة القارىء وبالأجمال فان مسألة الظلال وتبعيتها للشمس تشير بطرف خفى الى ان العالم كله تابع لحركة واحدة منتظمة فانتظم كل ما تبعها كما انتظم سير الظلال تبعاً لنظام الشمس فالمادة العمومية متحركة حركة منتظمة ظاهراً وباطناً والشمس جزء صغير منها وبحركتها انتظمت الظلال فهذا الجزء دل على الكل للتشابه بين العالم كله (أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا)

الفصل الخامس

عجائب مساحات المثلثات الظلية التي نرسمها الأعداد التسعة البسيطة

هذه مسامرة بيني وبين بعض حضرات المفرمين بالعلم في مساحة المثلثات الظلية.
لما اطلع على الفصل السابق أحد الأصدقاء وله حديقة وارفة الظلال بأسقة الأشجار
بهجة الأنوار غريزة الثمار واجتمعت واياها فيها سألتني قائلا :

لقد قرأت ماقلت في الشجرة وظلها وانه اذا كان طول ظل النخلة ٣ أمتار وطول
النخلة ٤ أمتار فان طول الخط الثالث من رأس النخلة الى نهاية الظل ٥ أمتار وان
مجموع مربعي الظلين وهما ٣ و ٤ يساوي مربع الضلع الثالث فهل هذا القانون يسرى
على كل نبات في هذه الحديقة من النخلة الصاعدة في السماء الى النباتات الصغيرة من
الحشائش الضئيلة ؟ فقلت اى ورى انه لحق فقال وما الطريق لمعرفة ذلك ؟ فقلت :
طريقة ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ فقال : أجبتنا بالحق أم أنت من اللاعين ؟ فقلت انه
لحق مثل ما انكم تنطقون وان من أدرك ما سألكه عليك الساعة يحس ان نفسه مملوءة
من العجائب ومن يستخرج منها تلك الجواهر الا التعليم . والحدائق العلمية الحسائية
الهندسية الكامنة فيها أشرق وأبهج عند الحكماء من الحديقة الحسية السريعة التغير
والزوال . فقال حدثني عنها عسى أن أراها فقلت : ان المثلث الذي ذكرته يرسمه لنا
١ و ٢ (أولا) بضر بهما في نفسيهما وضر بهما في ٢ (ثانياً) بتربيع كل منهما وطرح الأول
من الثاني (ثالثاً) يجمع مربع الأول مع مربع الثاني فبالأول يكون ارتفاع المثلث
وبالثاني تكون قاعدته وبالثالث يكون الوتر وهكذا تفعل مع عدد ٢ و ٣ وعدد ٣
و ٤ وعدد ٤ و ٥ الى آخره فكل عدد من هذه يرسمان مثلثاً على هذه الطريقة
وهذه المثلثات باستخراجها تظهر حديقة علمية بديعة تسر الحاسيين والمهندسين فقال .

هذا اجمال يعوزه التفصيل ولقد شاق نفسى وصفك لهذه الجنات فقلت :

(١) $٢ \times ٢ = ٤$ و $٢ \times ٢ = ٤$ هذا هو الارتفاع فى المثلث المتقدم ومربع (١) هو (١) فطرحه من مربع ٢ وهو ٤ فالباقى ٣ وهذه هى القاعدة ، واذا جمعت مربع (١) على مربع (٢) يكون (٥) وهذا هو الوتر الذى مربعه يساوى مجموع المربعين قبله ، وإذا ضربنا ٢ فى ٣ كان الحاصل ٦ وبضربها فى ٢ يكون الحاصل ١٢ وهذا هو الارتفاع ويطرح مربع ٢ وهو ٤ من مربع ٣ وهو ٩ يكون الباقى ٥ وهذه هى القاعدة وبإضافة مربع ٣ الى مربع ٣ يكون الحاصل ١٣ وهذا هو الوتر ومثل هذا يقال فى ٣ و ٤ فالارتفاع ٢٤ والقاعدة ٧ والوتر ٢٥ وهكذا تفعل فى غير ما تقدم وتجد القاعدة مطردة والفرق بين الارتفاع والوتر (١) دائما ومجموع مربعى الضلع يساوى الوتر كل ذلك باطراد وهذا كله راجع الى عددين بسيطين حصل فيهما جمع وطرح وضرب وتربيع وجذر فظهرت هذه الأعاجيب وهاك صورتها

فوارى	ارتفاعات	انفار	اعداد وارسى
٤	٥	١	٢ و ١
٥	١٢	١٣	٣ و ٢
٧	٢٤	٢٥	٤ و ٣
٩	٤٠	٤١	٥ و ٤
١١	٦٠	٦١	٦ و ٥
١٣	٨٤	٨٥	٧ و ٦

٨٤	٦٠	٤٠	٢٤	١٢	٤
٢٤	٢٠	١٦	١٢	٨	
٤	٤	٤	٤		
٨٤	٦٠	٤٠	٢٤	١٢	٤
٢٤	٢٠	١٦	١٢	٨	
٤	٤	٤	٤		

٨٥	٦١	٤١	٢٥	١٣	٥
٢٤	٢٠	١٦	١٢	٨	
٤	٤	٤	٤		

٨٤	٦٠	٤٠	٢٤	١٢	٤
٢٤	٢٠	١٦	١٢	٨	
٤	٤	٤	٤		

٨٥	٦١	٤١	٢٥	١٣	٥
٢٤	٢٠	١٦	١٢	٨	
٤	٤	٤	٤		

٨٤	٦٠	٤٠	٢٤	١٢	٤
٢٤	٢٠	١٦	١٢	٨	
٤	٤	٤	٤		

٨٥	٦١	٤١	٢٥	١٣	٥
٢٤	٢٠	١٦	١٢	٨	
٤	٤	٤	٤		

٨٤	٦٠	٤٠	٢٤	١٢	٤
٢٤	٢٠	١٦	١٢	٨	
٤	٤	٤	٤		

٨٥	٦١	٤١	٢٥	١٣	٥
٢٤	٢٠	١٦	١٢	٨	
٤	٤	٤	٤		

٨٤	٦٠	٤٠	٢٤	١٢	٤
٢٤	٢٠	١٦	١٢	٨	
٤	٤	٤	٤		

٨٥	٦١	٤١	٢٥	١٣	٥
٢٤	٢٠	١٦	١٢	٨	
٤	٤	٤	٤		

٨٤	٦٠	٤٠	٢٤	١٢	٤
٢٤	٢٠	١٦	١٢	٨	
٤	٤	٤	٤		

٨٥	٦١	٤١	٢٥	١٣	٥
٢٤	٢٠	١٦	١٢	٨	
٤	٤	٤	٤		

٨٤	٦٠	٤٠	٢٤	١٢	٤
٢٤	٢٠	١٦	١٢	٨	
٤	٤	٤	٤		

٨٥	٦١	٤١	٢٥	١٣	٥
٢٤	٢٠	١٦	١٢	٨	
٤	٤	٤	٤		

٨٤	٦٠	٤٠	٢٤	١٢	٤
٢٤	٢٠	١٦	١٢	٨	
٤	٤	٤	٤		

٨٥	٦١	٤١	٢٥	١٣	٥
٢٤	٢٠	١٦	١٢	٨	
٤	٤	٤	٤		

٨٤	٦٠	٤٠	٢٤	١٢	٤
٢٤	٢٠	١٦	١٢	٨	
٤	٤	٤	٤		

٨٥	٦١	٤١	٢٥	١٣	٥
٢٤	٢٠	١٦	١٢	٨	
٤	٤	٤	٤		

٨٤	٦٠	٤٠	٢٤	١٢	٤
٢٤	٢٠	١٦	١٢	٨	
٤	٤	٤	٤		

٨٥	٦١	٤١	٢٥	١٣	٥
٢٤	٢٠	١٦	١٢	٨	
٤	٤	٤	٤		

٨٤	٦٠	٤٠	٢٤	١٢	٤
٢٤	٢٠	١٦	١٢	٨	
٤	٤	٤	٤		

٨٥	٦١	٤١	٢٥	١٣	٥
٢٤	٢٠	١٦	١٢	٨	
٤	٤	٤	٤		

٨٤	٦٠	٤٠	٢٤	١٢	٤
٢٤	٢٠	١٦	١٢	٨	
٤	٤	٤	٤		

٨٥	٦١	٤١	٢٥	١٣	٥
٢٤	٢٠	١٦	١٢	٨	
٤	٤	٤	٤		

٨٤	٦٠	٤٠	٢٤	١٢	٤
٢٤	٢٠	١٦	١٢	٨	
٤	٤	٤	٤		

٨٥	٦١	٤١	٢٥	١٣	٥
٢٤	٢٠	١٦	١٢	٨	
٤	٤	٤	٤		

٨٤	٦٠	٤٠	٢٤	١٢	٤
٢٤	٢٠	١٦	١٢	٨	
٤	٤	٤	٤		

٨٥	٦١	٤١	٢٥	١٣	٥
٢٤	٢٠	١٦	١٢	٨	
٤	٤	٤	٤		

٨٤	٦٠	٤٠	٢٤	١٢	٤
٢٤	٢٠	١٦	١٢	٨	
٤	٤	٤	٤		

٨٥	٦١	٤١	٢٥	١٣	٥
٢٤	٢٠	١٦	١٢	٨	
٤	٤	٤	٤		

٨٤	٦٠	٤٠	٢٤	١٢	٤
٢٤	٢٠	١٦	١٢	٨	
٤	٤	٤	٤		

٨٥	٦١	٤١	٢٥	١٣	٥
٢٤	٢٠	١٦	١٢	٨	
٤	٤	٤	٤		

٨٤	٦٠	٤٠	٢٤	١٢	٤
٢٤	٢٠	١٦	١٢	٨	
٤	٤	٤	٤		

٨٥	٦١	٤١	٢٥	١٣	٥
٢٤	٢٠	١٦	١٢	٨	
٤	٤	٤	٤		

٨٤	٦٠	٤٠	٢٤	١٢	٤
٢٤	٢٠	١٦	١٢	٨	
٤	٤	٤	٤		

٨٥	٦١	٤١	٢٥	١٣	٥
٢٤	٢٠	١٦	١٢	٨	
٤	٤	٤	٤		

٨٤	٦٠	٤٠	٢٤	١٢	٤
٢٤	٢٠	١٦	١٢	٨	
٤	٤	٤	٤		

٨٥	٦١	٤١	٢٥	١٣	٥
٢٤	٢٠	١٦	١٢	٨	
٤	٤	٤	٤		

٨٤	٦٠	٤٠	٢٤	١٢	٤
٢٤	٢٠	١٦	١٢	٨	
٤	٤	٤	٤		

٨٥	٦١	٤١	٢٥	١٣	٥
٢٤	٢٠	١٦	١٢	٨	
٤	٤	٤	٤		

٨٤	٦٠	٤٠	٢٤	١٢	٤
٢٤	٢٠	١٦	١٢	٨	
٤	٤	٤	٤		

٨٥	٦١	٤١	٢٥	١٣	٥
٢٤	٢٠	١٦	١٢	٨	
٤	٤	٤	٤		

٨٤	٦٠	٤٠	٢٤	١٢	٤
٢٤	٢٠	١٦	١٢	٨	
٤	٤	٤	٤		

٨٥	٦١	٤١	٢٥	١٣	٥
٢٤	٢٠	١٦	١٢	٨	
٤	٤	٤	٤		

٨٤	٦٠	٤٠	٢٤	١٢	٤
٢٤	٢٠	١٦	١٢	٨	
٤	٤	٤	٤		

٨٥	٦١	٤١	٢٥	١٣	٥
٢٤	٢٠	١٦	١٢	٨	
٤	٤	٤	٤		

٨٤	٦٠	٤٠	٢٤	١٢	٤
٢٤	٢٠	١٦	١٢	٨	
٤	٤	٤	٤		

٨٥	٦١	٤١	٢٥	١٣	٥
٢٤	٢٠	١٦	١٢	٨	
٤	٤	٤	٤		

٨٤	٦٠	٤٠	٢٤	١٢	٤
٢٤	٢٠	١٦	١٢	٨	
٤	٤	٤	٤		

٨٥	٦١	٤١	٢٥	١٣	٥
٢٤	٢٠	١٦	١٢	٨	
٤	٤	٤	٤		

٨٤	٦٠	٤٠	٢٤	١٢	٤
٢٤	٢٠	١٦	١٢	٨	
٤	٤	٤	٤		

٨٥	٦١	٤١	٢٥	١٣	٥
٢٤	٢٠	١٦	١٢	٨	
٤	٤	٤	٤		

٨٤	٦٠	٤٠	٢٤	١٢	٤
٢٤	٢٠	١٦	١٢	٨	
٤	٤	٤	٤		

٨٥	٦١	٤١	٢٥	١٣	٥
٢٤	٢٠	١٦	١٢	٨	
٤	٤	٤	٤		

٨٤	٦٠	٤٠	٢٤	١٢	٤
٢٤	٢٠	١٦	١٢	٨	
٤	٤	٤	٤		

٨٥	٦١	٤١	٢٥	١٣	٥
٢٤	٢٠	١٦	١٢	٨	
٤	٤	٤	٤		

٨٤	٦٠	٤٠	٢٤	١٢	٤
٢٤	٢٠	١٦	١٢	٨	
٤	٤	٤	٤		

٨٥	٦١	٤١	٢٥	١٣	٥
٢٤	٢٠	١٦	١٢	٨	
٤	٤	٤	٤		

٨٤	٦٠	٤٠	٢٤	١٢	٤
٢٤	٢٠	١٦	١٢	٨	
٤	٤	٤	٤		

٨٥	٦١	٤١	٢٥	١٣	٥
٢٤	٢٠	١٦	١٢	٨	
٤	٤	٤	٤		

٨٤	٦٠	٤٠	٢٤	١٢	٤
٢٤	٢٠	١٦	١٢	٨	
٤	٤	٤	٤		

٨٥	٦١	٤١	٢٥	١٣	٥
٢٤	٢٠	١٦	١٢	٨	
٤	٤	٤	٤		

٨٤	٦٠	٤٠	٢٤	١٢	٤
٢٤	٢٠	١٦	١٢	٨	
٤	٤	٤	٤		

٨٥	٦١	٤١	٢٥	١٣	٥
٢٤	٢٠	١٦	١٢	٨	

- ثانياً - الفروق بين تفاضل ارتفاعاتها لا تخرج عن (٤) البتة
- ثالثاً - تفاضل الأوتار تماثل تفاضل الارتفاعات من غير اختلاف
- رابعاً - الفروق بين تفاضل الأوتار هو ٤ كالفروق بين تفاضل الارتفاعات
- خامساً - مجموع مربعي الضلعين يساوي مربع الوتر
- سادساً - ان الفرق بين تفاضل الارتفاعات والأوتار وبين تفاضل القواعد هو عدد ٢ وبعبارة أخرى ان ٤ في الأولين ضعف ٢ في الأخير
- سابعاً - ان هذه العجائب لن تظهر للإنسان الا بواسطة عقله ، فأما نفس الأعداد بلا عقل فانها لا نتيجة لها
- وعلى ذلك نقول ان النظام الذي في المادة والعجائب المتقنة فيها لا تصدر إلا عن تدبير ولولاه لم يكن فيها نظام كالأعداد اذا لم يصحبها عقل
- (ثامناً) ان الأعداد تصورتها مخيلتنا وفكرت فيها عقولنا والمادة ما هي الا حركات صارت أضواء يجرى سالبها حول موجبها في ذراتها الصغيرة نحو (٦) آلاف مليون مليون مرة في الثانية الواحدة فتظهر لنا بسبب تلك الحركات هذه العوالم ويكون تنوعها بتنوع الحركات (هذا المقام موضح في سورة النور عند آية الله نور السموات والأرض في كتابنا تفسير الجواهر)
- ان المادة حركات في خيال الخلاء صارت ضوء وهواء وسوائل وغازات . والاعداد حركات في خيالنا صارت منظمات بعقولنا كما انتظمت عجائب عوالمنا في خيال الجو بمدير حكيم
- عقولنا دبرت خيالنا في الأعداد والله يعلمه دبر خيال المادة بمثال السراج في المنزل . وعلم الله الذي ليس كمثل شئ ضربت له الشمس مثلاً ان الله بكل شئ عليم
- أليست هذه حدائق وجنات زرعت في عقولنا ونمت في أذهاننا أدق وأجمل من الحدائق الظاهرة وأثمارها الباهرة

ان عقولنا مناط الجمال والبهاء والحكم والسعادة والنور والكمال وان إلى ربك المنتهى

ثم قلت : ظلال الحقائق العقلية أبدع من ظلال الحقائق الأرضية .

فقال : وهل في العقل حقائق تضارع هذه الحقيقة التي تتمتع بها وأنا كل من ثمارها وتنفيظ ظلالها ؟ وسقنا هذا الحديث لأجلها فقلت :

أى ورى حقائق أرضنا فانية وحدائق عقولنا باقية لامقطوعة ولا ممنوعة وعلى مقدار عشق العلوم والفراغ بها في الحياة تكون السعادة والهناء في نفس هذه الحياة وبعد الموت بل ليس يشاق أحد إلى لقاء ربه اشتياقا تاما ويسعد في نفس هذه الحياة سعادة حقيقية إلا إذا امتلأ قلبه حباله في الدنيا بنظر مصنوعات العجبية وأعجب المصنوعات وأبدعها عقولنا

وكما كان المحبوب أجمل وأبدع كان أغلى وأبعد وكما قل جماله كان أقرب تناولا مثال ذلك في الأعداد

الأعداد الأولية — الأعداد الكاملة — الأعداد المتحابة

فالأعداد الأولية في كل مائة تكون حوالى العشرين أكثر أو أقل والأعداد الكاملة لا تزيد في المائة الأولى عن اثنين وهى مفقودة في المائة الثانية مثلا فأما الأعداد المتحابة فأنها نادرة جداً

فمثال الأعداد الأولية التي لا تقبل القسمة الا على نفسها أو على الواحد

٢ — ٣ — ٥ — ٧ — ١١ — ١٣ — وهكذا إلى ٧٩ — ٨٣ — ٨٩ — ٩٧

وهكذا في كل مائة ومثال الأعداد الكاملة ٦ — ٢٨ — ٤٩٦ — ٨١٢٨ —

١٨٠٨١٦ وهكذا فقال وما معنى أعداد كوامل فقلت هى التي يساوى العدد منها جميع

مضاريه فعدد ٦ مضاربه هو ١ — ٢ — ٣ مجموعها ٦ وكذلك عدد ٢٨ فان

مضاريه هو ١ — ٢ — ٤ — ٧ — ١٤ ومجموعها ٢٨ وهكذا ولذلك ذكر الله

انه خلق السموات والأرض في ستة أيام فمن حكم هذا العدد انه أول عدد كامل والكمال قليل والله لكماله خلق العالم كاملاً

ومثال الأعداد المتحابة هذان العددان وهما ٢٢٠ - و ٢٨٤ - فان عندد ٢٢٠ يساوى جميع مضارب الاخر وكذلك ٢٨٤ يساوى مضارب ٢٢٠ وهذا المقام لا ينبغي لى أن أطيل فيه هنا لأن هذا الكتاب عجالة لا يحتمل هذا التطويل وانما ذكرت هذا تمثيلاً لها في النفوس من الجمال وان الجمال كلما كان أقل كان الحصول عليه أسهل وكلما كان أبعد كان الحصول عليه أصعب

فالأعداد الأولية سهلة وكثيرة والأعداد الكاملة يصعب حصولها ويقل عددها والأعداد المتحابة أندر جداً وأصعب تحصيلاً ولن يذوق هذا كل امرئ بل نفوس صفت وعقول رقت وهؤلاء ينبغي أن يقرءوا أمثال هذه المباحث في كتابنا الجواهر في تفسير القرآن فهناك متسع في القول وشرح وتفصيل انتهى صباح يوم الخميس ١٨ يونيه سنة ١٩٣١

سانحة في يوم الأحد ٢١ يونيه سنة ١٩٣١

أليس ما قدمناه هنا مفتاحاً لفهم الحكمة المشهورة في ديننا الاسلامي وقد رأيتها في الانجيل :

- ١ - من عرف نفسه عرف ربه
- ٢ - ولما ألقى في روعى أيضاً وهو (ظواهر الطبيعة ترجمان المعصمات في نفس الانسان)
- ٣ - ولما يقوله (توماس كيمبيس)
- إذا صلح قلبك أيها الانسان ألقيت العوالم كلها (أ) مرآة له يتجلى فيها جماله (ب) وكتاباً مقدساً تقرأ فيه الأسرار الإلهية
- وهذه ترجمتها من كتاب جمال الطبيعة للورد (أفبرى)
- ٤ - ولما هو خير من هذا وهو قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

كانت هم جنات الفردوس (نزلًا) ويبان أن جنات الفردوس في الآخرة أرقى السمعات فيها لا تكون إلا بمشاهدة صانعها وهذه المشاهدة لن تكون إلا لأناس أحبوا في الدنيا ربهم بما طالعوا من جمال صنعه وإن تم هذه المطالعة في الدنيا إلا لقلوب صالحة تقية وهذه القلوب الصالحة التقية وهم خواص نوع الانسان يشبهون الأعداد المتحابة التي تقدم الكلام عليها

إن الناس بعد الموت أربعة أقسام :

الأول : أشبه بأكثر الأعداد مثل (١٠ — ٢٠) وهي أكثر الأعداد التي هي غير أولية

الثاني : أشبه بالأعداد الأولية المتقدمة وهم أقل من الأولين

الثالث : أشبه بالأعداد الكاملة المتقدمة ، وهذا القسم أشبه بالصالحين الذين لم يصلوا إلى درجة العشق والحب ، ولكنهم أقل عددا وأرقى نفوساً ممن قبلهم

الرابع : الحكماء الذين نالوا فوق الصلاح والتقوى درجة القرب والحب وهم النادر في نوع الانسان الذين يشهدون جمال الله في كل ما يشاهدونه ، وهؤلاء نظير الأعداد المتحابة فبدل أن يكون العدد مساوياً لمضاربيه هو نفسه كعدد (٢٨) نراه مساوياً لمضاريب عدد آخر مثل (٢٢٠ و ٢٨٤) كأنه لم يكتف بنفسه بل هو منجذب ومحب لغيره وهذه أقصى مراتب الانسانية وهؤلاء هم المتحابون في الله وهم هم القائمون بتعليم الأمم الناشرون للحكمة فيهم وهذا العدد أندر من الكبريت الأحمر ، ولكن مع ندرته له قواعد بها يستنبط من مضاعفات عدد (٢) هو والعدد الكامل في القسم الثالث قبله وقواعد استخراجهما البديعة تجدها مشروحة في تفسير سورة الرحمن عند آية (نوالسما رفعها ووضع الميزان) وفي تفسير سورة الذاريات عند آية (وفي أنفسكم أفلا تبصرون) وهذا المختصر لا يتسع لشرحه فتركناه

ومن أراد فهمه فعليه بكتابنا الجواهر في تفسير القرآن والحمد لله رب العالمين

ساححة في ضحى يوم الاثنين ٢٢ يونيه سنة ١٩٣١
بينما أنا مستعد لركوب السفينة عند قصر النيل لعبور النهر الى الشاطئ الغربى
اذ خطر لى ما يأتى :

إن أعداد (١ و ٢ و ٣) إلى آخره التى استنبط منها الانسان المثلثات القوائم
الزوايا وبها كانت تلك المعجائب الحسابية المتقدمة فى أوتارها وارتفاعاتها — هى أشبه
ببذور سقاها غيث العلم فأنبئت أشجاراً وهى المثلثات فجدورها هى القواعد المتقدمة
وسوقها هى الأوتار والارتفاعات وأزهارها ما تراه من الفروق المنتظمة مثل ١ و ٢ و ٤
فما تقدم فهذه أزهار كأزهار الأشجار لأن أزهار الأشجار فى النوع الواحد على نمط
واحد هكذا الأزهار هنا فى الحساب

ومن أبدع العجب أنك ترى أن عدد (٢ و ١) قد رسما فيما تقدم مثلثا (٥ و ٤ و ٣)
وهو قائم الزاوية وهذا المثلث نفسه اذا رسمناه وأضفنا اليه مثلثا آخر كان رباعيا وبإضافة
مثلث آخر كان خماسيا وبإضافة مثلث آخر يكون سداسيا وهكذا إلى ما لانهاية له
وهذا المقام تجده واضحا فى كتابنا الجواهر فى تفسير القرآن عند آية (فِطْرَةَ
اللّهِ الّذِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا) فهناك ترى الأشكال الرباعية والخماسية وغيرها والمجسمة
منها ومن الأشكال الكروية قد تقاربت كلها فى المساحة وصارت بينها نسب عجيبة
لا يسمها هذا المقام

أليس من عجب أن يكون عدد (١) لما أضفنا اليه عدد (١) فصار (٢) واستعملناهما
معاً كان منهما هذا المثلث وبه رسمنا جميع الأشكال فكل هذا ناتج من عدد (١)
(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) (هو الأول والآخر والظاهر والباطن) ثم ان عدد (٢)
المذكور قد أمكننا فيما تقدم قريبا أن نستخرج من مضاعفاته الأعداد الكاملة
والأعداد المتحابة ومعلوم أن عدد (٢) ما هو إلا عدد (١) مكرراً مرة واحدة إن هذه
المقام هو لب العلوم وجوهر الحكمة وسر الأسرار وتمام التوحيد

لفصل السيارس

في الكلام على ما يأتي أعرض الظل أم جوهر أم عدمي

يا ليت شعري أهذه الظلال أجسام أم اعراض أم عدم فأما العدم فلا وأما كونها أجساماً أو اعراضاً فهذا هو موقع الخلف بين العلماء إذ هو من نوع النور وفيه حارت أفئدة العقلاء فمن قائل انه أجسام إذ لو كان اعراضاً ما انتقل والعرض لا ينتقل ومن قائل انه اعراض إذ لو كان أجساماً ما زال بزوال المضيء والحق أقول انه عرض ولكنه لم ينفصل من الكوكب وإنما يخلق خلقاً ابتدائياً في الأجسام عند مقابلة الكوكب هذا ما قاله الغزالي رحمه الله ثم قال أهل أوروبا انه حركات الأثير وتوجاته كتعرج الهواء بالصوت وهو قريب مما قاله الغزالي وانظر ما لهذه الاعراض من الفوائد العجيبة في أحوالنا وما لها من حساب متقن فاذا جلست تحت شجرة فلك النظر فيها من ثلاث جهات من جهة محاسنها الظاهرة وذلك أوضحناء في جواهر العلوم وهو ظاهر لك بالחס ومن جهة قواها الباطنة وذلك ذكرناه في كتابنا ميزان الجواهر وثالث من جهة ظلالها وذلك مما ذكرناه لك في هذا الباب فياليت شعري كيف جهلنا تلك العجائب وكيف ينبه الله عليها في كتابه . والذي أراه انه ما نبه به الا الخاصة إذ العامى لا يعد هذا نعمة ولا يفكر فيه لكثرة اعتياده وان قال الحمد لله فانما يقولها باللفظ وهذا كقوله (أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففقتنأهما) فهذه المسئلة لا يعرفها الا الراسخون في العلوم فالكافرون وبعض الجاهلين لعدم التضلع من العلوم والتبحر فيها حتى يعرفوا منشأ العالم ولذلك سجد عليهم الجهل في آية أخرى فقال (ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضداً) وبالجملة فالظلال شأنها عظيم وهي ركن كبير في العالم بل عند التأمل هي أغربه إذ نموها وذبولها وصغرها وكبرها في كل يوم فترى أقل نبات يأخذ ظله في النمو ينسق

عجيب ثم يختفى وهكذا فالظلال تابعة لناموس سير الشمس والاجرام ذات الظلال تابعة لناموس العناصر المؤتلفة ولعمري أن كلا يمثل ما يليق له فالضوء لما كان لطيفاً كان غاية في السرعة قريب الزوال فهو يمثل لنا أحوال الدنيا كلها في أقرب زمن بحيث لا يأتى وقت الغروب الا وقد نسخ كل شيء وعدم بالكلية كقوله تعالى (انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى اذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهراً فجعلناها حصيداً كان لم تنق بالأمس) فكل نهار يمثل هذه الحال أجمل تمثيل وفي هذه الظلال دلالة على ان هناك فوقنا علماً أرقى من هذا أقرب في السرعة كما تمثل الموسيقى علوم الاعداد ونظام الكون في لحظات يسيرة فما بالك اذن بالنفوس الانسانية التي هي فوق ما نتصور وربما طويت فيها السموات والأرض (يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا انا كذنا فاعلين ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذك أن الأرض يرثها عبادي الصالحون)

لفصل السابع

دلالة الظلال على الله

انظلال ترشدنا الى ان العالم كله كأنه ظلال والخالق عز وجل يدل عليه عند ذوى البصائر (أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد) فكما يستدل على الظل بالشمس فهكذا استدل فحول العلماء وأساطين الحكماء بالله على خلقه كما ذكره الغزالي وأوضحه ابن سينا إذ ليس الوجود الحقيقي الاله وفيه نكتة لطيفة وهي أن العالم لما كان كالظلال كان تابعاً لله الذي هو نور السموات والأرض ومتى كان كذلك فلو فرض زوال وجوده واحتجابه عنه لحظة واحدة لزال العالم بالكلية كما يزول الضوء والظل بزوال الكواكب ولا يبقى الا الظلمة وما هي الا العدم المطلق ومن هذا تعلم شبهة العامة من قولهم ان الانسان يبنى الدار ويموت ولا يعلم أن الدار لم يكن للبانى فيها الا جمع

ما تفرق بخلاف هذا الملك كله كما فهمت بل هو أيضا كلمات المتكلم فانها لا توجد إلا عند كلامه فاذا سكت لم تبق ويرمز لهذا قوله تعالى (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً) فالعالم كله كأنه كلمات لو سكت المتكلم عنها لحظة لم يبق لها وجود فليست كالخط الذي هو عبارة عن جمع مواد على ورق ومن الغريب انك ترى أن بين صنائعنا والكتابة تشابهاً وبين فعل الله والكلام تشابهاً .

وتوضيحه أن كلامنا يخرج في الهواء مدة نطقنا فاذا سكتنا لم يكن له بقاء وهكذا الخالق في ملكه وأما الكتابة فها هي الا عناصر متحدة وضمت على قرطاس لها بقاء بعد كتابتها فهي كصنائعنا ولكنها متأخرة في المرتبة إذ هي تصوير للحروف المنطوق بها دالة عليها فالكتابة والبناء بأدوات تبقّى لأن أجزائها ليست من أفعالنا أما الكلام فلا يبقى الا وقت النطق به فهو كابداع المبدع الحكيم الذي لم يستمد من أحد ولذلك كثر في القرآن ذكر الكلمات كقوله تعالى (إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) ، (وكنته ألقاها الى مريم وروح منه) فالعالم كالكلمات ولقد رمز الى ذلك بقوله (إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا وإن زالتا أن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حامياً غفوراً) ويقول (ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بأذنه إن الله بالناس لرؤوف رحيم) إذ لو لم يمسك السماء والأرض لم يوجد من يمسكهما أما البناء فاذا بنى البيت ومات بانيه فانه يحد من يمسكه وهو الذي خلق هذه المواد التي بنى بها البيت وهذه النواميس الكونية التي اقتضت بقاء هذا البناء من ناموس بقاء كل شيء في نظامه وثباته مما عرفته من هذا الكتاب .

الباب الثالث

الكلام على نظام الأرض وما عليها من البسائط

ان ماتقدم في البابين السابقين يبحث عن عجائب الكواكب وحسابها وعن النفوس وأشواقها والسموات وبدائعها وبعبارة أخرى عن هذه العوالم المحيطة بنا ، وفي هذا الباب نريد أن نبحث في العوالم الخاصة بنا وهي الأرض وما عليها ان الله عز وجل يقول (أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ) فهو عز وجل بعد أن ذكر ركبان الابل بنفس الابل نقلهم فورا الى السماء فوقهم ثم دلاهم الى الجبال والأرض فيها نحن أولاء في هذا الكتاب نظرنا في البابين الأولين في أمرين أمر نفوسنا وشوقها كما ينظر ابن الصحراء الى الابل وأمر السماء وحسابها كما نظر هو اليها ، وهانحن أولاء أخذنا ننظر في الأرض وما عليها في هذا الباب ، واعلم ان النظر في الأرض وما عليها بحر لا ساحل له ولا نهاية ، ان الأرض ذات طبقات عجيبات مشحونات بأبدع العجائب والصور (الجيولوجية) المحفوظة من الأحقاب الغائرة والقرون الحالية والدهور الماضية طبقات من أنواع النبات والحيوان ذوات أشكال مختلفات لايسع هذا المختصر ذكرها وقد أطنبنا في هذا المقام في سورة حم فصلت عند قوله تعالى : (قُلْ أَنتَكُمُ لَتَكْفُرْنَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ الْخ) فهناك تقف على تاريخ الأرض مفصلا من حيث طبقاتها الموضحة بأشكال ورسوم بدیعة بالتصوير الشمسي ، وهناك يظهر لك كيف كانت في أول أمرها دخانا قبل تكوینها وترى هناك صورة تمثلها على هذه الحال كما ترى في مواضع أخرى في أوائل السورة التي قبل سورة (يس) أشكالا وصوراً تمثل أشكالها المختلفة من حيث اعتقاد الأمم في هيئاتها ، فاذا اتسع لك أيها الذكي الوقت وأردت زيادة على هذا المختصر فاقرأ ذلك هناك في كتابنا

(الجواهر في تفسير القرآن) ، وترى هناك عجائب الجبال والمعادن وغرائب التكوين في سور مختلفة وكل ذلك مصور بأبداع الصور الشمسية موضح أيما إيضاح ، ولنقتصر في هذا المختصر على ما يأتي

أولاً — على ما أبدعه الله فيها من النظام والوزن الحق وكيف كان الحجر الساقط من أعلى إلى أسفل له حساب منتظم لحساب الكواكب وكيف كانت موازين الناس في الأرض تابعات لميزان العام في السموات

ثانياً — فيما زين به ظاهرها من الثلج الجميل ذى الشكل البهيج في الأقطار الباردة وكيف خلق منه جبالات تجري على سطح الأرض وعلى وجه الماء وذلك كل ما ليس من المركبات العضوية

ثالثاً — فيما أبدعه سبحانه من المركبات العضوية المنتظمة كأنها سلسلة واحدة من أدنى إلى أعلى وهي النبات والحيوان والانسان وهي دائرة الوجود

رابعاً — في ابداع الأمم وقياسها على الفرد وعلى سلسلة النباتات والحيوانات والانسان فهنا أربعة فصول :

الفصل الأول — في نظام الموازين وحركات الأحجار الساقطة وانه تشبه

الكواكب في حسابها

الفصل الثاني — في أحوال القطبين وفيما فيهما من الثلج والعجائب مترجمة

من اللورد أقبرى بتصرف جميل

الفصل الثالث — في الكلام على دائرة الوجود

الفصل الرابع — في الكلام على ان الأمة كالفرد

الفصل الأول

في نظام الموازين وحركات الأجسام الساقطة وانها تشبه الكواكب في حسابها

من نظر إلى الكرة الأرضية نظراً سطحياً لم يخطر بباله أنها جميع ما عليها موزونة بموازين حسابية مقاسة بمقاييس هندسية تابعة لنظام عمومي ولكن انظر إلى العلوم تعرفك أنها جارية بحساب عجيب . وإذا كان تجاذب الأجسام التي عليها وسقوط الأجسام من أعلى المنازل والسقوف وذبذبة البنادل كلها جارية على نواميس لا تتغير مصداقاً لقوله تعالى (وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ) فما بالك بسيرها هي ودورانها حول نفسها وحول الشمس كل ذلك عرفه العلماء ودوتوه في تأليفهم (وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) ثم أتبعها بما يشير إلى أن من عرفوا ذلك هم المقربون المحبون لهم بقوله (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) وكيف يحزن العالم بهذا الكون أو يخاف وقد أطلعه الله على ابداعه فأمن إيماناً صادقاً فصار في لسان الأمم حكماً وفي لسان الشرع ولياً فلذلك أعقبه بذكر سبب عدم الحزن بقوله (الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) ولا جرم أن ذلك يورث العز في الدنيا والجاه فيها وفي الآخرة فلذلك قال (لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) وهذا قانون لا يتعداه خالقه فلذلك قال (لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) ولا أشرح شيئاً من هذا النظام فأقول :

الحجر ينزل من أعلى إلى أسفل بقانون واحد طى حسب مربع المسافة فينزل في باريس في الثانية الأولى ٩ ر ٤ متراً أربعة أمتار وتسعة من عشرة أى تسعة ديسات.

وفي مصر أقل ضرورة لقربها من خط الاستواء فاذا قطع فيها في الثانية الاولى أربعة أمتار في انتهاء الثانية الثانية كان $4 \times 4 = 16$ متراً وإذا استمر عشرة ثوان قطع ٤٠٠ متراً فربع ١٠ تكون ١٠٠ مائة ونضربها في الأربعة وهذا قانون لا يتغير ولا يقبل كما إنه ينزل الأحجار الساقطة وغيرها على الأرض عند خط الاستواء تقل سرعتها جدا وتأخذ في الزيادة إلى القطبين وهكذا الموازين تخف عند خط الاستواء وتثقل عند القطبين وما بينهما درجات متواليات بعضها فوق بعض فانظر كيف اختلفت هذه المقادير كما اختلف الليل والنهار من خط الاستواء إلى القطبين (وَلَدَلِكْ خَلَقَهُمْ) فكيف بعد هذا الاختلاف العظيم مع هذا النظام العجيب نظن وقوف العالم على درجة واحدة ومن أين تظهر القدرة والحكمة

هذا الذي ذكرته في سقوط الأجسام من أعلى إلى أسفل فاذا اعتبرت جسمين يقتربان كغلينتين على وجه الماء وتأملت اقترابهما كأنسانين اقترب أحدهما من الآخر إذ الجنس يحن إلى جنسه في كل شيء من حيوان ونبات وجماد ولسكنها في الحيوان تسمى حباً وعشاقاً وحنيناً وهكذا وفي الجماد تسمى جذباً (مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَافُوتٍ) فترى هاتين القطعتين تقتربان بقانون عجيب وذلك أنهما إذا كانت المسافة بينهما متراً مثلاً كانت السرعة في التقارب أكثر منها والمسافة بينهما متران بمقدار أربعة أي على حسب عكس المربع إذ المربع بينهما متر واحد وإذا كان بينهما متران كانت السرعة بعكس هذا المربع فأعطى تربيع الثاني للأول والأول للثاني وإذا فهمت هذا فقس عليه ما إذا كان بينهما ثلاثة أمتار إذ تكون السرعة أقل من السرعة الاولى تسعة أي 3×3 وإذا كان بينهما أربعة أمتار فهي أقل ١٦ وإذا كان بينهما خمسة فهي ٢٥ وفي ستة ٣٦ وفي سبعة ٤٩ وفي ثمانية ٦٤ وهكذا إلى ما لا يتناهى (صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ) وإذا كان الله بصيراً بعمل الأحجار الساقطة وبالأجسام المتقاربة فما بالك بأعمال العباد (لَإِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) وفي الحقيقة لو تأملنا القانونين لوجدناهما واحداً إذ لا فرق بين حجر ساقط وجسمين متلاقين لحالة

البعد فيها واحدة وقانون الاقتراب واحد فتأمل (إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ) . ثم أن الموازين التي يزن بها نوع الانسان أمتعته تابعة للميزان العمومي في السموات والأرض ولقد ذكرناه وأوضحناه في كتابنا ميزان الجواهر ولكن أردنا هنا أن نبين أن الذراع الذي فوقه اللسان الدال على الاعتدال إذا كانت جهته متعادلتين كالميزان الذي عند الباعة كان الرطل الموزون يعادل رطلا نظيره من معدن ونحوه فأما إذا طالت إحدى الجهتين وقصرت الأخرى كميزان القبان (والجهة الصغرى اسمها ذراع القوة والكبرى ذراع المقاومة) وذلك أن القوة عبارة عن الشيء الموزون كاقطن مثلاً والمقاومة عبارة عما يعادله من المعادن فله قانون وذلك أن المقاومة دائماً عكس ذراعها فإذا كان ذراعها قدر ذراع القوة عشر مرات كانت هي أقل من القوة عشر مرات وإن كان ذراعها أكبر مائة مرة كانت أقل من القوة أيضاً مائة مرة فإذا كانت هي عشرة أرتال كانت القوة ألف رطل وهكذا فانظر كيف أمكن الانسان وزن أشياء كثيرة بمعادل قليل مع ناموس حق لا يتغير

ثم لننظر إلى البندول وهو عبارة عن خيط أو حبل أو معدن طويل في آخره قطعة من الرصاص أو غيره تعلق في مكان شروطه مخصوصة ويترك يذهب ويجيء من نفسه متذبذباً مضطرباً فإن هذا له حركات منظمة في أوقات معينة كما يتذبذب بانتظام ورق ذلك النبات الذي على نهر الكنج في كتابنا جواهر العلوم وكما انتظم سير الشمس والقمر فيما تقدم في كتابنا هذا وكما هو شأن العالم كله فانه على أحسن نظام . الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله فإذا نظرنا إلى البندولين اللذين يتحركان في مكان واحد تجد زمان حركتهما واحداً إذا كانا متساويين فإن اختلفا كانت ذبذبتهم على حسب جذر طولهما فإذا كان أحدهما طوله أربعة والآخر ٩ تنذبذبا الأول في ٢ والثاني في ٣ والمعنى أن الحركات المتساوية عدداً كخمسة مثلاً تقع من الأول في ٢/٣ من الثاني هذا إذا أخذنا بندولين في مكان واحد وإذا عكسنا بأن أخذنا بندولاً واحداً في أما كن مختلفة كانت سرعته على حسب عكس الجذر التربيعي

لشدة الثقل إذ معلوم أن الثقل يكون أكثر كلما قر بنا من القطبين وأقل كلما قر بنا من خط الاستواء . فإذا كان البندول فى النوبة مثلاً قوة ثقله « ١ » وفى بلاد الروسيا قوته فى الثقل « ٤ » تحرك فى الأولى حركات فى « ٢ » الذى هو الجذر التربيعى لأربعة وتحرك فى الثانية تلك الحركات بعينها فى « ١ » الذى هو الجذر التربيعى لواحد والنتيجة أن البندول الواحد فى الأماكن المختلفة تكون سرعته على حسب عكس الجذر التربيعى لشدة الثقل وبعبارة أخرى يكون فى الجهات القطبية وما والاها لشدة ثقله مناسباً للجذر التربيعى فى الجهات الاستوائية وهذا بالعكس

فانظر الحكمة الإلهية كيف اقتضت اعتبار طول الزواضع ومربع المسافة فى الحجر النازل وعكس المربع فى الجسمين المتجاذبين والجذر فى البنادل المختلفة فى المكان الواحد وعكس الجذر فى البندول الواحد فى الأماكن المختلفة فانظر كيف اعتبر الطول والمربع وعكسه والجذر وعكسه فما أعجب هذه الحكمة التى هى من الموازين التى قامت بها السموات والأرض وهذا من معنى قوله تعالى (وَوَضَعَ الْمِيزَانَ) وأى ميزان أعجب من هذا الميزان ولا أعد عليك هذه الآية (وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ) جمع كم وهو الذى فيه الطلع والخبث ذو العصف أى التبن وذلك كالقمح والشعير وجميع الحبوب والريحان هو المشوم أو الرزق فبأى آلاء ربكم تكذبان فانظر كيف صدر الكلام بالميزان وأعقبه بذكر الأرض إذ هى موزونة قبل ما عليها ثم أعقب هذا بذكر النخل وأنواع النبات وهى موزونة وزناً محكما عجيباً وسأذكر لك ميزان النبات وعجائبه بأرقى وأبهج مما ذكرته فى جواهر العلوم وميزان الجواهر ولا تطلعك على دائرة الوجود مترتبة منتظمة من العناصر الأرضية الى المعادن الى النبات والحيوان والانسان وأريك كيف انتظم وقدر كل شىء مع ما اكتشفه المحدثون أيضاً من وزن العناصر الداخلة فى أجسام النبات بميزان لا يتغير ولا يتبدل لتفهم من كلام الأوائل والآخر معنى قوله تعالى (وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ)

وترى كيف كانت الأرض وما عليها كلها جارية على القوانين الحسابية وجذرها وتربيعها وكيف كان ما في عقولنا كامنا وان لم يوجد هذا العالم أصبح امامنا رأى العين وعرفناه في العلوم وقد كان جميعه مشتقا من أصل واحد وهى المادة كما ان الحساب كله من أصل واحد وهو الواحد وهذا اشارة عجيبة لطيفة لقوم يعقلون فيعرفون خالقهم وتوحيده وان له يوما يحاسب الناس فيه كما ترى عالمه محسوبا موزونا (الله الذى أنزل الكتاب بالحق والميزان . ونضع الموازين القسط ليوم القيامة)

الفصل الثانى

فى احوال القطبين وفيما فيهما من الثلج والعجائب

مترجمة من الورد افيرى بتصرف جميل

القطب الشمالى والجنوبى لهما تأثير عظيم على العقول وكل محاولة فى الوصول للقطب الشمالى طاحت وهكذا الجنوبى بل أنه أشد نفورا

فى القطب الشمالى لم يصل برى (Bary) إلا الى درجة ٨٣ وفى الجنوبى لم يجاوز أحد ٧٨ درجة و ٩ دقائق هذا أيام تأليف هذا الكتاب أما الآن فقد وصلوا الى القطب الشمالى

و بينما نرى ألا أحد يمكنه أن يحدث عما ضمنه القطب الشمالى ويؤمل قوم أن يكون هناك مجرى مائى نرى من وجه آخر آمالا اتجهت الى القطب الجنوبى بل أقصاه . وفتق الخيال لها شفة أكبر من سابقها

تسير المراكب فى البحار وتمخر الأقيانوس الشمالى فلا ترى إلا زرقة الماء تصافح زرقة السماء وقد تصادف جزيرات قليلات تمر عليها يوما أو بعض يوم ولا تزال سائرة حتى توافى بناء عالياً ليس من الطين أو الحجر ولا الخشب أو القصص بناء تقصر القياصرة أن تمد اليه يداً . أشد بياضاً من القمر وأبهى جمالا من الجوهر . عنصره الماء .

لا الفحم (مادة الماس) من جو السماء نزوله ، وعلى الأرض قصوره ، ولا أخالك
ألا عرفت بناءه وقرأت من سطورنا خبره (ذلك هو الثلج) — تستشرف بعينك
هناك فلا ترى إلا فلاة بيضاء ، وأرضاً تفخر على السماء والعجب أن سطح الكرة
الأرضية يزدان بهجة البساتين والحقول الخضراء ، قف على جسر خليج أو نهر ومد
بصرك في الحريف أو الربيع فلا ترى إلا خضرة نضرة ثم تارة تنظر فتراها سوداء
جرداء وآونة تسرح الطرف فلا ترى إلا بياضا محمراً في الصحارى والقفار فان ركبت
الجواري المنشآت رأيت زرقة مدى البصر فاذا سرت إلى القطب الشمالى ألقيت الثلج

كما ذكرناه يعلو على سطح البحر ما بين ٤٠٠ و ٥٠٠ قدم كأنه جبل شامخ
فلو رأيت ثم رأيت ثلوجاً تنزل حيناً فحيناً فتتراكم طبقة طبقة حتى إذا بنت
بناءها . وأحكمت أساسها ، ورفعت قصورها رأيت أرضاً من الثلج أبهى من القمر .
وأجمل من بهجة الدرر ، يلوح للناظر مداه ، ولا يدرى إذ ذاك إله ؛ يظن أن النجوم
الراقصات في السماء اقتطفت من جبالها ، أو القمر اشتق من سهولها ، وكأنما تنظر لها
النجوم من جوار السماء شاكرة نعماءها ويراهها دواماً تلد قطعاً كبيرة . وكتلا عظيمة .
كسفينه تنفصل منها . وتعم على الماء .

ذلك في الاقطار الشمالية أما الجنوبية فقد تلاحظ فيها جبالاً شامخة تنفصل من
تلك الأرض الثلجية — ما أجمل تلك المناظر وأبهائها . وأبهجها وأحلاها .
وترى جبال الثلج الشامخات في الأقطاب الجنوبية تبلغ ارتفاعاً ٨٠٠ قدم أو ألف
قدم وربما بلغ ميلاً في الارتفاع عند الشاطئ في سمت السماء عند سبطح الماء ، فتري
أصله في الماء ورأسه في السحاب ، ومن عجب أن يكون بناء الماء أقوى ثباتاً وأمتن
من بناء الأرض ولكم ضرب الناس أمثالا بعدم الثبات بالبناء على الماء ففكس الأمر
وقلب الوضع وربما يشير بطرف خفي لذلك قوله تعالى (وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً
وَهِيَ تَمْرٌ مَرَّ السَّحَابِ) أو قوله (وَيُنَزَّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ)
حقيقة هذه جبال من البرد أو الثلج أنزلت من السماء .

وقال ابن العربي قد كشف لي فرأيت أرضاً تسمى أرض السمسة خلقت فيها
المستحيلات والحق ان هذه الدنيا عجائب وغرائب ومن لم يحس في نفسه ويشعر في
قلبه بالسعادة العلمية في الدنيا والراحة بهذا النظام فلتعده ممن لا يعقلون
قال كروول Crool اذا نظرنا الثلج وراء ما عرفناه بنصف درجة رأينا ان ارتفاعاً
عن سطح البحر ١٢ ميلاً

خلق عجيب

قال السير جيمس روس James Ross انه كان يقيس زاوية عند جبل في
الجنوب اذ رأى فجأة جزيرة أخذت تكبر شيئاً فشيئاً تدريجاً حتى تكاملت جبلاً ثلجياً
عائماً ولم يزل يعتورها التغير والتبدل حتى تكونت أرضاً علاها الطين والحجر ومع
ذلك لم يكن ليشاهدها من قبل أن رآها بنحو ٣ ساعات أو ساعتين

اختلاف القطبين منظرًا

ترى الأقطار الشمالية القطبية ذات أراض كثيرة وقلت فيها الأراضى الثلجية وفي
الجنوبية عكس ذلك نرى الأرض فيها قليلة وكثيرة فيها من قم وجبال وحقول وأراض

الفصل الثالث

في الكلام على دائرة الوجود

وفيه ذكر المعادن والنبات والحيوان والانسان بالترتيب الأكمل والنظام
الأجمل . من أعظم ما يميز العلماء من الجهلاء مزية ترتيب الوجود المسمى في عرف
الفلاسفة دائرة الوجود اذ الانسان اذا نظر لهذا الكون أول وهلة لا يخطر بباله الا انه
لنظام فيه ثم يرى في نفسه شوقاً الى الوقوف على نظامه اذ هذه لئنة ليس لها غاية بل

هي نهاية الذات وهي أيضاً لانهاية لها فهي نهاية ولا نهاية لها وهي كجثة عرضها السموات والأرض تعجل لذوى البصائر في الدنيا قبل الموت وهي ثمرة العقل الذي مدحه صلى الله عليه وسلم بقوله أول ما خلق الله العقل فقال له اقبل فأقبل ثم قال له ادبر فأدبر ثم قال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا هو أعز علي منك بك آخذ وبك أعطى وبك أثيب وبك أعاقب الخ .

وقد ورد أيضاً انه وصف رجل بالعبادة عند أحكم الحكماء سيد الأنبياء عليه الصلاة والسلام فقال كيف عقله فقالوا ليس ذاك فقال لا يرجى صاحبكم أو ماهو معناه .
فها أناذا أشرح لك دائرة الوجود ليرتسم في ذهنك معرجاً على الكليات إذ الجزئيات لانهاية لها فأقول :

من قرأ كلام الأوائيل والأواخر من فلاسفة الاسلام والأوروبيين وجد بينهم اختلافاً كثيراً، ولسنانريدنقل الأقوال وطول الشروح والأقوال فهالك ما استخلصناه منها .
اعلم أن الله عز وجل علم هذا الخلق قبل وجوده وهذا من بديهيات العقول انه يستحيل أن ينظم الصانع صنعته الا اذا علمها من قبل فالمهندس اذا أراد بناء منزل نظر في علمه فتصور أشكالاً من البيوت كثيرة وهذا هو العلم ثم نظر بعلمه فيها فاختار أحسن وضع يناسب وهذا هو الارادة ثم أبرزه في الخارج بالفعل والبنايين وهذه هي القدرة إذا فهمت هذا المثال وعرفت أن كل صانع لا يمكنه أن تقوم صناعته إلا بهذه الثلاثة وهي العلم أولاً والارادة ثانياً والقدرة ثالثاً فلواتق العلم أو لم تكن الارادة استحالة طبعاً أن يوجد في الخارج ذلك المصنوع كما ثبت في مثالنا والا فأن تكون حجرات النوم وموضع الطبخ والخبز وغير ذلك

وإذا كانت جميع أعمال النوع الانساني والحيواني على هذا المنوال فاعلم أنها طلسم يدلنا على فعل خالقها إذ هي نموذج للعالم بأجمعه فن صنع هذا العالم كان في علمه كل مستحيل وممكن وواجب كما يبرهن عليه الحكماء لتجرده سبحانه عن المادة بالبرهان القطعي ثم اختار أعلى وضع وصنع على مقتضاه هذا العالم فكان أول ما خلق المادة .

لا ترى ولا تحس ولا تلمس ولا تذاق ولا تشم وإنما تعقل مناسبة للعالم العقلي وهى المادة المعبر عنها بالاثير لم يعرفها العقلاء الا بالعقل وهى الحاملة للضوء وللحرارة وهى الموصلة للتفراف بلا سلك لشدة صقلها وتموجاتها بشرارات الكهرباء فتماوج كما يتماوج الماء والهواء وتذهب الأمواج الى الموضع الذي فيه آلات الاستقبال ثم لعل هذه المادة هى المعبر عنها فى الشرع بالدخان (ثم استوى إلى السماء وهى دُخان) وفى كلام الطبيعيين بالمواد الغازية لشدة لطافتها وعدم حسها ثم تكاثفت هذه المادة بالدوران أو غيره حتى تكون الهواء ثم الماء ثم الأرض ثم أخليت مواضع على سطح الكرة الأرضية لينبت فيها النبات ويدب الحيوان وتتكون المعادن . واعلم أن البسيط فى الخلق دائماً مقدم على المركب فالمادة الملتهبة بسيطة جداً وكل ما تركب منها فهو مركب عنها فالماء والهواء والأرض مركبات ولكن ليس لها عظيم فضل إذ فى الامكان بعد أجمل منها اذ خلق الحكيم العليم المعادن وجعلها مراتب أدناها مما على الأرض كالخيز والشب ونحوها ومعنى معدن ما معدن أى يقيم بالأرض من الأنواع غير النامية ثم تأخذ فى التدرج شيئاً فشيئاً من حيث الشرف والعزة الى أن تنتهى الى معادن الرصاص والنحاس والحديد والقصدير والخارصين وأعلى مرتبة منه هى الفضة والذهب والبلاطيز والأحجار الجميلة مثل الياقوت

فتأمل كيف كانت المعادن متفاوتة درجات بعضها فوق بعض أدناها ينفع فى بنا الأما كن ونحوه وأعلاها يكون قاضياً بين الناس فى معاملاتهم كالذهب والفضة أو على التيجان والنحور كالياقوت وغيره

وهنا (أمر عجيب) فى العلم فان القدماء قالوا فى الأرض والماء والهواء أنهم بسيطة ولكن المحدثون حققوا انها مركبة وهو الحق إذ نحن شاهدنا أن الماء تحلل الى أكسوجين وهو جسم هوائى محي وأودروجين وهو جسم مميت هوائى بتسلط تيار كهربائى على الماء وهكذا البقية . فلا مرأى فى هذا التركيب بعد العيان والملاحظة فهذا ملخص كلام الأوائل والآخر فى ذلك أما المعادن فقد قال الأقدمون انها مركبة

تمثل النحاس والقصدير والذهب قالوا إنها مركبة من الزئبق والكبريت تكونت في ظلمات الأرض أحقاباً طويلة وهذا ربما يشهد له أن الارقي في الموجودات أكثر تركيباً وأوسع أدوات وأكثر آلات من الأدنى ولكن علماء أوروبا الذين برعوا في الآلات جداً وتقدموا في كل شيء حكموا ببساطتها وجعلوها عناصر مستقلة والله في خلقه شئون ولعل في المستقبل غرائب تظهر للناس على حقائق لم نعلمها الآن فانظر كيف حكم المتأخرون ببساطة ما كان في زعم القدماء مركباً وتركيب ما زعموه بسيطاً (وفوق كل ذي علم عليم).

ومن العجيب أن قوماً بأمريكا صغطوا على الفضة فصارت ذهباً بالضغط العظيم جداً وهذا يقرب من كلام الاقدمين حيث زعموا أن الفضة لو ترقّت صارت ذهباً والمعادن عناصرها متحدة هذا وانرجع الى ما نحن بصدده فنقول . ويلي أعلى رتبة في المعادن أدنى رتبة في النبات ليتصل العالم بعضه ببعض وهي النباتات الفطرية التي تنبت من الطل والندى في أواخر الليل وتكون ضئيلة لاصقة بالأرض لا تتميز الا بالمنظار المعظم فاذا جاء الهجير نشفت ورجعت الى التراب . وهذا النبات يسميه العلماء معدنا نباتياً أما كونه معدنا فلانه لم تظهر له أوراق ولا أزهار ولا غيرها فهو كال معدن الذي لا ينمو بل يبقى على حال واحدة وأما كونه نباتاً فلانه نما نمواً قليلاً جداً فلا شبهان كما علمت ويلي في الرتبة نبات اسمه الكماة ويسميه العامة (عيش الغراب) أو غيره وهذا النبات يعلوي سيراً ويكون كالمظلة (الشمسية) وهو سريع الزوال ويسمى نباتاً معدنياً اذ هو أقرب للنباتية منه الى المعدنية اذ هو أرق مما قبله ثم لا يزال النبات يترقى درجات بعضها فوق بعض إلى أن يصل إلى أن يصلح لأكل الحيوان منه كالسمعان والكلاء فهذه نباتات صلحت لتغذية النوع الارقي منها وهو الحيوان وهذه فضيلة لم توجد فيما قبله .

ثم تزيد هذه المرتبة شيئاً فشيئاً إلى أن تصل إلى ما يعتنى به الانسان لخدمة

الحيوان ويحافظ عليه كالبرسيم وهذه فضيلة ليست في غيره كخشائش البوادي والشوك وغيرها اذ هذه كلها تنبت بنفسها بل كثيراً مايزيلها الانسان لتخلي له وجه الارض. وأرقى من هذه ما يصلح لاكل الانسان والحيوان معاً كالقنول والشعير فانهما جملا لا كلهما وهذه فضيلة لم تكن في البرسيم . ثم اذا ارتقى النبات عن هذه الدرجات كلها اختص بالانسان فكان منه أقوات كالقمح ومنه ملابس كالقطن ومنه أخشاب لمساكنه ومنافع وما رب لا تحصى من أثاث المنازل والسفن وغيرها وهنا بحر لا ساحل له فترى النبات مراتب بعضها فوق بعض فمنها ما لا ساق له وهو المسمى نجما ومنها ماله ساق وهو المسمى شجراً والشجر أرقى من النجم فهذه مرتبة أخرى لتفاضل الثمار والاشجار .

ومعلوم أن من الشجر ما يتحات ورقه شتاء ومنه مالا يرتفع كثيراً ومنه ما يبطل . في الارض وأن جميع الزرع والشجر فيه ذكر وأنثى وقد أوضحناه في كتبنا وزهرة هذا الكتاب فارجع اليها إن شئت اذ هناك تفصيل تلك الجزئيات . اذا علمت هذه فاعلم أن من النبات ما يتميز ذكره عن أنثاه ولا نطيل بذكر الأنواع وإنما نقول أن النخل شجر يبقى ورقه صيفاً وشتاء وهو غذاء وفاكهة وحلوى لنوع الانسان قد تميز ذكره عن أنثاه وهو مرتفع جهة السماء طويلاً المدة ثمرة باق بعد جذاذه نافع كثيراً وهذه صفات لا تجتمع في غيره وإنما تكون مبتقرة وزد على ذلك انه يموت اذا قطع من رأسه وهذه صفات تكاد تقر به من الحيوان اذ الحيوان يبقى في الصيف والشتاء على حاله ويموت بقطع رأسه وتميز ذكره عن أنثاه فالنخل لو ترقى عن هذه لكان حيواناً وهذه آخر مراتب النبات وهو يتصل بأول مراتب الحيوان ثم اعلم أن للنبات نوعاً من الحس ألا ترى إلى شجرة تسمى السنط الحساس ويسمونها المستحية اذا لامسها الانسان انضمت أوراقها ولعلك قرأت في كتابنا جواهر العلوم ذلك النبات الذي يأكل الحيوان كما يأكل الحيوان النبات .

كل هذا لاشك أنه بحاسة وزد على ذلك أنك ترى ان غصن العنب مثلاً اذا وضع

على جبل لم يكد يحيد عنه يمنة أو يسرة وإذا كانت شجرة فوقها ثقب وبجانها نور تراها مالت بفروعها إلى جهة النور فهذه علامات دالة على ان له حساً ولذلك تحير قديماً وحديثاً في الفرق بين الحيوان والنبات اذ لم يمكنهم أن يقفوا عند حد مخصوص وهم معذورون في ذلك إذ العالم كله سلسلة واحدة أو دائرة متحدة ولم يخلق للنبات مع هذا الحس ألم وإلا لخلق له قوة دافعة بهرب أو بطش كما للحيوان كما أنه مسخر للحيوان وجل الله أن يعذب المسخر المذل بما لا فائدة فيه إذ تلك القوة لا فائدة فيها في النبات إذ هو مقصود لغيره فلماذا خلق الألم في الحيوان ليدفع ما يضره

إذا علمت ذلك فاعلم أنهم اعتبروا أن أدنى مرتبة في الحيوان ماله حاسة اللمس فقط كالخار (الصدف) الذي فيه الدر في أعماق البحار وكل علق أو دود مخلق في خل أو خب أو ثلج أو في بطون الحيوانات الكبيرة فان هذه كلها ليس لها إلا حاسة اللمس فقط فترى الدودة في المش تسبح ولا تسمع لها ولا بصر ولا شم ولا ذوق وإنما تمتص بجرمها المواد التي حولها بالقوة الجاذبة التي هي سارية في أنواع الحيوان وهكذا العلق في الطين .

فتأمل كيف لم تخلق له الحواس اد لا لزوم لها إذ تلك الحيوانات تأكل مما حولها وهي لم تخلق إلا في أوساط مناسبة لأغذيتها وما السمع والبصر والذوق إلا للتمييز وإذا كان كل ما حولها ملائماً فلا لزوم للتمييز (وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم) ولقد ذكرنا في كتابنا جواهر العلوم ان أجمل وأبهج المخلوقات تكون من أضعف الأشياء وأحقرها كالدر من أدنى حيوان البحر والعسل من أحق الحشرات والحريير من أخس حيوانات البر .

فانظر التقسيم العجيب مع الحكمة الغريبة وكيف قسمها على البحر والبر والجو (صنع الله الذي أتقن كل شيء) وقد فصلنا الكلام هناك تفصيلاً يسرك فارجع اليه ان شئت وأرقى من هذه الحيوانات ماله لمس وشم وذوق وهي الديدان التي تخلق على الأشجار لتأكل منها وأرقى منها ماله سمع وشم وذوق ولمس وهي الحيوانات

المخلوقة في الظلمة فتشم الطعام ثم تذوقه لتأكله وتحترس من عدوها بحاسة السمع أما حاسة البصر فتكون عبثاً ثقيلاً عليها بلا فائدة فاذا ترقينا عن هذا وجدنا ماله الحواس الخمس كلها وهذه طبقات بعضها فوق بعض فمنها الحيوانات التي لا تربي أولادها كالأسماك والبعوض وإنما أراد الله أن يبقيا في السكون فأكثر من أولادها معرضة للحر والقر فلا يبقى إلا القليل وذلك كالناموس المنتشر في الأرض وهذه الأسماك التي نراها في البحار جزء من كثير من بيض السمك الذي ماتت صفاره فهذا النوع من الحيوان لم تخلق فيه قوة حفظ أولاده فانظر كيف اقتضت الحكمة الإلهية أن يكون كثيراً لتقوم السكثرة مقام الحذق والصيانة ويترقى الحيوان عن هذه الطبقة بحفظ أولاده والسعى عليها كالنحل والطيور والحيوانات والأنعام فتري النحل يبنى بيوته المسدسة والمنتظمة بتقدير محكم ويربي أولاده وقد أوضحنا الكلام عليه في كتابنا جواهر العلوم وذكرنا نصوص القرآن مع مشاهدات الناس وما ذكروه في علومهم فارجع إليه إن شئت وتري الطيور تبنى أعشاشها المنتظمة لتربي أولادها وهكذا الأنعام ترضع أولادها ثم هذه الحيوانات مع حفظها أولادها لم تزل بعد ناقصة إذ لم يمكنها أن تقبل التأديب والتعليم من الإنسان الذي هو سيدها وأرقى من هذه حيوانات تتأدب ككلاب الصيد والطيور الجوارح إذ الإنسان أمكنه أن يعلمها ويستخدمها ويؤديها بأدبه فيرسل الطيور في الجولات التي له بما أراد والكلاب في البر لتصطاد له الغزال وغيره ومع هذا كله فقد رأيت هذه المراتب قد أعطيت القوة الغضبية متفاوتة فيها بعضها فوق بعض ولكل منها سلاح يخصه كخالب الأسود وأنياب السباع وبرائتها وقرون البقر والجاموس وحافر الحمار فالحافر كالترس والأنياب كالسكين والسيف والمخالب والبرثن كالرمح ومنها ما سلاحه رائحة كريهة تخرج منه كشرار الناس الذين يجتنبون لأذاهم كما قال عليه الصلاة والسلام ما معناه (شر الناس من يجتنبه الناس لفحشه) هذا ولنرجع إلى ما كنا بصدد فنقول ثم تزايد الحيوانات في المراتب مرتبة بعد مرتبة إلى أن تقرب من سيدها وهو الإنسان لتتصل به كما اتصل أولها بآخر النبات

وكما اتصل أول النبات بآخر مراتب المعدن وكما اتصل أول المعدن باللبائط الأخرى ورجع جميع ذلك الى أبسط الموجودات وهي الكرة الغازية كما قدمنا

ولما كان الانسان جامعاً لفصائل كثيرة جداً لم يتسن للحيوان أن يجمعها في فرد واحد كما كان في النبات بل قرب من الانسان الفرس بأدبه حتى أن الفرس لتمتع من البول في الميدان وبحضرة صاحبها وهذه هي الخيل الصافنات الجياد التي يقول لها العامة (كخائل) حتى ان فرساً ببلادنا بالشرقية مرض مالكاها فمضت وقبل موته بثلاثة أيام أخذت تصهل أشبه بصوت النساء وبعد أن مات ماتت ويقال أن عرب البادية يعرفون قرب أجل المريض بامتناع فرسه الجيد عن الطعام وقرب الفيل من الانسان بامتناله الأوامر والنواهي والطيور ذات الصوت الجميل بأصواتها الجميلة والطيور ذات الألوان الجميلة كالطاووس بجملها والنحل بهندسته والقرد بصورته الظاهرة وتقليده في الأفعال والانسان هو الذي جمع جميع ذلك وأول أفعه هؤلاء الذين لا يعرفون من اللذات والعلوم الا المحسوسات فهم أقرب الى الحيوانات وهم الذين في أطراف المعمورة من شمال روسيا شمالا وقوم في السودان عراة الأجساد يأكل بعضهم بعضاً في الجنوب فاذا جئت من الطرفين الى الأقاليم المعتدلة أخذت الفضائل تنمو وظهر الحكماء والعلماء والأدباء والأنبياء وانتشرت علومهم في الآفاق وهذه آخر مراتب الانسان ويليها الملك فما أنت ذا شاهدت المراتب بعضها فوق بعض من الكرة الغازية الى مرتبة الملائكة الذين تشبههم أرواحنا بعد الموت فهذه ثمرة العالم كله وهي خلاصته والملائكة هم العالم الأعلى عند ملكك مقتدر ومن هناك كان مبدأ المادة التي عبر عنها بالكرة الغازية فهذه هي الدائرة لأول لها ولا آخر

محبتي لاتنقضي بسلوة تبطلها

كانها دائرة أولها آخرها

لطائف وبدائع

إذا تأملت هذه المراتب وجدت كلا منها فيه إشارة عجيبة فالنبات رأسه منغرس في الأرض إشارة إلى أنه منكوس منسلط عليه القيمان الآخران ورؤوس الحيوان متجهات إلى الجهات الأربعة إشارة إلى علوها على النبات وسلطتها عليه ورؤوس النوع الإنساني إلى أعلى إشارة إلى بلوغها الغاية وقهره للآخرين .

ومن العجيب أنك ترى الإنسان يأخذ جميع هذه المراتب في خلقه فإنه يخلق أولاً نقطة وهي بحسب ظاهرها لاتنمو كالعادن ثم تصبح مضغة وهذه حال النبات ثم ينفخ فيها الروح وتبقى كالحیوان والنبات معاً فتتغذى من دم الأم المجتمع من دم الحيض كما يتغذى النبات بالماء والعناصر الأرضية وتكون رأسه إذ ذاك على ركبته منكوسة كرأس النبات ثم ينزل إلى أسفل عند الولادة ويأخذ يتدرج ويمشي على أربع كالحیوان ويتغذى من ثدي الأم فله نوع سعى وقد كملت حواسه فأشبهه الحيوان ثم تعادل قامته ويسعى على رزقه ويقوى عقله وكما أعطى موهبة الهمية في نفسه أزيل عنه المساعدات التي كانت أعدت له كثدي الأم كأن هذا كلها اشارات إلى أن التمام والكمال إنما يكون بالغنى عن الاحتياج إذ كلما ترقى سعى بنفسه ففيه نوع غنى فلو استغنى عن السعى بالرة ولم يجد جوعاً ولا عطشاً ولا ألماً كانت هذه هي آخر مراتب الإنسان (ان لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وأنت لا تظمأ فيها ولا تضحى فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد ومليك لا يبلى فأكل منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يغصفاً عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباؤه ربه فتآب عليه وهدى إلى آخر السورة) فتأمل هذه الآيات واعرضها على هذه الحقائق تعلم علماً يقيناً لا مجرد تقليد .

وكما أن الإنسان أخذ أدوار هذه السلسلة من حيث شكله كذلك نراه أخذها أيضاً من حيث أخلاقه ومعارفه فإنه في أول نشأته عار عن العلم والمعرفة كما قال تعالى :

(واللهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) ثم يأخذ درجات الحيوان وتحدث عنده الحمية والغضب كالحيوانات المفترسة وغيرها ويقلد العلماء فيما يقولون كالقرد الذي يقلد الانسان وهذه كلها درجات مرت عليها مراتب الحيوان كما تقدم

الفصل الرابع

في الكلام على أن الأمة كالفرد

واعلم أن الأمة كالفرد فيما ذكر أو كسلسلة النبات والحيوان . فبينما هي مشتتة في الفلوات لا يحس الفرد منها بما يؤلم الآخرين كالناموس والفراس المبعوث والجراد المنتشر كأمة يأجوج ومأجوج وهم التتر والمغول إذ نراها وقد قيض لها من يجمع شملها ويملئ شعبها كما جاء تموجين وهو تيمورلنك الشهير فلم شعبها وحماها من جيرانها فاذن صارت الأمة أشبه بالحيوانات اللبونية وبالانسان حين يحس بحب أمه ويبكى لفراقها ثم يأخذون في تقليد العلوم والمعارف وذلك كالانسان الواحد في المدرسة وزمن التعليم وكالقرد من الحيوانات وكل حيوان مستأنس عنده خاصة من خواص الانسان فهذه كما ذكرناها حال الأمة حين تأخذ في التقدم وتسعى لأخذ آثار الأمم الغابرة وتتصفح قوانينها وتقلدها في مصنوعاتهما ثم تترقى عن هذه المرتبة إلى أن تشتغل بالاختراع وتحدث ما لم يكن من قبل كأهل أوروبا الآن فانهم مع استمدادهم من أمة العرب واليونان والرومان وغيرها اخترعوا وزادوا وأفادوا وهذه هي نهايات الأمم كما أن نهاية الفرد الواحد بعد تعلمه واستفادته من غيره أن يصل إلى الاجتهاد المطلق ويفعل ما لم يكن من قبل فانظر كيف أشبه الفرد الواحد من الانسان سلسلة النبات والحيوان ثم أشبهت الأمة الفرد وهذا إجمال توضحه العلوم وتفصله العقول ولعلك من هذا فهمت

معنى قوله تعالى (مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَافُوتٍ) وفهمت قوله (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ) وقوله (مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بِعَشْكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ) إذ الفرد الواحد كالأمة بأسرها بل الأمة عبارة عن فرد مكرر فهي على مقياسه وسيتضح لك إن شاء الله تعالى بأكثر من هذا عند الكلام على نظام الأمم إذ بين السكون الإلهي وبين الأمم تشابه في النظام وإذا رأيت كتابنا ميزان الجواهر وقفت على شيء من هذا وإن الأمة كالشخص يعمل في صفه لنفسه ما ينفعه في كبره فالأمة لها اعتباران أحدهما من حيث ابتدائها وتوسطها ونهايتها وإذا تصفحت أحوالها وجدتها كأنسان واحد . وثانيهما من حيث التعاون في الأعمال والتشارك فيها وهي في ذلك أيضاً كأعضاء الفرد الواحد من حيث تعاونها والجميع تحت مدبر واحد وهو العقل في الإنسان والملك أو رئيس الجمهورية في الأمة . واعلم أن هذه الأقوال يسمعها الجاهل كأنها من وراء حجاب أما العالم الناظر في الوجود فإنه يعاينها كأنها مشاهدة له مكشوفة أمام عينه يبصرها . وها أنت ذا شاهدت ترتيباً حسناً في المواليد الثلاثة ووقفت على درجاتها وأن لها نظاماً عجيباً غريباً وقد أجمع الحكماء على أنه لا يمكن بحسب الحكمة أن تخلو مرتبة من المراتب بدون أن يخلق فيها خلق كما رأيت وتوضيحه أن كل درجة كبيرة كانت أو صغيرة لابد أن توجد في أنواع المواليد الثلاثة فلقد علمت مما تقدم أن كل مرتبة متصلة بما عداها ورأيت أن آخر النبات متصل بأول الحيوان كالنخل والحيوان الذي يسمى (الكشوثى) ذكرناه في (كتابنا جواهر العلوم) وهو الذي يتعلق على غيره ويمتص منه ولا أصل له في الأرض فقد أشبه الحيوان في تعلقه على غيره كأنواع البراغيث والبق وغيرها والحيوان له حواس خمس ومن مراتبه عقلا ماله حاسة واحدة وقد وجدت في حلزون البحر وهي عبارة عن مادة لحمية عليها حلزون صلب وتخرج تلك المادة إلى خارج ذلك الحلزون فإذا أحست بشيء انقبضت إلى داخل حصنها الواقى لها من الأذى وهكذا ماله حاستان وثلاث وأربع كالحيوانات التي خلقت في الظلمة فلم تخلق لها الأعين فكل هدم

الحوانات لابل من وجودها وهذا قانون سار فى الكون كله وعليه كانت السلسلة متصلة بالانسان ومنها القرد وما معه مما ذكرناه سابقا .

ولقد وقف الجهال عندهذه المسألة الصغيرة وظنوا ان داروين يقول باشتقاق الانسان من القرد مع انه قال ان مذهبي انتظام السلسلة أما الاشتقاق فلا أقول به ولكن من بعده هم الذين قالوا ذلك ومنهم (برن) و (بنجر) الألمانى الذى ترجم كتابه شبل شميل بمصر وتبعهم كثير من علماء أوروبا واغرار الشرقيين وصاروا يقولون أصل الانسان القرد ثم أخذوا فى تشريح الحيوانات ليثبتوا اشتقاقها من أصل واحد مع أن السلسلة قطعاً لابد أن تكون متصلة سواء كان بالاشتقاق أم بغيره ولم يقتصروا على القرد مع أن الذى اقرب من الانسان جملة حيوانات لا القرد وحده غاية الأمر أن له الصورة فكان أقرب الى ذوى المحسوسات ثم اعلم أنه لو بقيت حلقة من السلسلة فى الوجود بلا وجود لكان نقصا اذ الملك اذا لم يكن فيه الناقص كان فلابد من جميع الدرجات ولعلك تطلع فى كتابنا الجواهر فى تفسير القرآن على ما كتبت فى أول سورة قد أفلح المؤمنون اذ نقلت عن عشرين عالما فى القرن العشرين من ألمانيا وانجلترا ونحوها ببطلان هذا المذهب وهذه المسألة الآن واقفة على باب القضاء والقدر بل اذا فهمت ما رمزت اليه فهما يقينياً انفتحت بصيرتك لمعرفة سر القضاء والقدر الذى اختلف فيه فريقان أهل السنة والمعتزلة ونظيراهما فى أوروبا أيضاً ومع هذا كله فلا يجوز إظهاره ولا إفشاؤه ولقد رمزت له رمزاً فى غضون هذا الكلام فمن فهمه اطمان لكل ما يقع فى الوجود وعلم أن كل خير وشر هو فى الحقيقة خير وعلم ان كل مرتبة من المراتب الخمسة راضية فرحة (كل حزب بما لديهم فرحون) وانهم جعل من بين أيديهم سد ومن خلفهم سد فأغشى عليهم فلم يبصروا إلا ما عرفوا كما قال فى قوم يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون وفى آخرين رضى الله عنهم ورضوا عنه ولكل وجهة هو موليها وفرح بها وأشار الى أعلاها بقوله فاستبقوا الخيرات . واذا اطلعت على مراتب الناس من أقلهم إلى أعلاهم سواء كان فى علم أو مال

أم غيرهما وجدت درجات لا تنهاى وكل درجة لابد من وجودها كما رأيت فيما تقدم درجات الليل والنهار واختلافهما بالزيادة والنقصان من خط الاستواء إلى القطبين بحيث لم تر درجة من الدرجات إلا وقد وجدت ليكون الملك كاملا فهكذا الانسان لابد له من ذلك وتمت كلمة ربك لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين فله الحجة البالغة فلو شاء لهذا كم أجمعين .

واعلم أنه لابد في هذا الكون من جميع الطبقات والا لاختل سائرهما وكل يخدم الآخر .

الناس للناس من بدو وحاضرة بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم

واعلم أن كل فرد من أفراد هذه السلسلة متقن كما ذكرنا فعروق النباتات وسوقه وأغصانه وأوراقه وأزهاره وثماره وقواه الباطنة كلها موزونة بميزان عدل لا ينحس شعيرة بمناسبات هندسية لا يعرف عددها وتفصيل مناسباتها وأشكالها الا الله الذى خلقها ولا قدرة لخلق على أحصائها كما رمز الى ذلك بقوله (وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا) ومع ذلك لابد لنا من ذكر فوائد من علم النبات والحيوان فى الباب الرابع والخامس

الباب الرابع

في عجائب النبات

وفيه مقدمة وثلاثة فصول :

المقدمة — في قول عام في النبات وبعض صلته بالحيوان

الفصل الأول — في أوصاف عامة لأشجار الحدائق

الفصل الثاني — في قصص معارف الانسان وعدد النبات على سطح

الأرض وفوائد أخرى

الفصل الثالث — في حديثي مع فلاح مصري في أمر النبات

المقدمة

في قول عام في النبات وبعض صلته بالحيوان

جاء في كتابنا الجواهر في تفسير القرآن في سورة الأنعام عند آية (اَنْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ) مانصه :

اعلم أن النبات ليس له جوف لهضم غذائه ولا له قلب لادارة سائلاته في كل أقسامه كما للحيوان بل يمص غذاءه من التراب بواسطة جذوره ومن الهواء بواسطة أوراقه وبالأوراق أيضاً يدفع إلى الخارج مالا ينفعه . فهنا جذور تمص وورق وههنا ورق لا إفراز مالا ينفع . ان غذاء النبات منه المائعات ومنه الموجودات الهوائية (الغازية) فأما الجامدات فلا حظ للنبات فيها

وفي الماء مواد غازية ومعدنية مذوبة فيه فتج حملت الجذور الماء الذي امتصته صعد بما معه من المواد المعدنية والغازية في أنسجة النبات الى الأجزاء التي فوق سطح الأرض المعرضة للهواء فيدخل الأوراق

ايضاح هذا المقام

اننا نشاهد أن الجو الذي نعيش فيه يحتوى على أدخنة من الآلات البخارية وتلك الأدخنة أجزاء فحمية (الكربون) وهكذا كل أنفاس الانسان والحيوان مشتملة على نوع من هذا الفحم أو (الكربون) كالذى تتنفسه الآلات البخارية بدليل اننا اذا تنفسنا فى المرآة حصل على وجهها المصقول الزجاجى طبقة تحجب عنا صورنا فيها وتلك الطبقة هى الفحم الخارج مع نفسنا من الرئة حينما صلاح الدم فخرج مافيه من المواد المحترقة الكربونية الخارجة من أجزاء أجسامنا كما خرجت المواد المحترقة فى الآلات البخارية من المداخن سواء بسواء . فهذا الدخان يسير فى الجو فيصل الى أوراق النبات . وهذا هو الغذاء الذى يدخل فى ورق النبات فهذا هو المسمى (الحامض الكربونيك) فتمت تناوله الورق واجتمع بالماء الذى امتصته الجذور يقابلها النور فيكون منهما معا النشاء . المعلوم والنشاء هو الذى يذوب اذا مضغت حبة قمح فى فمك فما ذاب منها فى ريقنا سميناه نشاء وما بقى لزجا سميناه (المواد الشبيهة بالزلال) ثم ان الجذور اذا امتصت أكثر مما يلزم من المواد المائية تحولت بخاراً فى الأوراق وتطير فى الجو فتتخفف درجة الحرارة كما تتخفف درجة حرارة الماء اذا كان فى الفخار وقت الحر

ثم أن هذا النشاء المركب من الكربون والأكسوجين والأوردوجين لا يتم له ذلك التركيب إلا بفعل المادة الملونة الخضراء وهذه المادة الملونة لا تتم إلا بفعل النور فيها بدليل أن الجذور لا تلون به لاحتجابها عن الشمس بجوهر الأرض ولا بد من مادة حديدية يمتصها النبات للمادة الملونة والمادة الملونة حينما يأخذ الورق الحامض الكربونيك من الهواء تحلل الحامض المذكور بفعل النور فتبعث أحد جزئيه وهو الأكسوجين إلى الهواء وترسل الجزء الآخر وهو الكربون فى جسم النبات فيتحد مع أكسوجين الماء وايدروجينه وهو النشاء فما النشاء المعروف الأبيض إلا ماء وفحم تركبا ثم هذا الغذاء ينبث فى أجزاء النبات فيصير قوة له

ثم أن هذا النشاء مع المواد التي منها غاز النتروجين التي تمتصها الجذور من التراب مذوبة في الماء الجارية في أنسجة النبات تتكون مواد شبيهة بالزلال يتغذى بها النبات فينمو سواء كان عشباً أو شجراً ويكون هذا الشبيه بالزلال مركباً متقدماً (الكربون والأوكسجين والهيدروجين والنتروجين) ومن الكبريت ومنها المادة الغروية (أى المادة اللزجة) التي كلما زادت في الحب كان أشد تغذية وفى النبات مواد شبيهة بالقلوى وهى (المورفين والكينين) ونحو المادة الفعالة فى الشاي وفى القهوة

ومادة السليكا أيضاً وهو الصوان وأما الفوسفور فيدخل فى المواد الزلالية

العجب العجيب

فانظر كيف حول النور مع ما نتج منه من المادة الملونة الكربون والماء إلى نشاء وهذا النشاء يسير فى الخلايا ويخزن منه فى البذور ليكون غذاء فى المستقبل ومنه ما يخزن فى الجذور فى زمن الشتاء لينتفع به النبات فيما بعد وقد يتحول إلى سكر بفعل المادة الملونة أو إلى مادة زيتية أو دهنية كما ترى فى بزر القطن واللوز والخروع والزيتون وبزر الكتان . وفائدة هذه المواد للنبات كفائدة النشاء . واعلم أن السكر هو نفس النشاء فإذا أضفت إليه ماء ووضعتهما فى موضع دافئ . يتحول النشاء إلى سكر فيصير السائل حلو المذاق وترى ذلك فى قصب السكر وعصير العنب وجذور الشمندر وفى جميع الأثمار الحلوة

ثم انظر كيف كان هذا النشاء نفسه يقابل فى النبات أملاحاً فيها النتروجين وكذلك الكبريت فتكون المواد الشبيهة بالزلال . وذلك كله بفعل النور فلا بد من الحرارة ولا بد من النور ذلك النور المكون للنشاء وللمواد الزلالية

الحيوان والنبات

أفلا تعجب من هذا النظام وكيف يسير فى الضوء والهواء ونحن غافلون يا عجباً

لغفلة الإنسان نرى الكربون في الهواء ونستنشق الأكسوجين ولا ندري ما فيهما من العجائب . فهذا الكربون يخرج من الإنسان ومن الأفران ومن الآلات البخارية كما تقدم ويذهب في أوراق الأشجار ويحلل الأكسوجين المصاحب له ويرسل في الهواء ليصلحه وكأن الورق هو الرئة التي خلقها الله للهواء فرثنا تصفى الأكسوجين وتدخله في أجسامنا وترسل الكربون إلى الهواء هكذا الأوراق ترسل الأكسوجين إلى الهواء والكربون إلى النبات بعكس ما تفعل رثتنا .

كيف يتكون الحيوان

إن عظام الحيوان تكون من المواد المعدنية وعضلاته من النيتروجين وهو الأوزوت ودهنه من الكربون

ولما ضعف الحيوان عن تناول هذه المركبات خلق النبات له حاوياً تلك المواد لتكون في بنية الحيوان

فيا عجباً كل العجب نشاء ومواد زلالية مركبات من الكربون والماء والكبريت مع مواد أخرى من الحديد والمادة الصوانية والفسفور والبوتاسا في النباتات البرية والصودا في النباتات البحرية والكلسيوم أى الجص والمورفين والكيما والاستركنين والفخسين والاثرويين وخلاصة الشاي وخلاصة البن . هذه المواد تكون في النبات ثم تكون بنية الحيوان . اشتراك عظيم ونظام جميل يارب ما أعجب هذه الدنيا بأجل نظامها

يا الله أنر بصائرنا حتى نقف على الجمال الذي أبدعته والنور الذي أنزلته . يا الله ورفى الجو نزل من السماء نورك الجليل الذي تحول على بعض المعادن الى صوت يسمعه لناس في هذا الشهر وهذا النور هو الذي حول القمح الى نشاء مع الماء ثم حول هذا لنشاء مع الأوزوت والكبريت الى مواد زلالية وهذه المواد بها حياة النبات ثم هي

مع مواد أخرى في النبات يكون بها حياة الحيوان . وكيف يارب كان الفحم لنا دهنا والأملح لنا عظماً والأوزوت لنا لحماً . وكيف يصير الفحم في أجسامنا دهنا والأملح عظماً والأوزوت لحماً .

وكيف نرى ما تخرجه أنفاسنا راجعاً إلى أجسامنا بهيئة دهن — إن ربك هو الخلاق العليم — حقا لقد حارت الأفكار في هذه الحكم والمعائب

أوليس مما يدهشنا أن الورق له فعلان فعل ادخال الكربون وفعل اخراج الأكسجين وبخار الماء كما ترشح القربة الماء، ويخرج أيضا من الفتحات الصغيرة على قفا الورقة وقد حسب العلماء فتحات ورقة من شجرة التيليوم فوجدت (١٠٠٠٠٠٠) فتحة . ومن فوائد هذا البخر تبريد النبات في شدة الحر

ألا ترى أن عباد الشمس يبخر كل (٢٤) ساعة نحو رطل ماء فكيف يكون مقدار ما يبخره شجر السنديان والبطم والخروب وأضرابها . هذه أفعال الأوراق .

الجدور وعجائبها

أما أفعال الجدور فإنها أعجب فإنها تلتظ وتصور مخشوشة وتدفع التراب عن جوانبها كما تدفعه عن أطرافها وهذه القوة النامية من غرائب الدهر وعجائب البر والبحر . ألم تر أنها تدفع الحجارة الكبار أمامها وتهدم جدران الأبنية التي تمد تحتها أو بين حجارتها وفي الأقاليم الحارة الكثيرة الرطوبة يظهر فعل النبات في خراب الأبنية أقوى من فعل الزلازل والعواصف والنيران والأمطار لأن هذه القوى معاً لا تقدر على إزاحة حجارة مثل حجارة قلعة (بعلبك) وأهرام مصر وإذا وقعت خلالها بذرة تينية مثلاً تنمو وتدخل خيوط جذورها في أدق الثقوب والحلال فتزيج الحجارة من مواضعها ، بهذا نفهم قوله تعالى — إن الله فلق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي — فهذا هو إخراج النبات من ماء وكربون وأوزوت بفعل نور الصباح فيها المذكور بعدها فهو يقول — يخرج الحي كالنبات والحيوان

من الميت — وهو السكر بون والاوزوت والماء والاملاح — ومخرج الميت — وهي هذه العناصر — من الحى — وهو النبات والحيوان — ذلكم الله فأتى تؤفكون وإذا كانت هذه المواد الميتة تصرف فيها فعملها نباتا وحيوانا ثم حلالها فتصرف فيها بالتجليل والترييب وأنتم منها فكيف تصرفون عن تصرفه فيكم ، ثم أبان ما به التصرف فى ذلك فقال — فالى الأصباح — وهذا هو مبدأ التور الذى به يكون تكوين النشاء وتكوين الزلال من تلك المواد الميتة فيكون النبات ثم الحيوان . فانظر كيف أخرج الحى من الميت والميت من الحى ، فبمثل هذا فليفسر القرآن للحكام ، وليفهم للعلماء اه

الفصل الأول

فى اوصاف عامة لأشجار الحدائق

انظر إلى النخل تجده محكم الوضع فهذه عروقه الضارية فى الأرض تراها منتشرة وساقها هشا رخوآ وفى باطنها خلاء وتحمل فوقها سقفاً مسدسا كل دور منه ست سعفات كمسدس الخلايا فى النخل الذى شرحناه فى موضعه وكالتلج ينزل من الجو مسدسا منتظما وعلى هذه السعف لفائف ثلاث من منسوج غليظ وهو الليف وتلك السعف ورقها مستطيل ولها عراجين قنوان دائية تحمل الثمر وهى فى أول أمرها فى أكمامها ثم تنشق عنها وتبرز للشمس ثم ذلك الثمر تجده حلواً ملونا بالوان صفراء وحمراء ثم يصير رطباً فتمرا فى باطنه نواة فى ظهرها نقطة وفى باطنها حفرة مستطيلة فيها خيط على طولها وحول هذه النواة ترى منسوجاً لطيفاً دقيقاً كمنسوج الديباج ناعم أطلس لا كمنسوج الخيش الذى هو الليف المحيط بالسعف بل هذا كورق (السيكاره) التى تلف على الدخان ليشرب هذه مجمل أوصاف النخلة ولكل منها سبب ونتيجة كما هو كذلك كل العالم ولعلك أحببت أن تعرف أسباب ذلك فاقول أما سبب كون عروقه منتشرة دقيقة لا غليظة فاعلم أن النخلة لها أعمال كثيرة مع كبر حجمها وكثرة ليفها وسعفها

وعرجيها وغير ذلك ويلزم لذلك طبعاً أن تكثر المواد الآتية هي بها من الطين والماء المتمازجة عناصرها في الأرض كالأكسوجين والادروجين وغيرها من المواد الحديدية والكبريتية كما يعلم بقراءة علوم الزراعة وكما سيذكر عند ذكر التحليل بعد هذا فكثرت تلك العروق لتأتي كل طائفة منها بأغذية غير التي تأتي بها الأخرى كما تقسم ملكة النحل أعمالها على النحل (راجع كتابنا جواهر العلوم) وكما قسمت الأصوات الآتية إلى الأذن على أعصاب صغيرة تفوق ثلاثة آلاف عصب خارجة من ماء في حلزونة في داخل الأذن فكل عصب يختص بصوت يوصله إلى الدماغ فيحس به كما ذكر في اكتشاف علماء هذا العصر فكذا هنا في النحل كل طائفة من عروق النخلة توصل غذاء مخصوصاً إلى فرع من فروعها كالسعف والليف وغيرها وكانت تلك العروق مجوفة كساق النخلة ليسهل ارتقاء تلك المواد إلى أعلاها وساق النخلة مركب في الحقيقة من خيوط دقيقة فاجتمعت جماعة منها اتصلت بمروق في الأرض ليأتي لها بما تحتاجه وما يلائمها ولو كانت العروق الأرضية غلاظاً وجمعت الأغذية لصعب على القوة المودعة فيها توزيعها على تلك الخيوط الدقيقة مع كثرتها وتنوع الأغذية على حسب اختلاف وظائفها . وأما كون ساق النخلة هشاً وباطنها كالخالي وإنما فيه عروق فإنما ذلك ليسهل صعود تلك الأغذية إلى أعلى النخلة إذ القوة الجاذبة تعوقها صلابة الساق عن إيصال المواد الكثيرة مع طول النخلة وارتفاعها وأما كون سعف النخل عليه لفائف وهو الليف فلما علمت أن ساق النخلة رخو فجعل ذلك ليكون كالخزام يشده الإنسان على وسطه ليقوم بالخدمة وهذه السعف يخاف من سقوطها إذا هبت الريح العاصفة ويتشقق إذ ذاك ساق النخلة ويختل نظامها فانظر كيف كان هذا وضعها في النخلة وجعلت عند الإنسان مقوداً لانعامه وخيطاً لاسقاطه (المقاطف) ونحوها فكانت زمناً للنخلة ولأمتعة الإنسان فالعمل واحد في الحالين (رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا) وأما خروج ثمره أولاً في أكمامه فلا أنه يخرج ضعيفاً

كجنين الحيوانات فحفظ هذا في كفه وذلك في رحمه أو بيضه (صنع الله الذي أتقن كل شيء) فإذا قوى البلع واشتد تشقت عنه الأكام وخرج بنفسه إلى الهواء والشمس ليتكون بما قسم له من أحمر وأصفر لينضج وكل ذلك لا يمكن إلا بالشمس المضيئة وحرارتها كالفرخ يخرج من البيضة والجنين من الرحم كل يسعى لشؤونه بنفسه وكما ينشق الجسد عن الروح بالموت فتذهب إلى كمالها الذي أعدها. ثم أرايت التمر وعليه عند رأسه كأس صغيرة فقد جعل هناك ليميز الغليظ من الغذاء الآتي إليه من الساق في العرجون من الطيب اللطيف ويجعل الغليظ بعضه على بعض فيركمه جميعاً فيجعله في نواة. وأما اللطيف الطيب فيجعله في جرم البلعة من دبها وجرمها. وأما جعل تلك النواة منقورة من ناحية وفيها خيط فذلك الخيط ليأخذ المواد المغذية الغليظة فتجري فيه وتنعد أولاً فأولاً. وأما النواة فهي مندرجة جداً لا تصلح لمرور الغذاء فيها وأما النقرة التي في ظهرها فأنما وضعت لتكون محلاً سهلاً لخروج النخلة وعروقتها عند زرعها فترى ورقتين، تخرجان وعرقين يزلان ولولا هذه النقرة لما سهل الخروج. وأما النسج الذي على تلك النواة فلأن جرم الثمرة حلو وثمرتها غضة فلما اجتمع الجرمان لأخذ النواة من جرم الثمرة وتشرب كثيراً من حلاوتها اذ الجسم الغليظ عادة يستمد من اللطيف أكثر مما يأخذ اللطيف من الكثيف كالطين يبتل بالماء وهكذا يستمد جرم الثمرة من النواة فتصير الحلاوة ذات غضاضة فكان هذا النسج محكماً لينع من ذلك كما وضع بين البحرين حاجزاً فترى البحر الملح والحلو متجاورين ولا يختلط أحدهما بالآخر (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ فَبَأَى آلَاءُ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ) وإذا فهمت هذا علمت معنى قوله عز وجل (وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جِبَاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ وَالنَّخْلُ بَاسِقَاتٍ طَوَالًا — لهاطلع نضيد رزقاً للعباد) وقوله (والأرض وضحها للأنام فيها فاكهة والنخل ذات الأكام) — جمع كم وهو الذي فيه الطلع — والحب ذو العصف — التبن — والريحان فباي آلاء ربكما تكذبان) وقوله (إن الله فلق الحب والنوى يخرج الحي من الميت

وُخْرِجَ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمْ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ) (فالق الإصباح وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ فِي الرَّحْمِ - وَمُسْتَوْدَعٌ فِي الصَّلبِ - قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرَّمَانُ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ - نَضِجُهُ - إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) هذه الآيات ذكر فيها النخل وقد فهمته وذكر فيها كواكب السماء وهذه مبنى أغلب كتبنا فارجع إلى هذا الكتاب وغيره وذكر فيها الإنسان وسند كره في كتابنا هذا بعد وذكر فيها الحب والفواكه ولندكر بعض الفاكهة لنقيس عليه غيره فنقول . أعلم أن التين جعلت عروقه الأرضية خالية الجوف ذات أنابيب أما خلو جوفها فللحكمة التي تقدمت في النخل أي ليسهل اجتذابها للغذاء وهكذا ساقها وفروعها . وأما الأنابيب في العروق والفروع فلتساعد القوة الماسكة على بقاء الغذاء فيها لتمضممه الهاضمة وتأخذه المنمية لتعطى كل ذي حق حقه من الفروع والأوراق والأزهار والأثمار وهكذا المولده ولقد ذكرنا هذه القوى وشرحناها في كتابنا ميزان الجواهر فتأمل كيف رأيت هذه الأنابيب في هذه العروق المجوفة تجويفاً كتجويف القصب (ألا إن هذا أقل) لتساعد الماسكة وترى الإنسان قلده هذه الحكمة العالية في فعله فوضع السواقي كهذا الوضع فترها إما ذات أوان مشدودة بجمال وكل من تلك الأواني أسفل الآخر وهي تغترف الماء من أسفل البئر (وهذه ذات القواديس) وأما ذات خشب له ثقب في تجاويف بينها حواجز لتمسك الماء أن يرجع إلى البئر وهكذا الآلة الحديدية (الطلومبه) فقوة البهائم ويد الإنسان في هذه الآلات نظير القوة الجاذبة في الرمان

وغيره غاية الأمر أن هذه الجاذبية في هذه الآلات قوى في مواد حسية وتلك قوى خفية لا آلة لها ليظهر الفرق بين قوة الخالق والمخلوق ويظهر الفرق بين الجذيين ثم اذا نظرت ثمر التين وجدته لانهوى له وذلك ان مادته الأصلية ليس فيها كثير تفاوت من غليظ ورقيق فلم يجب تمييز غليظة من رقيقه ومع ذلك فقد حصل تمييز وهو تلك الحبات الدقيقة ثم وضع عليها منسوج رقيق ليقبها الغبار وغيره من الجو ولا يمنعها حرارة الشمس لتنضج وهذا بخلاف الزيتون فان له مادة غليظة قديمزت كالتمر وجعلت داخل المادة وهكذا العنب جعلت عروقه الضاربة في الأرض كمروق النخل والتين وهكذا سوقه إلا أن هذه لا تقوى على القيام وحدها فجعل لها مبدعها في تلك الفروع خيوطا لتتمسك بغيرها وترتفع عليه

أما قطوفه فقد جعلت حباتها في مبدأ أمرها غضة يابسة لا تحتاج إلى ما يقبها حر الشمس كطلع النخل الذي يخرج في غاية الضعف ثم اذا أنضج بحرارة السكوا كب ميزت مادته فما قويت القوة الفريزية في النبات على نضجه فهو تلك المادة الحلوة التي نتخذ منها سكرًا ورزقا حسنا وجعلت آيات لقوم يعقلون ومالم يقدر على هضمه فبقيت بذورا صلبة وسط ذلك الحب الجميل وهذه هي الحكمة البالغة فان كل شيء لا بد فيه من طيب وخبيث فانظر كيف تميز الخبيث من الطيب وتأمل كيف كان الخبيث له هذا الوصف في النظر العامي أما في نظر الحكمة فهناك واستمع ما أقول

ان هذه المادة التي صارت نواة في التمر وعجما في التين وجبًا في الزيتون والعنب لولا استعصاؤها على تلك الحرارة لما بقى أصل يزرع مرة أخرى لهذه الشجرة فانظر كيف صار من أحقر المواد أجل المطالب كما خلق من الجاهل الرجل العالم ومن المواد الخارجة من بطون الحيوان من أروائها وأبوالها وغازط الناس من المواد الفاسدة حول البيوت والأما كن الخبرة القديمة جنات وبساتين ومزارع فانظر كيف جعل أقدر ما نراه مبدأ لأعظم الأشياء وكأن هذه الحكمة سارية في الكون كله فتري الأشياء الحقيرة تبنى عليها أشرف المطالب كما بنيت الدول الكبيرة والصغيرة على صفار الرجال والجهلة

فأف لمن أصبح يجهل هذه النواميس ثم أف لمن يصبح كئيباً بعد إذ رأى صنع خالقه وهو يقول لم خلقت هذه الحباث ولم كثر الأشرار في هذا النوع الانسائي . وإذا سمع الغيبة والتمية يقول لم خلق الله هؤلاء النمامين المغتابين وما علم أن لكل حكمة لا تقل عن حكمة هذه البذور في الثمار . ولنرجع إلى ما نحن فيه فنقول ثم ان عنقود العنب لم يجعل له كم يقيه كالنخل لما علمت من صلابته واحتماله ثم جعلت ورقة الشجرة عريضة مغطية له كافية لغطائه لتقيه الغبار وطغيان الحرارة بل الأوراق على وجه العموم على الثمار كأهداب العين على الحدقة تذر النافع ليدخل وتمنع الضار فهي صنعة حازت فيها عقول العلماء وضلت فيها أفهام الحكماء ان في ذلك لعبرة لاولى الأبصار مع أنه زين للناس حب الشهوات من الملاهي والمال والنساء والبنين والذهب والفضة والحيل المسومة والانعام والحرف ذلك متاع اشتزك فيه الجاهل والعالم ولكنه لذة ضعيعة واللذة الدائمة القوية العالية لذة الفكر والعلم والمعرفة

وهنا سؤالان أحدهما أن يقال لم لم يخلق مذسوج على الحب الذي في داخل العنب كما وضع على نوى التمر تقول لأن هذا البذر صغير جداً فلم يخف منه على ذلك الحب الكبير مع أن البذر في داخله مادة زيتية فلم يكن ليجف حتى يشرب من ذلك الحب على أن جرم البذر ليس متدججاً كالنواة بل هو هش فلا يخاف منه الثاني ان العنب والتين والنخل وغيرها يكتفى في خلقها بفروع فيها كفسائل النخل وغصون الأشجار فأى فائدة لتلك البذور قلنا هذا سؤال لم يخف على تلك الحكمة العالية المدبرة القاهرة على كل شيء . وذلك ان هذه الأشجار يخلقها الله عز وجل في الأودية والجبال والأماكن المتباعدة ولا بد لها من أصل تحملها الرياح والحيوانات أو الانسان بقصد أو بلا قصد والمياه في الأنهار الجارية وذلك لا يكون إلا هذه البذور التي يخف حملها ويعظم نفعها أما الأغصان ونحوها فانما جعلت لتسهيل الغرس على الانسان في بساينه وهو عمل محصور بل الانسان يحتاج الى زرع نخل هذا الاقليم في إقليم آخر فكيف يمكنه إلا ابتلاك البذور فلولا البذور ما رأيت الأشجار في الجبال والأودية والأقاليم

المختلفة ولاقتصرت على أفراد قليلة من نوع الانسان ويشق عليه نقلها من اقليم الى آخر والانتشار على سطح الكرة الأرضية لا بد منه ليعمم النفع جميع العالم كما انتشر نوع بنى آدم على سطح الأرض فأما بنو آدم فقال تعالى فيهم (وقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا)

ولما كان الانسان لا بد من نقله الى الأماكن المختلفة ليستخلفه خالقه على الانواع الأرضية وكان ذلك لا يمكن ببذر كالنبات فوجب أن يكون بالنقل فكان نقله بالتكريم والتبجيل لاكتلاك البذور التى تحملها الرياح أو تحمل فى بطون الحيوانات القدرة أو فى تراب فان ذلك لا تكريم فيه ولذلك قال : ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر وطرق الحمل معلومة وهى الدواب والآلات البخارية البرية والبحرية فتأمل هذا التكريم . ولما كان عند انتقاله لا بد أن يرزق فى الأمكنة المنقول هو اليها وجب أن تنقل أرزاقه قبل أن يصل اليها فوضعت تلك البذور التى لا قدرة لها على السعى كالحيوان ولم تكرم كالإنسان فتحمل على أظهر الحيوان فوزعت بطرق متناسبة كما تقدم (ذلك تقدير العزيز العليم) فلذلك أعقبه بقوله ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا . هذا ومن العجيب أن هذه البذور جعلت غضة لا تصلح للأكل لتعافها النفوس فتبقيها الى الوقت المعلوم ولولا البذور ما أمكن زرع نبات خلا من الكرة الأرضية وبقى بذره بعد مئات من القرون ؛ فالبذر يحفظ النوع وينشره مع طول الزمان وتباعد البلدان ؛ أما الأغصان فانما نفعها فى المكان وما يقرب منه غالبا ولا تبقى زمانا طويلا ولولا البذر ما أمكن أن يزرع ذلك الرجل الانجليزى حب الحصى الذى عثر عليه فى هذه السنة فى ناووس فرعون من فراعنة مصر فلقد زرع ذلك الحب وما كاد يصدق أنه ينبت فنبت وكان زهره أحمر على خلاف العادة وحبه كبير وفيه حلاوة وشجره أطول من المعتاد وطار بهذه الحادثة الخبر فى جميع الأقطار ؛ وأدرجت فى صحف الأخبار

ولو تأملت العالم كله لوجدت كل مخلوق أريد بقاؤه فلا بد له من حافظ عجيب فما من ديانة أو علم شريف أو خسيس أو صنعة إلا وتحفظ نوعا من الحفظ حتى اذا جاء أجلها ظهرت ونمت كالنبات ينبت اذا جاء أوانه ؛ مثلا ديننا الاسلامى مضى عليه زمن والقرآن لا يعرف إلا ألفاظه أو المعانى المستنبطة منها الأحكام وبقي محفوظا فى الصدور

وفى خلدى أنه فى هذا الزمن وما بعده سيظهر ويتضح لأولى العلم والفهم وترجع المدنية الاسلامية كما كانت لأول أمرها فبقاء القرآن فى الصدور بلا فهم كالبنذر ثم اذا نما كان كالزرع

وترى الأمة عند ضعف يقينها تفرع الى قسيسها أو أحبارها أو رهبانها فيتخذونهم أربابا من دون الله أو الى قبور أكابرها فيلتمسون منهم الشفاء والنصر كعامتنا اليوم لا الخاصة إذ هم يزورون للاعتبار والايقاظ والافتداء وفرق بين الزائرين فاذا هبت من رقدتها فهموا قوله تعالى (وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون) وتأملوا قوله (يُرِيدُونَ لِيُطْفِقُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَآنُ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) . فهذه الاعتقادات فى صدور الجاهلين كبذور تبقى بها إلى أن يأتى يوم يفهمون فيه الحقائق وهكذا كل صنعة ولغة فترى كتب علم الفراسة وعلم الكهانة والروحانيات بقيت بأيدى الفوغاء من الناس حتى اذا ظهرت أوروبا فاتخذتها علوماً عندها وسمتها عندنا خرافات وهكذا لغة قدماء المصريين لما ذهبت دولتهم بقيت محفوظة عند ضعاف القبط فأخذها عنهم الغربيون فى القرن الماضى وهو التاسع عشر المسيحى وانتشرت اللغة بين علماء أوروبا وأمريكا وهى اللغة الهيروغليفية وهكذا صنائع الأمم يبقى لها نموذج فى مبانيها كاهرام الجيزة وبرج ايفل فى فرنسا ومنارة بيزه بالبلاد التليانية وهكذا بقيت مكايل المصريين وموازينهم الى يومنا محفوظة بين أيدى الناس وقد ورد فى التنزيل ما هو كالرمز لذلك كلة إذ نص على بقاء القرآن بقوله (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) فهو وإن ورد فى القرآن فهو كالرمز لبقية

ما في العالم ان ربي على كل شيء حفيظ فلا يضع شيء في العالم نافع قط قال تعالى :
(وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض)

ولنرجع إلى ما نحن فيه فنقول تأمل في أنواع البذور ترأها خلقت غير صالحة للتغذية وذلك وقاية من أكلها ليبقى النوع ثم الأثمار ثم تأمل بقية الأشجار والزرع بفراستك تر العجب العجاب وقس الجميع على النخل والتين وتأمل حال الثمار تجد انها مختلفة اختلافاً عجيباً فمنها ما عليه قشور غليظة منسوجة نسجاً متداخلاً منديجاً كالرمان وفي داخله حبوب قد رصعت على مادة مرة بين حواجز وذلك القشر وقاية لها وترى من قشور الثمار ما جعل على شكل سفطين (مقطفين) مثلاً وفي وسطهما مادة لذيذة الطعم قد وضعت بين حواجز منتظمة وكأنها تشبه مخ الانسان وهو الجوز ومنها ما عليه نسج حريري ليقية حرارة الشمس خشية أن تصيبه فتتشفه كلاء في البرك والمستنقعات وذلك هو العنب

ومنها ماله قشر ذو رائحة عطرية نسج نسجاً غليظاً ووضع مكسراً مبسطاً من جهة قطبيه أشبه بالكرة الأرضية وداخله مادة على هيئة أقطاع ناقصة متلاصقة فيها حب عفص لا يمكن أكله بخلاف تلك المادة فهي حلوة وذلك هو البرتقال ونحوه ويقل عنه في الشكل الليمون وبالجملة نظر المتفكر يكفيه في النظر لهذه الصنعة وليعلم العقلاء أن التفكير في مثل هذه الغرائب الذي من أكلها بما لا يتناهى عند المتبصر الخادم .

ومن المدهشات أننا نرى أن المواد الأرضية والعناصر الكونية متحدة ومع ذلك يأخذ كل نبات ما يناسبه فيتكون شكله وطعمه ولونه وغير ذلك ومنه ما يصلح للملبس وما يصلح للمأكل والمواد واحدة اختلفت مقاديرها واتحدت أنواعها فخرج هذا قطناً يلبس أو كتاناً أو حريراً وخرج هذا فاكهة وثمرات وعنباً وقمحاً وذرة تبصرة وذكرى لقوم يعقلون .
واعلم أن للنبات نظرين أحدهما نظر الى ترتيب بعضه على بعض وترتيب أشكاله

وأثماره وأزهاره أى النظر الى ترتيب الانواع وترتيب الأشخاص وقد ذكرنا لك منه نموذجاً ، والنظر الآخر التأمل فى تركيب عناصره التى أخذها من الأرض ولنذكر لك منه نموذجاً لتستدل على صنع الله تعالى وتعرف الحقائق معرفة مشاهدة كما هى طريقة أيننا ابراهيم عليه الصلاة والسلام إذ قال (رب أرني كيف تُنجي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي الآية)

وقد تقدم ملخص تفسيرها عند الكلام على السموات . واعلم أن الاستدلال على حكمة اللطيف الخبير انما يكون بأحد أمور ثلاثة :

الأول مشاهدة حال الرسول فى أول نشأته الأمية فيظهر جمال الحق فى الكون .
يشير اليه قوله تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الى قوله - ولو شاء الله ماقتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا الى قوله - والله سميع عليم) ،
وهؤلاء هم صدر الأمة الاسلامية وغيرها من الأمم .

الثانى البراهين التى ينظمها العقلاء واليه الاشارة بقوله تعالى (ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك - وهو النمرود - إذ قال ابراهيم ربى الذى يُحيى ويميت قال أنا أحيى وأميت) فأتى نمرود برجلين يستحقان القتل فقتل أحدهما وعفا عن الآخر فلما رأى ابراهيم أن هذا غيبى قال (فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت - أى دهش وتخير - الذى كفر والله لا يهدي القوم الظالمين) فهذه الحجة من سيدنا ابراهيم على نمرود كالحجج التى تذكر فى علم التوحيد التى بين أيدينا اليوم وهى تفيد الاقناع لا اليقين

الحال الثالثة تنبئه الأمة بعد نومها ويقظتها بعد غفلتها وخروجها من المشاحنات الى العمل والجد والتحقيق كما قص الله من نبأ عزيز والخليل

أما عزيز فانه مرَّ على بيت المقدس وقد مضى على خرابه ستون عاماً فقال كيف يحيى هذه الله بعد موتها وتذكر قومه فنام وحماره بجانبه وكان معه تين وعصير فبقى مائة عام ثم استيقظ فرأى حماره عظاماً فى جانبه فضم الله بعضها الى بعض ، وصار يكسو

العظام لهما وهكذا حتى كسى جلدًا وقام ثم رأى التين والعنب لم يتغيرا ووجد بيت المقدس قد أصبح عامراً أهلاً فقال (أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) وهكذا ما قصه من حكاية سيدنا ابراهيم الخليل وقوله رب أرني كيف تحيي الموتى النخ .

وهاتان القصتان ذكرتا في القرآن رمزاً الى أنه ما بعد المشاغبات والانحطاط إلا العمل المقرون بالعلم المقترنين بالتقدم في الماديات والأدبيات كما هو حال الأمة العربية الآن وكما هو الرجاء في مستقبل الاسلام فانظر كيف ذكر أولا الرسل وصفات الخالق إشارة إلى مبدأ الأمة ثم اتبعه بذكر الحجج عند الاختلاف إشارة الى ما يقرب مما نحن عليه الآن ثم ذكر كيفية تركيب المتفرقات وحياء الموتى وذلك هو وقت استيقاظ الدولة ونظرها في الكون علما وعملا لتتحقق من العلم بالصنعة والصانع وتأخذ حظها من المدنية إذ تكون مطمئنة على كل شيء كاطمئنان الخليل ومستيقظة استيقاظ العزيز المقارن لعمارة بيت المقدس ولننجز ما وعدنا به من ذكر نبذة من تحليل النباتات نقلا عن مجلة الجمعية الزراعية الخديوية ومدرسة فن الزراعة الصادرة في شهر أغسطس ١٨٩٩ ونذكر تحليل القطن والقمح والبرسيم أى أشهر ملابس الانسان ومطاعمه ومطاعم البهائم .

عناصر	قطن	قمح	برسيم
بوتاسا	٣٥ر٥	٣١ر٥٤	٣٤ر٦
صودا	٣ر٦٤	٢ر٦٦	١١ر٤
جير	١٤ر٦٣	٣ر١٤	٢١ر٦
مغنيسيا	٨ر٧٨	١٢ر١٠	٤ر٥
حمض فوسفوريك	٨ر٣٤	٤٨ر٥٠	٥ر٣
حمض كبريتيك	٧ر٧٧	٠٠ر٠٨	٤ر٢
سلكا	٨ر٢٢	١ر٨٨	٣ر٨
كلور	٦ر٣٧	٠٠ر١٠	١٣ر٩

وهاك جدولاً آخر جامعاً لأكثر أغذية الانسان

عناصر	القطن		القمح		الشعير	
	شعر	بذرة	خشب	حب	تبين	حب
بوتاسا	٣٥ر٥٠	٣٢ر٣	٣٢ر٩	٣١ر٥٤	١٥ر٦٤	٢١ر٢٠
صودا	٣ر٦٤	٦ر٩	٥ر٤	٢ر٦٦	٩ر٥٤	٤ر٠٠
جير	١٤ر٦٣	٥ر٦	٢٨ر٠	٣ر١٤	١٠ر٠٠	٢ر٤٠
مغنيسيا	٨ر٧٨	١٦ر٥	٠٦ر٣	١٢ر١٠	٣ر٥٠	٩ر١٠
حمض فسفوريك	٨ر٣٤	٣١ر١	٨ر١	٤٨ر٥٠	٣ر١٠	٣٣ر٧١
حمض كبريتيك	٧ر٧٧	٢ر١	٥ر٤	٠٠ر٠٨	٤ر٧٠	٠٢ر١٠
سلكا	٨ر٢٢	٠ر٣١	٥ر٩	١ر٨٨	٤١ر٩	٢٧ر٥٢
كلور	٦ر٣٧	١ر٥٠	٧ر٥	٠٠ر١٠	٥ر٢٠	٠٠ر٣٠
أكسيد الحديد	معدوم	معدوم	معدوم	آثار	٦ر٢٠	٠٠ر١٥

الذرة	الفول		بطاطس نوع من الكم	القصب		برسيم
	حب	اسبقان وقوالح		حب	تبين	
٣٧ر٩	٣٢ر٠	٤٢ر٥	٢٧ر٨	٦١ر٦	٢١ر٥	٣٤ر٦
٣ر٠	٣ر٠	٣ر٣	٨ر٦	١٩ر٠	٠٢ر٤٠	١١ر٤
٣ر٤	٩ر٧	٦ر٠	٢١ر٥	٢ر٤	٧ر٢٥	٢١ر٦
٧ر٥	٥٠	٧ر٣	٠٥ر٦	٥ر٠٠	٣ر٨٠	٤ر٥
٤٤ر٨	٢ر١	٣٤ر٦	٥ر١	١٧ر٦	٣ر٣٥	٥ر٣
١ر٥٠	١ر٤	٣ر٥	٥ر٩	٦ر٢	٦ر٣٠	٤ر٢
١ر٤٠	٣٢ر٨	٠٠ر٩	٨ر٧٠	١ر٠٠	٤٤ر٨٠	٣ر٨
آثار	١٠ر١	١٠ر٤	١١ر٥	٢ر٢	٨ر٢٠	١٣ر٩
٠٠ر٤	٣ر٠	٠٠ر٤	٤ر٩	٠ر٨	١ر٩٠	٠٠٠٠٠

تأمل هذا الجدول تجد أن مطعموم البهائم والأدميين والملابس والفاكهة كلها عناصر واحدة اختلفت مقاديرها فباعجبا كيف كانت مادة الذرة هي مادة القمح بعينها بل مادة القطن وباختلاف المقادير صار هذا ملبسا وهذا مطعما . إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون حارت الأفكار في هذه الحكمة الباهرة فان نظرنا الى ترتيب النبات مع المعادن والحيوان وترتيب كل طبقة فيها وجدنا إحكاما وان نظرنا إلى أجزاء كل شجرة من أعضائها الظاهرة من عروق وسوق وفروع وأوراق وأزهار وأثمار رأينا حكمة باهرة وانها موزونة بميزان عدل وان نظرنا الى عناصرها التي تركبت منها رأينا مقادير مختلفة وعناصر متحدة وباختلاف المقادير اختلفت الطعوم والأشكال والألوان والروائح والمقادير وما أشبه هذه النظامات في ترتيبها بنظام السموات فكما رأيت هناك جداول لها نظام خاص فكذلك ترى هنا جداول محكمة . ولقد صدق فيثاغورث في قوله ان العالم مبني على الأعداد والموسيقا ومن هذا نفهم سورة الرحمن ولنعد آيات منها لنفهم المقصود قال الله تعالى . . (الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ) نعم خلق الله الانسان فيه كل نظام وترتيب ولما كانت الأشكال تحن الى أشكالها وضعت

الروح ذات العلم والأدب وحب النظام والترتيب في هذا الجسم المشاكل والمناسب خلقها واعرب وبين عما استكن في هذا العالم الذي هو طبعاً يحكى جسمه فلذلك أعقبه بقوله (علمه البيان) فإبان عما يقرأ على صفحات هذا الكون من العلوم واللطائف والعجائب اذ خلق العالم أولاً مقدمة لخلق الانسان وليكون دفتره وكتابه يقرؤه فله نفع في عقله وفائدة في جسمه فخلق الانسان أولاً لاستفاد الماديات وعلمه البيان لاستفادة العلوم منه . ولما كان هذا الكلام مجعلاً إذ لم تقرأ شيئاً من هذا الوجود مفصلاً لشرع الرحمن يفصله تفصيلاً مظهر آثار رحمته على أجسامنا أولاً وعقولنا ثانياً بالخلق أولاً والعلم ثانياً فقال الشمس والقمر بحسبان ولقد أعدنا هذا الكلام مراراً واتضح لك نظام السموات على أجمع أوضاعه وترتيبه وبيننا أيضاً ان العالم السفلى نظامه تابع للعلوى لوصول الأثر من الثانی فلذلك كان له نظام بحساب متقن كمتبوعه الأول كما رأيت هنا فلذلك قال (والنجم) هو مالا ساقله (والشجر يسجدان) فذكر المزارع من نبات وشجر وقد رأيت حسابها فأفاد انهما يسجدان . واقد رأيت آثار السجود فيها من اطرادها على قانون واحد لا يتغير ولا يتبدل

ولما كانت النباتات على سطح الكرة الأرضية وهي مستديرة والسماء محيطة بها من جميع الجوانب ومرسلة أشعتها عليها وأمطارها ورياح جوها فكان الأرض ومزارعها كرة طرحت بصوالج فتلقفها هذه الحوادث الفلكية والجوية . ذكر السماء بعدها كما ذكر الشمس والقمر قبلها ليفيد الاحاطة المذكورة فقال (والسماء رفعتها) وهذه الرفعة حسية وعقلية أما الحسية فظاهرة وأما العقلية فقد علمتها من التأثيرات المختلفة بالحوادث المتناقضة فتارة تأتي يبرد وأخرى بحر ومرة ينجب وأخرى يجذب ولا ريب ان هذا يورث خللاً في النظام وعدم ترتيب في الأحكام فلا بد اذن من قانون تسير عليه هذه العوالم كسفينه في بحر لحي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحب ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها فلذلك أعقبه بقوله (ووضع الميزان) ولقد فهمت في الجداول السابقة في العالم العلوى والسفلى شيئاً من الميزان فقس

عليه كل أحوال هذا الكون فكله موزون بهذا بعينه ومن هنا نفهم قوله تعالى (والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون) فلقد شاهدت الميزان في الجداول السابقة (وجعلنا لكم فيها معاش ومن كسب له بوازيين وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم . وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بحازنين)

ولعلك فهمت أيضاً من هذه الجداول قوله تعالى (وهو الذي مدد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون . وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون)

فلقد رأيت أنه فضل القمح على الذرة في الجدول السابق بأن العناصر المقوية للعظام كالسلكا الذي هو مواد رملية وحمض الفوسفوريك الذي يدخل في تركيب عظامنا ومنه تصنع أعواد الكبريت فهاتان المادتان في القمح أكثر منهما في الذرة بخلاف الكبريت فهو في الذرة أكثر منه في القمح وهكذا بقية العناصر فباختلاف المقادير فضل هذا الطعام على ذلك الطعام .

قلنا أن الفسفور في القمح أكثر وهو داخل في تركيب العظام وهذا مشاهد في عظام الموتى فانك ترى أبخرة تتصاعد وكثيراً ما ترى بالليل ناراً ساطعة وما هي إلا تلك المادة الفسفورية التي ذكرناها في الأغذية وكنت في العظام قد تصاعدت فتلاقت بالمادة الحارة في الهواء وهي الأكسوجين فاتقد ناراً فظن العامة أنها كرامة لولى أو نحو ذلك وقد فهمت الحقيقة وقس على هذين النباتين غيرها

ثم إن هذه المواد تدخل في تركيب الأجسام النامية وتبقى إلى أمد معلوم ثم تنحل ويذروها الهواء وترجع ثانياً وتدخل تركيبها كما قال تعالى (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح)

وكان الله على كل شيء مُقتدراً (استدلال بالطبيعة على بقاء الأرواح واليه رمز
(كابد أنا أولَ خلقٍ نعيدهُ وعداً علينا إنا كُنَّا فاعلين) ، (منها خلقناكم وفيها نعيدكم
ومنها نخرجكم تارة أخرى) ولعلك تقول الآية واردة في خلقنا بعد الموت قلنا نعم وإنما
نحن ذكرناها على سبيل الإشارة والرمز أو نحو ذلك مما ذكر علماء البيان بل بقاء
العناصر الأرضية بعد الانحلال دليل على بقاء أرواحنا بعد الموت وكيف تبقى هذه العناصر
المعتمدة المظلمة الميتة وتهلك تلك الأرواح الطاهرة المنيرة الحية العالية بل كان الأجدر
بالقياس أن تهلك المادة وتبقى الأرواح فإذا بقي الأخس فالأشرف أولى بالبقاء لأن
الروح إذا كانت بسيطة كما هو اجماع الحكماء فكيف تفنى والفناء إنما هو تفريق
كما تفرق الجسم عن البدن المركب من أمرين روح وجسم ففناء الأرواح ليس
يقبله العقل بالكلية فافهم .

الفصل الثاني

في نقص معارف الإنسان

وعدد النبات على سطح الأرض وفوائدها أخرى

من كلام اللورد أوفيري بتصرف جميل

(وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً)

يقول :

كلنا رأينا الحقول وشاهدنا البساتين وهل من أحد لم يجر بخلده أو يهيجس بضميره
ما أنواع هذه المخلوقات النامية النباتية وما أعدادها وأظنك لو تقبّلت في حقلك لعددت
المئات وترى العلماء المحققين أحصوا ما عرفوه فشارف خمسمائة الألف ولا جرم أن مثل
هذا العدد يرجع إلى ما ظهر للنظر (وما يعلمُ جنودَ رَبِّكَ إلاَّ هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ
للْبَشَرِ) كلا والنباتات الناميات والتين والزيتون أن هناك ما لا يعلم العلماء في نفس بلادنا

(الانجليز) فلن يمر يوم الا وترى نبأ اكتشفه باحث أو شجرا عرفه عالم
إذا كان هذا حال العلم مع ما نشاهد كل يوم من أرض بلادنا فما ظنك بالأقطار
الشاسعة التي قل علمنا بمساحاتها فضلا عن أنواع مخلوقاتها . لا ريب أن ما حوته من
الناميات النباتية لم يصل لعلمنا منه إلا نصف أو يزيد . بل ما ظنك بالارض المجهولة
التي خفي على العلماء ما حوته من المبدعات وما أكنته من الحكم ومن الأنواع مما يلذ
الانسان فهمه . ويسعده درسه . قد خفي عنا تاريخه وما طرأ عليه من العبر والغير ، على
أن أكثر تلك الأنواع المعلومة خفيت علينا ترا كيبها ومنافعها وتاريخ حياتها
وفي المعارض النباتية من الأنواع ما لم يجدله النباتيون زمنالوصفه فضلا عن تسميته
انظر كيف عجز الانسان عن علم حقائق ما عده واكتشفه بل تمادي في تقصيره
وعجزه فلم يمكنه وصف البعض فضلا عن التسمية مع الجهل التام ببعض الأقطار
واكتشاف نحو النصف من أقطار أخرى

وإذا كان ذلك فيما حضر لدينا في زماننا فما ظنك بالنباتات المتحجرة إذ أنها حفظت
أنواعاً زادت النبات عدداً . فضلا عما أبادته عاديات الايام فلم تسلمه لنا يد الطبيعة على
يد رسولها الأمين وهو التحجير . على أن ما عرفناه من اختلاف الصور والتركيب
واللون له أسباب وعلل تقودنا إلى البحث عن الأسباب وكيف أنتجت هذه النتائج
والمقول منطوية والحقول منظورة فقد نطق بقوله تعالى (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا)

الغابات والحقول

(وفي الأرض آياتٌ لله وقنين) ؛ (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح
الأرض مخضرة ان الله لطيف خبير)

قال اللورد أوفيري

إذا امتد بصرك في الخلاء وشاهدت الأشجار الخضرة وفروعها النضرة وأوراقها
الزاهرة وأزهارها الباهرة صيفاً أو شتاء ليلاً أو نهاراً شعرت بالحياة التي ينادى بها وجدانك

و يطلبها ضميرك ، وتحس بالسعادة السماوية ، والحياة السرمدية (وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ)

الجمال في الحقول والأشجار يمنح الروح روحاً ووحياً ينجم عنها طمأنينة وسلام وسمو في المدارك ، وارتقاء في الفكر إذ سعة الفضاء ، وتباعد الأقطار ، تمد العقل باتساعها ، وتسعد التصور بامتدادها ، وما أنسب هذا القول بالآية المتقدمة إذ كيف يقول (وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ) وكيف يعقبه بالنفس يشير إلى تأثير الآفاق على الأنفس فتشكل النفوس بشكل الآفاق أم كيف أردفها بقوله (وفي السماء رزقكم) زيادة في التوسع فينظر الانسان في الأرض واتساعها فتوحى إلى نفسه سعتها . وتمنحه هبتها ، ثم ينظر إلى السماء فتنبجلى له صورها الواسعة الأقطار التي لانهاية لها وهذا غاية ما يصل إليه العارفون . ولئلا هذا فليعمل العاملون

ايتحرك النبات ويعقل

مترجمة بتصرف جميل

قال اللورد اوفبرى

إذا وقفت على شاطئ نهر جار وحوالك المزارع الخضرة وأزهارها النضرة ، هل يحظر بخلك . أو يقوم بفكرك . وأنت على جوادك ، أن للنبات حركة إرادية وأنه يعقل ويحس ويفهم كما تفهم . وأنه لمن أصح وأقوى البديهيات أن النبات لا يتحرك بالأرادة والحيوان يتحرك بها ولكنك ياسيدى لو قرأت حكمة مبدع الكون . ومزين الصور ، وملهم المخلوقات ، ومعطى كل مخلوق قسطه من العدل لرأيت حير العقول وبهر الأبصار حتى أصبح المطلع على الحكم والابداع يشك في تلك القضية وأضحى العلماء يقولون النبات يتحرك ويحس — تصور النبات والحيوان سلسلتين

أشبه بساقى مثلث يتلاقيان عند رأس الزاوية فترى بين الحيوانات والنباتات الصغرى تشابهاً عظيماً بحيث لا يتميزان في نظر الناظرين .

ولو شاهدت النباتات الكبرى البحرية لألفيتها تلد وتتكاثر وتثمر بأمر عجيب وفعل غريب مدهش يكاد ينبذه العقل ويدفعه ويرفضه الخيال لولا ماتصافر العلماء والمؤلفون على مارأوه من عجائبه . ذلك أن ذلك النبات يعوم على سطح الماء بما أوتى من شعر على ظهره مهتز دائماً مضطرب به يسير على سطح الماء وله نقطة حمراء كأنها عين صغيرة بها يبصر الأشياء حوله فإذا لقي مكاناً صالحاً أمه فالتصق به فهذا نبات بحرى أشبه الحيوان في حركته وإحساسه وهذا قوله تعالى (وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُؤْمِنِينَ) فانظر كيف يتحرك النبات وانظر كيف يقول تعالى (قَالَ رَبَّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى) فلم يقل أعطى كل حيوان بل عمم ولعمري أن القرآن يصدق هذه المذاهب ويميل لها والعجب أن يعبر بقوله كل شيء حتى يشمل النباتات إذ قوله هدى معناه إلا الإلهام والارشاد ولا يرشد إلا ماله إحساس فدخل النبات . وهل يأتي المستقبل بإحساس الجاد هذا مالا أعلمه وقد أثبتته الشيرازى من حكماء الاسلام وابن عربى من الصوفية

يقول دروين أن الأجزاء النامية من كل نبات لنى دوران ثابت دائم وترى النباتات المعروشة على السقائف كالعنب تميل ميلاً عظيماً وتتبع السبيل السهل سلوكه والحركة وإن لم تظهر فى رأى العين فإنما تعلم بالتأمل والتأني ولقد ذكرنا فيما مر فى الأزهار أن من الأشجار ما تطبق أوراقها وتضم أزهارها ليلاً ووقت المطر فياليت شعرى كيف أدركت معنى الليل فنامت وكيف فهمت المطر وأثره فضمت الأوراق

ومن النبات ما يسمى دندلين (Dandelion) تراه منكساً رءوس أزهاره مطرقاً خاشعاً كليل طرف زهرته فإذا فتحت زهرته رفع رأسه إلى أعلى يستقبل النسيم واللقاح والطل والندى ثم يوالى فتح أزهاره إذا انبلج عمود الصباح ويتفتح إذا تفتحت

السماء بالضياء وابتسمت عروس الصبح فاذا أغمض الليل جفنه ودع العالم بطرف خفي وأسبل عينيه ونام ولا يزال هكذا حتى إذا تم أخضابه أدلى برأسه وفارق الشروق والغروب ولا يزال هكذا حتى إذا تم مدة الحمل رفع رأسه ليحمد الله على انعامه ويشكره على آلائه وإذا نضجت حبوبه وآن قطافها أسلمها للرياح تسيرها كما يشاء مبدعها فتأمل كيف ترى تنكيساً وفتحاً واقفالاً في أوقات متناسبة . لعمري لن يدرك هذه إلا أولو الأبواب وهذه هي المعجزات . يقول الغزالي رحمه الله ليس العلم مأخوذاً من قلب العصا حية . كلا وإنما يقف الجاهل من العلم على قشره وإنما العجب كل العجب في هذه الحكم وغرائبها : لا تسر الجاهل هذه الغرائب إلا إذا تعاقبت على بصره دفعة واحدة وإذن تبهر بصره . وعليه فالجاهل بقصر نظره وإنما تبهره خوارق العادات فتحيره . لا يعرف حكمة الله إلا فيما يضرب له من الأمثال في خوارق العادات ولو فطن لعرف أن هذا العالم أجمع خارق للعادة عند الدراسين . فالجاهل يحصر قدرة الله وجماله في خرق العوائد على يد أناس يقولون عدداً وإذن لا يشاهد من الله إلا قدرته ويفغل عن حكمته أما المفكرون فهم يرون حكمته وقدرته . ومن عجب أن في أنهار أوربا ذلك النبات المسمى فليسنيريا سبيرال (*folisniria spiral*) تراه ذا زهرات ذكرانا وأخرى أناثا وترى للزهرات الأنثا ساقاً طويلة حلزونية ممتدة بها إلى سطح الماء : أما الزهرات الذكرا فانهن في أسفل النهر ليس هن سوق فاذا قرب أوان الخصب رأيت أمراً عجباً رأيت الزهرات الذكرا قد قطعت من أصولها وسارعت إلى وجه الماء وأخذت تطوف بين الزهرات الأنثا اللاتي تستقبلها عائمة على وجه الماء وترى الزهرات الذكرا يرحن ويندون بينهن طائفات طائفات (*سُبْحَانَهُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهٗ قَانِتُونَ*) فهذه قانتات مسبحات حامدات لله فاذا حمل الأنثا نزلن إلى أسفل النهر وذلك أن ينقبض ذلك الساق الحلزوني فتنزل تلك الزهرات الحاملات إلى قاع النهر فيتم هناك الأخصاب وبعض النبات تدفن بذورها

في الأرض . وترى السنط الحساس إذا لامسته تضامت أوراقه ومن النبات ما يرى متحركاً دائراً على الدوام

ولقد ذكرنا أن نباتاً بحرياً يعوم على وجه الماء بالشعرات المهتزات على أعلاه وترى بعض النبات المسكروسكوبي يقضى أغلب حياته بهذه الحركة الاختيارية ميكسوميتس وأنه يشبه الربى أو الفالودج يعيش تحت الأوراق البالية المتساقطة من الأشجار وبين طبقات التراب الندى وفي كل موضع رطب وأنه لا يشبه بالحيوان في جميع خصاله تراه لا يفتأ يتحرك طلباً للرطوبة أو الحرارة أو الضوء وغير ذلك ولو أنك وضعت مادة رطبة على ما نشأ من هذا النبات مرتفعاً من الجسم لرأيت أجزاءه أجمع تحركت ورأيت تلك المادة العاملة أسرع إلى ذلك الجسم في سيرها وتتحرك حول نفسها ولو أنك صببت عليه كربونات البوتاسا لرأيت هذا الجسم اتخذ مكاناً قصياً وابتعد وظهر منه النفور ومع ذلك لو أنك أدنيت منه محلول السكر أو ما يشبهه مما يغذيه لرأيت هذا النبات الهلامي اتجه نحوه وتغيرت أوضاع هيكله وهكذا يتعاطى غذاءه ويدور دورة رطوبة أو دوائية أو حمائية على غذائه ويمتص بجلده وتراه إذا أقبل الشتاء دفن هذا النبات نفسه تحت تلك الرطوبة

ومنها نوع ينبت في الحفر العميقة تراه إذا أقبل الشتاء تدلى في الأرض أقداماً معدودة فإذا أقبل أوان اثماره رأيت أمراً عجيباً ألفتته رجع يبحث عن النور بعد أن أعرض عنه وعشق الظلمة وطلع إلى الأرض ورمى بذوره على ظاهرها فانظر كيف كان النبات يعقل ويحس وكيف ينفر من البوتاسا والكربونات وكيف يميل إلى السكر ويلتف حول غذائه بل كيف يدفن نفسه تحت الثرى عند البرودة ويظهر على الأرض عند الإثمار اليس هذا هو قوله تعالى (وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ وَأَنْبَتْنَاهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ) ، وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ) ، (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ)

فتأمل وافهم كيف لا ينزل شيئاً الا بقدر معلوم وحكم مفهوم وهذا النبات لما

علم أنه يضره برد الشتاء اعطاه إدراكا مقدار حاجته فكان كل علمه على مقدار حاجته وهذا معنى (وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ)

الفصل الثالث

في حديثي مع فلاح مصري في أمر النبات

خرجت يوم السبت (٢٩) من شهر أغسطس سنة ١٩٢٥ لارواح النفس من عناء الأعمال في الحقول واستنشاق النسيمات في الخلوات لا القهوة والمنتديات فأسامر الزهر والشجر والزرع والتمر والحب والورق وأمتعها بالحكمة واجتلاء بدائع النظام في مناظر الفاكهة (والنخل ذاتُ الكلام) (والحب ذى العصف والريحان) قال الشاعر :

والريحُ تُبَثُّ بِالْعُصُونِ وَقَدْ جَرَى ذَهَبُ الْأَصِيلِ عَلَى لَحِينِ الْمَاءِ .

وذلك في المزارع النائية عن بلدة (الجيزة) وبينما أنا أمشي في طرقات المزارع وأتأمل ذلك الجمال الرائع اذ قابلني (فلاح) يسقى الذرة وهو يجمع الكلا من تحته لجاموسه فأخذ يقول أظن أنك جئت هنا للنزهة واستنشاق الهواء منفرداً عن الجامع والمجالس ؟ قلت نعم وكان في يدي إذ ذاك زهرة قطن أخذتها من حقله فسألني قائلاً ما الذي تستفيد من هذه الزهرة إذ ليس لها رائحة ذكية ولا منافع مادية ؟ فقلت انظر معي تعال هنا لأريك عجائبها وأعلمك بدائعها . قال وأى عجب فيها ونحن نشاهدها كل حين ولا نرى فيها عجباً . فقلت انظر أليس ترى هنا ثلاث وريقات محيطات بالزهرة أتدري ما فائدتها . قال هي هكذا ربنا يعلم أمرها . فقلت هذه تحافظ على دثار هذه العروس الجميلة وملابسها السندسية الصفراء المزدانة بلون الشفق وفي داخلها نقط حمر وقطرات العسل الخلو قد أعدت للحشرات تجتنيه

فقال عروس وملابسها . أما الملابس فهي حق أنها بهجة جميلة لأنني أرى هذه

الوريات الصفراء كذلك ولكن أين العروس ؟ فقلت أنظر هنا داخل الأثواب البيض
 المصفرة . أنظر هذه الانبوبة من داخلها ألت ترى أنها حاملة حملا خفيفا في جوفها
 وهي جورة القطن . قال أرى ذلك . قلت هذا هو الرحم وهذا هو الجنين وهذه الانبوبة
 هي الأنثى وهذه الأوعية الحاملات حولها حبوبا صفرا هي الذكور وتلك الحبوب الدقيقة
 هي الطلع الذي هو كطلع النخل وهذا الطلع به يكون الالتاح وكل نبات هكذا فيه
 ذكر وأنثى كهذه الجاموسة وكالإنسان . إذ ذاك رأيت الرجل أخذ يظهر الدهش
 والتعجب ويقول عشنا ولم ندر شيئا في الدنيا زدني زدني سبحانه الله أهذا كله في العلم
 الله يعمر الأزهر ويجعله أهلا بالعلماء الله الله إن العلم حسن جدا قل لي قل لي وهل
 هذا في القرآن ياسيدنا . قلت له نعم قال الله تعالى (وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ
 لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) قال : (هيه) لعلكم تذكرون ونحن لا نتذكر من هنا جاء الدل
 للناس من هنا حاقت بهم المصائب هم لا يعرفون ربهم لا يعرفون شيئا من أمور دينهم
 ودينام . قال (الفلاح) أنت قلت لي ههنا عسل وهل هذا العسل للعروس تأكله
 والله أن العروس في ثيابها كأجل ثياب العرائس . فقلت قد قلت لك أن العسل أعد
 للحشرات مثل النحل . فقال ولماذا ؟ قلت أن الحشرات اذا نظرت لون الزهرة فانه
 يجلبها فتطير اليها لحسنها ثم اذا دخلتها أكلت هذا العسل وعند دخولها وخروجها تحمل
 أجنتها من هذا الطلع الأصفر ونحوه فيقع منها على الأنثى التي رأيتها بعض الطلع
 فيحصل اللقاح والنحلة لا علم لها بما تحمله وانما هي مسخرة وقد أخذت أجرتها وهو
 العسل والمناظر البديعة في الزهرات وتارة تكون الرياح هي الملقحات وحدها ولون الزهر
 معد لأجل الحشرات الطافات على الزهرات وهي مغنيات كما تسمع النساء يغنين
 للعرائس أيام الزفاف . فقال يا سبحانه الله شيء عجيب أنا الآن أريد أن أسألك عن
 كل شيء . فقلت له أجيبك على ما أعرفه . فقال أنت تعرف كل شيء . فقلت قليلا
 قال الله تعالى (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ) . قال (يا سيدنا) ماذا تقول في الذرة
 قلت هو كالقطن . قال فأين مادة اللقاح ؟ قلت في أعلى العود ألت تراه أشبه بشماريح

طلع النخل . قال بلى . وأخذ يضرب كففا على كف وقال هو هكذا . قلت نعم هكذا قال فأين الرحم في الأثنى ؟ قلت أنظر الى هذه الأنايب الشعرية التي هي سلوك حريرية ان فيها فتحات لا تراها والطلع ينزل من أعلى العود ويمر داخلها فتحمل بحبة واحدة فكل حبة على المطر (الكوز) من الذرة جاءت من لقح ذكر وحمل أثنى واذن يكون المطر الواحد عبارة عن قرية فيها بيوت كثيرة ومواليد بعدد الحبات المنتظمت على (القولحة) . قال هذا حق والله انى رأيت رجال الحكومة في مصلحة البساتين الأميرية يجعلون الذرة في خطوط ويأتون الى الخط الذي يأتى الريح من جهته فيتركونه ويأتون الى الخط الذي تحت الريح فيقطعون أعلاه ليحوى اللقح من الأول الى الثانى وهما من نوعين من الذرة فيحصل صنف جديد من الذرة بأشكال جديدة فقلت له أحسنت أنت فهمته عملا ولكنك لم تكن قد اطلعت على سره . قال نعم .

ثم قال الفلاح أنظر الى جوزات القطن فهامى ذه قد فتحت وظهر قطعها . قلت وماذا تسأل عنه ؟ قال أسأل عن السبب فى أن القطن هكذا ظاهر واضح فأما الذرة فانها اذا نضج حبها وأينع فانه لا يزال داخل الغلاف ونحن نرقعه عنه بأيدينا فأما القطن فانه يظهر للناس بخارجا ليس له وقاية تقيه ولا حافظ يحفظه فالزهرة قد ذبلت ووقعت والجوزة انحلت عنه وأصبح بارزا تراه العيون ، وأما حب الذرة فانه يبقى محفوظا فى سنابله مخبوءا فى أما كنه . فقلت له ليس القطن ظاهرا كما تقول بل هو خاف مخبوء ، فكما اختبأت حبات الذرة محافظة عليها هكذا اختبأ القطن . فقال ما اختبأ هاهو ذا تراه بعينك . قلت أرى الشعر وهو وقاية للبذرة فالمقصود الأعظم هو البذرة وأما الشعر فهو وقاية لها كغلاف الذرة فهناك غلاف حافظ للحب وهنا شعر القطن يحفظ البذرة التى تنبت فتصير قطناً آخر فيما بعد والغلاف فى الذرة والشعر فى القطن فى الحفظ كزلال البيضة الحافظ لمحها (صفارها) . فقال لا تدخلنى فى مسائل عويصة ولا تطوح بى بعيداً بل نبقى هنا فى الغيط ثم قال انك فتحت لى بابا عظيما وأنا سعيد جداً لهذا الكلام

ان العلم حسن وعلماء الأزهر متمتعون بنور العلم فرحون به . فقلت له هذا العلم يقلّ من يدرسه في مصر الآن . فقال يقلّ ومن أين تعرفه أنت ؟ فقلت : أنا من القليل الذين يدرسون . قال ألم يكن هذا في الدرس وأنت قلت انه في القرآن . قلت بلى ولكن الاهمال عظيم جداً وليس كل عالم بالدين دارساً لهذه العلوم الجميلة

ثم جاء ابنه ومعه ما كان مجموعاً من (الكلاً) ليقدمه للجاموسة . فقال أسألك يا سيدنا عن هذا أيضاً . قلت سل . قال ربنا جعل الحشيش للبهائم وجعل لنا الحب لأننا أفضل من البهائم والبهائم تأكله وهي قوية الجسم ومرضها اذا اعتنينا بها قليل ولكن الحب نطحنه ونخبزه ونخضر نطبخها ومع ذلك نتعب من الأكل ونحس ببعض الأوجاع والمغص ونستعمل الأدوية فلماذا ؟ قلت ان الله لما أعطاك العقل وطبخت وخبزت أعطاك أيضاً معدة واحدة فقط أما هذه الجاموسة وأمثالها من الحيوانات التي تأكل الحشيش فانها لها أربع معدات اثنتان تجملان مخزناً للطعام حين تتعاطاه الجاموسة يحفظ فيهما أحدهما تسمى (الكرش) والثانية (القلنسوة) واثنتان لهضم الطعام بعد رجوعه من الأوليين لفم الحيوان فالحيوان يسترجع ما خزنه في الأوليين ليبتهره وبعد مضغه يدخله في الآخرين ليتم هضمه فيهما وهاتان الاثنتان أحدهما يسمونها (الأنفة) والثانية يسمونها (أم التلافيف) فالعدل قام هنا وظهر

فلما كان الحيوان لا يقدر على طحن ولا عجن ولا خبز ولا طبخ أعطى أربع معدات



(شكل ١٣) رسم آلات الهضم للأنعام

تخبز وتطبخ له وكانت له الحرية التامة أن يخزن في اثنتين ويمضغه بعد ذلك ثم يرجعه
للاثنتين الآخرين . وأما الانسان فكفاه ما هو فيه من الأعمال الخارجية الكثيرة
ولم يمنح إلا معدة واحدة . وهنا تمت المسائل العلمية بيننا وابتدأ (الفلاح) يسأل
أسئلة عامة في أحوال الأمة المصرية

فقال أأقل لي ولماذا كان لهذه الجاموسة في بطنها مخزنان ولماذا لم يكن الطعام
متوجها إلى ماسمونه (الأنفحة وأم التلايف) مرة واحدة . فقلت هذان المخزنان
جعلتا لأجل هذه الحيوانات في الجبال إذ تكون الغزاة خائفة من الأسد والنمر ونحوهما
فاذا صادفت عشباً أخذت منه بسرعة ما تحتاجه وخزنته ثم أسرعته إلى كناسها واستراحت
وأخذت ترجعه ثانية إلى فمها وهكذا وتجتر الطعام وترجعه للهضم فهذان المخزنان خلقا
للخوف من السباع الضارية . فقال ولماذا ترى ربنا سلط السباع على هذه الحيوانات؟
فقلت لقد أطلت الأسئلة . فقال لأزيد على هذا السؤال . فقلت ان السباع جعلت
لئلا كل لحم هذا الحيوان بدل أن يعفن في الجو فيملاؤه بالكروباب الضارة فيكون
الوباء والكوليرا ويموت الناس والحيوان فالآساد نعمة لا نقمة . وأيضاً اذا مات هذا
الحيوان ولا منفعة للحمه يكون عشباً فجعل لحمه للآساد والنمر والذئاب لتعيش به أفلست
ترى أن الناس حين يموتون يعيش الدود في لحومهم ويتغذى بها ذلك لأنه يراد أن
يكون لكل شيء منفعة . فقال الرجل والله ان هذا كلام حسن وجميل لأنه يفتح
الآعين ويشرح الصدور وانى كنت قد فرحت بك ولكن لما قلت لي ان الذين يعرفون
الدين يجهلون هذا اغتممت غمماً شديداً واذا كان هذا قولاً جميلاً فلماذا لا يعرفه الناس
كافة وكيف يعرفون ربهم وبماذا يعرفون الله إذن . فقلت عندنا علم يسمى علم التوحيد .
فقال هذا هو التوحيد . التوحيد في معرفة فعل الله الذي أريته لي الآن . ثم قال
وكيف يفكرون في التوحيد . قلت يقولون الله واحد وهو قادر وعالم وحى ومريد
ويقولون ان الله لو لم يكن واحداً وكان له شريك لحصل هناك نزاع بينهما والغالب
منهما يكون إلهاً قادراً فاذن لا يكون الا إله واحد . قال ولماذا يذهبون بعيداً الله واحد

وهو ظاهر في فعله جعل الذكور والاناث فينا وفي البهائم وفي شجر القطن والذرة فلو كان الخالق غيره لكان العمل مختلفا فالعمل هنا يجري بطريقة واحدة منظمة وأما هذا الكلام فالإقتصار عليه تقصير في العلم وفي الدين وضياع للعقول وغرور كبير . ثم قال يظهر لي ان الناس أغمضوا عيونهم ولم يعلموا . قل لي قل لي هل واحد في الدنيا يعرف هذه الأشياء معرفة عامة . قلت هم القرنجة . قال تغني الخواجات . قلت نعم هم يدرسون هذا ويعرفونه قال ولكن أنت تقول ان ديننا يطلبه . قلت نعم ولكن الغفلة استحكمت فقال أنا فهمت الآن . قلت ماذا فهمت . قال فهمت أننا في الفلاحين مثلكم تماما فالفلاح منا يرى هؤلاء الأجانب يزرعون زرعاً منظماً وينظمون الطرق ويأتون بأشجار غريبة ونحن ننظر لهم ولا نفكر فيما يعملون ويقول الرجل منا هذا يحتاج لنقود كثيرة وإذا صرفنا فنحن لسنا عن يقين من المكسب وهؤلاء أغنياء ونحن فقراء ويقول هذا ما وجدنا عليه آباءنا فالابن يتبع أباه وهؤلاء يرتقون في بلادنا ويملكون أرضنا ونحن نحن عندهم مأجورين عاملين لا غير فأظن انكم أنتم مثلنا يخاف كل واحد منكم على مركزه ووظيفته ويقول لو أني جعلت النظام على الطريقة النافعة لكرهني الناس ولقاموا على قومة واحدة فيبقى تعليمكم عتياً وتعلمون الناس أفاطاً يحفظها الابن عن الأب والتلميذ عن الأستاذ وهكذا طبقاً عن طبق وربنا لا يرضى عن الناس قط إذا فعلوا هذا فالأجانب ملكوا أرضنا بجهلنا وأنتم أيضاً بعلمكم المعوج ضيعتم البلاد والعباد والله يسألني عما أقول أن احتلال البلاد وضياعها ناشئ من جهل القاعين بالأمر من رجال الدين وغيرهم . نحن نستحق المدافع والطائرات والموت مادام كل واحد منا يقول مالى والمسلمين فنحن وأنتم في هذه المسؤولية سواء بسواء

أنظر يا سيدنا ان مصلحة (البساتين) كانت تعمل كل يوم تجارب وهذه التجارب تأتي بأنواع جديدة ونظامهم أحسن من نظام الأجانب ثم ان الفلاحين لا يقلدون هذه المصلحة وإذا كان للفقراء عذر فلماذا نرى الاغنياء عنها ساهين لا هين فانا أظن انكم مثلنا تماماً أهملنا وأهملتم ضيعنا أرضنا وضيعتم أنتم عقولنا

ولكن ياسيدنا أنت تقول ان علماء الدين لا يقرؤن هذا . فقلت كانوا يقرؤنه أيام المغفور لهم (اسماعيل باشا وتوفيق باشا) وأوائل الاحتلال وبعد ذلك حذف من البلاد بالتدريج . قال حذف من المدارس . قلت نعم . قال لأجل أن تغفل الأعين جميعا . أعين رجال الدين ورجال الحكومة ولكن كيف ياسيدنا تقول هذا القول مع انى أخبرتك أن رجال البساتين يقطعون أعلى الذرة ليعملوا تجارب وهذا يدل على أنهم يعرفون مسألة اللقح فلا بد أنهم يعرفون فكيف تقول أنهم لا يعرفون . فقلت هؤلاء هم علماء هذا الفن وطبعاً يعرفونه أحسن منى أنا ومن غيرى ولكن هذه معرفة لأجل الصناعة لا أنها لأجل الاستنتاج العقلى منها فيما أتكلم معك فيه وكان يجب أن يكون جميع رجال الدين وتلاميذ المدارس عارفين هذه الامور معرفة تامة لترقية عقولهم .

فأما رجال البساتين ومصلحتها فهم أشبه بالأطباء يبحثون عن الزراعة كما يبحث أولئك عن المرض فهذا بحث خاص . قال الآن فهمت وصدقت قولك يعنى أن هذا العلم ليس معما فى المدارس قلت نعم وسيعم من الآن . قال ومن أين جاء لك . قلت أنهم تنبهوا لهذه الامور الآن . قال تنبهوا هذا لا يكفى ياسيدنا أنت حرام عليك ان لم تقل لهم هذا القول وإياك أن تكون خائفا كالذين يخافون وإن هذا الكلام الذى قلته ينفع كثيراً . وصار يقول سألتك بالله أن تقول لهم هذا القول ولو كنت بذلك لكنت ملأت المجالس بهذا وكتبت فى الجرائد . فقلت له سأكتب كل ما جرى بينى وبينك اليوم فى الجرائد السيارة ومتى كتب أحضر إليك هنا وتسمعه . قال وهل تعاهدنى على ذلك . قلت أعاهدك . قال الآن انشرح صدرى وهذا العمل يرقى الناس ترقية عامة .

انتهى حديث (الفلاح) ولقد أحببت أن أكتبه لأن العامة أقرب الى الفطرة فوجدانهم وشعورهم مقتبسان من النور الالهى (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ) . انقضت مدة طويلة وحضر الفلاح الى منزلى وأخذ يتردد عليه وقال لى : هل نشرت . كما عاهدتني فقلت له : إى وربى انه لحق فقال أين نشرت ؟ قلت فى جريدة

كوكب الشرق وأريته عددا منها وصرت أقرأ له فيها ما دار بيني وبينه فأخذ يقول الله الله ان كلامك هنا أفصح من كلامك معي أنت كنت تكلمني باللغة العامية فقلت اذا كان هذا يسرك فهاهو ذا كتابي الجواهر في تفسير القرآن أنظر فهذه المسألة قد ذكرتها فيه في آية (اُنْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ) فرأيت الرجل فرح أشد الفرح وقال : والله لقد عاهدت وصدقت أنت مبارك فقلت اذن أطلعك على ماهو أعجب من ذلك أنظر هنا في سورة (حم السجدة) وأريته صور الأشجار الجميلة المرسومة فيها عند آية (الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِن طِينٍ) فأخذ ينظر صور الأشجار الجميلة والزروع البديعة ذوات الجمال الباهر والحسن الظاهر

فمنها ما هو بهيئة الرمح ومنها ماهو بهيئة الحلية التي تعجز رجال الفن ومنها ماهو بهيئة قضبان الحديد المسورات للحدائق ومنها ما هو بهيئة مقبض سيف أو حلية تنقش على الأسلحة ومنها ما هو بهيئة شعبة من شعاب الماء ومنها ما هو بهيئة حلية صليب الأسقف أو بهيئة الراقصات وهذا كله في الحسن الظاهري

ثم أخذت أريه المحاسن الباطنة وذلك بصور من جذع النخلة مجزأة مشروحا باطنها بحيث يظهر للعين في التصوير وكيف كان قلب النخلة يخالف داخل جميع الأشجار ، وكيف كانت جميع الأشجار لها دوائر تعدادها على مقدار تعداد منتهى عمرها ومدة نموها ، أما النخل فانه ليست فيه هذه الخاصية وكيف كانت النخلة مختصة بحال يخالف جميع الأشجار والبخاري قبل ألف سنة قد ذكرها في حديثه صلى الله عليه وسلم مع أصحابه والعلم الحديث أظهر ذلك السر حتى أنهم في فرنسا لما أحبوا دراسة النخلة أخذوا صورتها من نخل الهرم وهو المرسوم في نفس التفسير أمامك

فأخذ يضرب كفا على كف ويقول : عجب والله حقيقة هذه النخلة المرسومة تشبه النخل الذي عند الهرم وهو قريب من حقلنا الذي قابلتني فيه الله يفتح عليك والله ان الدنيا عامرة وجميع الناس عيونها مفتحة ياسيدنا أهذا كله في تفسير القرآن ؟ قلت نعم في تفسير القرآن فقال : والله نحن كنا نضحك على الفقهاء حينما كنا نسمعهم يقولون

القرآن فيه بيان كل شيء فقلت : هذا هو تفسيره فقال هل بقي شيء في هذا المقام في كتابك ؟ فقلت : بقي كثير فقال : أرجوك أن تريني لأفرح وأبشر الفلاحين في بلدنا فاني أخبرتهم بمحدثك وفرحوا أشد الفرح فقلت : أنظر وأريته صور بعض النباتات المرسومة في سورة الحجر عند آية (وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ) وقلت : أليست هذه صورة شجرة التين فقال : إي وربى فقلت : أنظر ورقاتها كيف أصبحت موضوعة بحساب وكيف كانت كل خمس ورقات أمامك صنعت دائرة تامة منتظمة والمسافة بين كل ورقتين خمس محيط الدائرة كما ترى فأخذ الرجل يقيس ما بين الورقات ويقول : هذا والله عجيب ! إذن ربنا لما خلقها كان يقيس هذه المسافات ولا يجعل فيها خطأ مطلقاً ثم ما هذا الحساب المذكور هنا ؟ فقلت : ان أوراق هذه الشجرة والأشجار الأخرى مثل شجرة (أرض شوكة) أى الخرشوف التى يسميها الفرنجة (أرتشوك) وهكذا أشجار أخرى فهذه جميعها لأوراقها دوائر تخالف هذه الدائرة ولكن جميع الدوائر بينها مناسبات ولها حساب متدخل معقد عجيب يشبه الألفاظ حتى أن الانسان متى عرف القاعدة أمكنه أن يعرف نظام أوراق الأشجار كلها الشدة المناسبة بينها فقال : هل العلم وصل إلى هذا الحد ؟ فقلت : وأكثر من ذلك فقال : أرني جزاك الله خيراً فأريته تفسير سورة يس وفيها صور الأوراق وما لها من فتحات وما فيها من حجرات وكل ورقة لها من الحجرات ما يبلغ الآلاف المولفة منها في نفس الورقة وأبوابها مفتحات ظاهرات واضحات ولها سقوف شفافة وفيها سائل فيه مادة خضراء تساعد ضوء الشمس وتتحد معه على اجتذاب المادة الفحمية التى طيرها الله فى الهواء ومزجها به وبهذه المادة يقوى النبات ويتغذى وإذا لم تكن الشمس لم تتم هذه التغذية وهذه الشمس صنعها الله وجعلها كبيرة جداً وحارة شديدة الحرارة ولكنه للطفه جعل أرضنا بعيدة عنها فتنازل منفعتها ولا تؤذى بشدة حرارتها هنالك قال الرجل أن العلم بهيئة السحر .

الورقة التى تدوسها بهائمنا ويأكلها الخروف والنعجة والدجاجة والاوزة ونحن نحقرها فيها هذه العلوم كلها آه يا ليتنى كنت متعلماً ويا ليت عندي مالا يكفى ذريتي

حتى أقطع للجلوس معك فتفهمنى هذه العجائب لأنك رجل طيب ولست متكبراً على الجهلاء مثلى وأنا الآن ذاهب الى حقلى لأن البهائم فى الغيط وأولادى لا يعتنون بالبهائم كعنايتى ولكن قبل أن أقوم أسألك هل هذا الكلام المكتوب فى كتابك خاص بالمصريين فقلت : كلا فقال : (هيه) هل يصل الى غيرهم؟ فقلت : نعم فقال : الى الشام قلت نعم وبلاد الترك وبلاد العجم وبلاد (جاوه) فقال جاوه هؤلاء الذين رأيتهم سنة أن حججت فقلت نعم هم فقال : يقرؤن هذا الكلام فقلت نعم فقال وأنا أكون معك فى مصر ولا أسمع بك ولا به فقلت الذى يسمع بى وبه هم المتعلمون وأما أنت فانك فى الحقل فضحك وقال (هيه) زدنى وهل هؤلاء الجاويون قدر مديرية الجيزة فقلت انهم هم ومن حولهم من المسلمين يبلغون مقدار الأمة المصرية أربع مرات قال ويقرؤن هذا الكلام فقلت نعم والذى يقرأ المتعلم فقال وهل هناك بلاد غيرهم تقرأه فقلت بلاد المغرب فقال هؤلاء المغاربة فقلت نعم فقال الذين يلبسون البرانس فقلت نعم وهكنا بلاد العراق واليمن وغيرهما فقال الله الله فقلت والسودانيون كذلك والمسلمون فى بلاد الصين فقال الصين بعيدة جدا ياسيدنا فقلت له قد حضر من بلادهم شاب ذكى اسمه منصور خان أمين وأخبرنى بأنهم فى بلاد هناك اسمها (التركستان الشرقية) تابعة لبلاد الصين يقرءون هذا الكلام أيضا وأنهم اطلعوا على كثير من هذه الآراء وأنه هو جاء من تلك البلاد وهم يحملوه أمانة وهى أنه يبلغنى سلامهم فقال الله يعمرك يا مصر

فقلت وقد أخبرنى هذا الشاب أن ما قرأوه فى كتبى جعل عند الشبان فكرة أخرجت أذكياهم فى طلب العلم وحبه وقد خرجت ثلاث بعثات علمية لطلب العلم بعد أن اطلعوا على هذه الكتب فقال ولكن أنت قلت تركستان فأنا اتخيل من الكرامة أنهم ترك فقلت نعم هم ترك ولكنهم أقرب الى بلاد الصين وأهل الصين ادخلوهم فى حكمهم فقال هيه وظلموهم فقلت نعم وظلموهم فقال يظهر لى أن هؤلاء متى عرفوا هذه الاشياء الجميلة والعلوم يخرجون من الدل فقلت نعم أنا لا أشك فى ذلك فقال

أنا أسألك بالله أن تكتب حديثي معك للناس في مصر لأن الحديث السابق أنتج نتائج حسنة لما نشرته .

فأذا نشرت هذا الحديث فإنه ينفع المصريين جدا وأنا أحب أن العلم ينتشر في بلادنا كما ينتشر في سواها أن هذا الكلام الذي تقوله ينفع الجاهل والعالم على حد سواء ولو كان المتعلمون الذين يعرفون هذا القول مسرورين من هذه العلوم لشرحوا بعضها للعوام مثلى ولكن يظهر لي أن عقول بعض المتعلمين مقفلة والذي عقله غير مقفل شغلته الوظائف والدنيا فأصبح كأنه لم يتعلم والقليل هم الذين يفكرون منهم في أمثال ما تقول .

فقلت أعاهدك أني أنشر هذا الحديث للناس في أول كتاب يطبع ليطلع الناس عليه في مصر وغيرها فقال شكراً لله ولك السلام عليكم الى الملتقى إن شاء الله فقلت عليك السلام ورحمة الله

انتهت محادثتي الثانية مع الفلاح الذكي يوم الجمعة ٢٦ يونيو سنة ١٩٣١ وكتبت

قبيل الفجر يوم ٢٧ يونيو سنة ١٩٣١

الباب الخامس

في علم الحيوان

وفيه مقدمة وخمسة فصول :

المقدمة - في درس عام في تقسيم الحيوان عامة

الفصل الأول - في الكلام على نظام الحيوان وعلاقته بالنبات من جهة وبالقرآن من جهة أخرى

الفصل الثاني - في الجمهوريات في الحيوان

الفصل الثالث - في الكلام على حيوان يعيش ملايين السنين

الفصل الرابع - في عجائب الألوان في الحيوان

الفصل الخامس - في الكلام على العقد الثمين في آراء العرب ومذهب

داروين

المقدمة

في درس عام في تقسيم الحيوان عامة

وذلك في الكلام على تشريح الذبابة من كتابنا الجواهر في تفسير القرآن عند آية (إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا نَخ) وهذا نصه :

هذا هو الدرس الذي يلقيه المعلمون في العالم الغربي على تلاميذهم وبعض المسلمين لاهون ساهون ناثمون لا يعلمون أن ديننا يأمرنا بدرس هذه المواليد من كتاب (العلوم الطبيعية) تأليف (بول بيرت) المطبوع سنة ١٨٩٠ م . يشرع الاستاذ

معلما لتلاميذه صفحة (٩) من الكتاب وما بعدها . خاطب الأستاذ تلميذا قائلا له « أى فرق بين الذبابة والحصان . فأجابه الحصان كبير والذبابة صغيرة . فقال الأستاذ حسن . ولكن ليس المدار على الحجم صفرا وكبرا فقد نرى الحصان صغيرا والذباب كبيرا عند الاستعانة بالنماذج المكبرة وتسلطها على الذباب فيرى أنه أكبر من الحصان وأمثاله . فأجاب تلميذ آخر . كلا . إن الذبابة لها جناحان والحصان لا جناح له . فقال الأستاذ لو قطع الجناحان والذبابة حية أفليس الحصان إذن كالذبابة . فما الفرق . فقال تلميذ آخر . كلا . بل الذباب لا شعر له والحصان له شعر . فقال الأستاذ أوافق أنت بما تقول . أمسك بالذبابة وانظر إليها بهذه الزجاجية . انظر الشعر عليها فلها شعر كما للحصان . فقال آخر إن الذبابة لها ستة أرجل والحصان له أربعة أرجل . فقال الأستاذ هذه ملاحظة مهمة ولكن أليس يجوز أن تكون الذبابة قد فقدت رجلين كما فقدت الجناحين . فأى فرق إذن بينهما وبين الحصان . حينئذ جاء دور الأستاذ فقال اضغطوا على الذبابة فاضغطوا عليها فلم يبق إلا الجلد والأرجل والجناحان . قال لهم . فأما الحصان فإنه لو وقع البيت عليه فهشم فانا نجد أن الحصان فيه مواد باقية صلبة فأما الذبابة فلم نجد من هذه شيئا فيها وهذه المواد الصلبة هى العظام إذن يكون الحصان وأمثاله حيوانات ذات عظام ولها هيكل عظمى يحفظ البدن ولها مادة ملونة وهو الدم ذلك لأن الذبابة لم نجد فيها تلك المادة الملونة فتكون النتيجة هكذا إما أن تكون الحيوانات فقيرة لها هيكل عظمى وأما أن لا تكون كذلك . فذات العظام يلاحظ أن لها دما والى لا عظام لها لادم لها » ومن هذا الدرس السهل قسم جميع الحيوانات أى من تشريح الذبابة وتشريح الحصان . واستمر الأستاذ يلقى الدروس حتى شرح الحيوانات كلها . ولأخلص لك الكتاب كله فى موجز من اللفظ لترى عجائب القرآن — ماذا أراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا — من الجاهلين الذين لا استعداد عندهم — ويهذى به كثيرا — من العلماء المفكرين

اقسام الحيوان اربعة

(القسم الأول . الحيوانات الفقرية) وعى التى ذكرناها الآن وهذه تشمل
 (١) الانسان (٢) وذوات الأربع (٣) والطيور (٤) والزواحف (٥) والسماك
 فهذه الخمس هى اقسام الحيوان الذى اشتمل على هيكل عظمى وفقرات ودم .
 فالانسان والبهائم من الخيل والبغال والحمير والأنعام من الابل والبقر والغنم والسباع
 كالدب والكلب والطيور الجارحة وغير الجارحة والزواحف كالحيات والعقارب
 والسماك فى البحر وهو معروف . كل هذه لها عظام ودم ولكل نوع من هذه أصناف
 كثيرة (القسم الثانى . الحيوانات الحلقية) أى التى تتركب جسمها من حلقات مجتمعات
 منضمت يكون منها جسم هذا الحيوان وهذا القسم أنواع وهى

(١) الحشرات (٢) والعناكب (٣) وذوات الأرجل الكثير

(٤) والحيوانات القشرية (٥) والدود

أما الحشرات فهى ما كان لها ستة أرجل ولها إما جناحان كالذباب الذى هو أصل
 الدرس وإما أربعة أجنحة كأبى دقيق الذى يعيش فى بلادنا المصرية ويكون منه الدود
 الذى يفسد شجر القطن وهذا سلبنا قطننا فلذلك يدرسه الناس الآن فى مصر بعض
 الدراسة . وهناك حشرات أخرى لها أربعة أجنحة تسمى باللسان الافرنجى (درا كوفلاى)
 وأما العناكب جمع عنكبوت فهى ماله ثمانية أرجل ضعف مالدوات الأربع وأما
 ذوات الأرجل الكثيرة فهى ما قد تصل أرجلها الى عشرين زوجا من كل ناحية
 عشرون رجلا ويقال لها فى بلادنا المصرية (أم أربعة وأربعين) وأما الحيوانات القشرية
 فهى تشمل قراض الخشب وحيوانا يسمى (كرايفش) باللسان الافرنجى وهو متركب
 من حلقات مدبجة قوية . وأما الدود فهو يشمل دود الأرض والعلق وهذان رؤسهما
 متصلة بجسمهما وليس لهما أرجل وليس جلدهما صلبا قشريا كجلد (كرايفش) (القسم
 الثالث) فى الحيوانات الهلامية التى جسمها أشبه بالفلودج الذى هو نوع من الأطعمة
 ومن هذا حيوان يسمى (القوقعة) وهذا الحيوان جسمه يكون من هذا الهلام . وقد

أعطى وقاية من المحار تقيّة العاديات والمهلّكات وهى معدة كمنزل تسكن فيه . ومنه حيوان يسمى باللسان الافرنجى (ميوزل) وجسمه محفوظ بين صدفتين من المحار . فهذا القسم وهو الثالث من أقسام الحيوان لاعظم له فليس من ذوات الفقرات ولا حلقات له فليس من ذوات الحلقات فهو إذن حيوان هلامى (القسم الرابع . الحيوانات الشعاعية) وهذه منها ماهو على شواطىء البحار المسمى (سمك النجم) ومنها ماهو فى البحار يعيش كهيئة مستعمرات مكونة من تلك الحيوانات الصغيرة ومن اجتماعها تتكون أجسام صخرية وقد تتكون منها جزائر . فترى هذين النوعين يختصان بأمرين :
الأول — أن لهما فمّا مركزيا يشاهد فى الوسط

الثانى -- أن الحيوانات حول ذلك الفم ترجع الى حلقات ضوئية تحيط بذلك الفم أو المدخل . ثم ان مشاهدة صورتها تدخل فى النفس عجباً فان (سمك النجم) تراه على هيئة بهجة ذات خمسة فروع تحيط بمركزها وتلك الفروع كأنها أصابع الانسان وذلك الوسط كال كف وكل أصبع من هذه الأصابع محلى بأهداب تغطيه وفى أصول تلك الأهداب تشاهد نقطة مضيئة كأنها مصابيح لامعة على طول تلك الأصابع وهذه صورته (شكل ١٤)
صورة السمك النجمى (شكل ١٤)



وهناك أيضا الحيوان المسمى باللسان الافرنجى (بوليا) فانك ترى الفم المتقدم أو المدخل ليس متسعا كما فى سمك النجم بل تراه نقطة صغيرة تحيط بها حيوانات لا حصر لها مجمعة بهيئة ثمان ورقات جميلات ذات شعاع جميل وهذه صورته (شكل ١٥)
(شكل ١٥ بوليا)



أما الحيوانات التى تتكون كهيئة مستعمرات وتكون فى وسط البحار فهى حيوانات جسمها مكون من كتلة هلامية ليس لها أعضاء متميزة وتفرز رواسب حجرية تأخذ شكل نباتات ولذا تسمى (الحيوانات النباتية) وتسكن قاع البحار وأشكالها

مختلفة وبعضها يستعمل فى الصنائع وذلك كالمرجان والاسفنج فالمرجان حيوان معروف يستعمل حلياً وتفرزه حيوانات اخطبوطية لتسكن فيه وهو يشبه شجرة عديمة الأوراق وهو كثير الوجود فى البحر الأبيض والأحمر مثبتاً على الصخور وتكون الحيوانات على المرجان كأزهار وهذا هو الذى حمل العلماء قديماً أن يعتبروه نباتاً زمنياً طويلاً وهذه صورته (شكل ١٦)



(شكل ١٦) رسم المرجان

هذه أقسام الحيوانات التى خلقها الله وبها فى الأرض وجعلها درساً لنا . وقد نقلت لك عن الفيلسوف (اسبنسر) أنها تبلغ نحو مليونين أعنى ألف ألف وهذا العدد هو المقسم على هذه الأنواع فمنه ذوات الهيكل العظمى وهى الحيوانات الفقرية ولها دم وهى الانسان وذوات الأربع والطيور والزواحف والأسماك . ومنه ذوات الحلقات وهى الحشرات والعناكب وذوات الأرجل الكثيرة والحيوانات القشرية والدود ومنه الحيوان الهلامي

كالتواقع التى على شواطئ البحار ، ومنه الحيوان الشعاعى الذى ترى أطرافه لامعة حتى سمي (سمك النجم) فهذا مجمل هذه المخلوقات ، انظر كيف ذكر الله هذا المثل ونادى الناس جميعاً والمسلمون من الناس طبعاً فنحن من الناس واذن هذا النداء لنا يقول الله — يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له — يا عجباً هل الله يقول استمعوا له إلا اذا كان المثل عجيباً وفيه علم كثير ، قال الله فى هذا المثل — فاستمعوا له — وقال فى القرآن — وإذا قرأ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا — فكان الله أمرنا باستماع القرآن كله وأمرنا باستماع هذا المثل على الخصوص ثم أورد هذا المثل ، نحن نسمع القرآن لنقرأ فيه علماً ، وها نحن أولاء قد سمعناه وسمع آباؤنا فكونوا ممالك عظيمة وهى الدولة العباسية والأموية وغيرها قديماً وهكذا الدولة الأفغانية والفارسية حديثاً وعسى أن يلحق بهما بقية الاسلام ، ومن استماع القرآن كان علم الفقه الذى

تشعبت مذاهبه فاذا استمعنا لهذا المثل فماذا نصنع به ، ندرس الحشرات ودرس الحشرات يستلزم دراسة الحيوان كله ودراسة الحيوان فيها سرالربوبية وعجائبها وحكمها والمواهب التي أسديت اليها وبها ارتقاء العقول وبها ارتقاء الدولة

كل ذلك من دراسة الذباب ، الذباب الذي ألف كتاب الحيوان كله على التمثيل به والله مثل به ليقول انظروا خلقى ، فكانه لما ذكر المواليد مراراً وكررها في هذه السورة مرتين أتى هنا للحيوان بمثال وهو الذباب النشط ذو الأربعة أرجل الستة والجناحين

الفصل الأول

في الكلام على نظام الحيوان وعلاقته بالنبات من جهة

وبالقرآن من جهة أخرى

قال تعالى : (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ) وقال تعالى (وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) وقال تعالى (وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ) وقال تعالى (خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ إِلَيْكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقَكُمْ فِي بَطُونٍ أُمَّهَاتِكُمْ خَلَقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظِلْمَاتٍ ثَلَاثَ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَانْتَصِرْ فَوَن) وقال تعالى (وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا أَنْعَامٌ فِيهَا رِيفٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْفِئَةِ إِلَّا يَشِقُّ الْإِنْشِقَاقُ أَنْتُمْ إِنْ رَّبُّكُمْ رَحِيمٌ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ يُنْزِلُ لَكُمْ بِهِ الزَّادَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ

وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مَسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وَمَا ذَرَأْنَا لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ) الى قوله (وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ) . اعلم أن الحيوان كما رأيت في هذه الآية خلق رحمة للانسان كما خلق النبات لها معاً ولنشرح ذلك فنقول :

اعلم أن النبات مقدم على الحيوان وضعاً لأنه غذاؤه فقدم طبعاً اذ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ولا ترى حيواناً يمكنه أن يأكل العناصر الأرضية وإلا مات جوعاً فخلق له اللطيف بعباده النبات ليلطف تلك العناصر ويطبخها فتصبح خلقاً جديداً يناسب الحيوان فيكون كالأم المشفقة بل أحسن منها فترى الحيوان يأكل من أوراقه ويتناول أغصانه ويستظل بها وترى سيده وهو الانسان يأخذ أعلى وألطف جزء في النبات فيأكل حب القمح والفول كما يأكل لحوم الحيوان

فتأمل كيف كان النبات غذاء للجميع وأخذ الأشرف أشرف جزء فيه وأخذ الحيوان الأدنى لتفهم قوله (وكلُّ شئ عندَه بمقدار) وترى غذاء الحيوان غير الانسان حاملاً وغذاء الانسان محمولا ألا ترى أن سنبل القمح في أعلاه وهكذا جميع الحبوب والفواكه تراها تارة أعلى وتارة في الجوانب وهي على كل حال محمولة على غيرها وكان النبات ينطق بلسان حاله قائلاً أيها الانسان خذ خلاصة ما عندي وسأدخل في جوف الحيوان وأقلب إلى مادة تناسبك فخذ العاجل من ثماري وحبوبي وانتظر الآجل مني حين أصبح لحماً وشحماً فأصير أرقى من هذا فانه قد سخر لك ما في السموات وما في الأرض جميعاً وأنت الأرقى طبعاً فاني لما كنت غذاء الحيوان وجدتني سافلاً وغداؤك فوقى فترتفع المكان كمرتفع المكنة وسافل المكان سافلها .

واذا تأملنا ما آكلنا عرفنا ذكر قوله (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مِنْهُ شَرَبٌ) الآيات بعد ذكر أصناف الحيوان اذ بالبداهة ذكر غذاءه بعد أن ذكره . بل اذا قرأت من أول السورة وهي سورة النحل رأيت أنه ذكر الانسان ثم الحيوان ثم النبات فكما ذكر مرتبة اتبعها بما يخدمها فذكر المؤخر في الوجود وكر راجعاً إلى المبدأ

وهذه الآية عجيبة جداً وتفصيلها يعرف بمزاولة العلوم أولاً وكثرة التفكير ثانياً ، ولقد ذكرناها في كتابنا جواهر العلوم وفصلنا القول فيها بطريق واضح والآن آن لنا أن نشرع في الكلام على الحيوان فنقول :

قد ذكرنا ترتيب الحيوان عند ذكرنا دائرة الوجود وهانحن الآن نشرحه بأرقى مما هناك فنقول :

اعلم ان الحيوان ثلاث درجات الأولى مالا يلد ولا يبيض كالزواحف من الحمار والأصداق البحرية وكثير من الحشرات والعلق والديدان والثانية ما يبيض ويحضن ويفرخ كالطيور والثالثة ما يحمل ويلد ويرضع وكل واحدة منها درجات بعضها فوق بعض وقد علمت ان الحيوان رتب على حسب درجاته في الاحساس وقوة الغضب كما ذكرناه في الكلام على دائرة الوجود فارجع اليها هناك .

وينقسم أيضاً من حيث الحركة والانتقال إلى ما يمشى على بطنه ويدخل فيه كل زاحف كالخمار ومتسلق على الأشجار أو على الأرض كالديدان أو منساب على بطنه كالحيات . وبأجله كل مالا يمشى ولا يطير . وإلى ما يطير في جو السماء . وإلى ما يمشى على أرجل ولكل من هذه الثلاث درجات بعضها فوق بعض واليه الإشارة بقوله : (وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) فتأمل هذه الآية كأنه يقول ان هذه العوالم وضعت فيها كل درجة من درجات النظام ولم أخل بواحدة منها فبدو رجلين وذو أربعة وستة وثمانية وعشرة وعشرين وأكثر من ذلك . يخلق الله ما يشاء ان الله على كل شيء . كما فعل في الفلك واختلاف الليل والنهار وحركات البنادل المختلفة والنباتات المختلفة ليكون النظام واحداً . وان المتفكر لتأخذ الدهشة حين يتفكر في ان هذه المادة في الكون واحدة وإلى الآن لم تعلم اذ ماتمسكه أيدينا وتشهده أبصارنا وتسمعه آذاننا وتذوقه ألسنتنا انما هي صفات عرضت لها حدثت من تكونها وتضامها والا فانا نعلم انها تصل إلى درجة لا تحس فيها

ولانلمس ولا تشم ولا تذاق وهى المادة الاثيرية التى أجمع عليها قدماء الحكماء ومحدثوهم
فسماها المحدثون أثيراً وسماها القدماء ناراً فوق الهواء.

فيا ليت اشعرى كيف جاءت الكثرة من القلة والمادة واحدة وكيف كانت فيها كل
هذه العوالم وكيف تنوعت واختافت على أطوار شتى (راجع مقالتنا عجائب العناصر
والحروف ولعلها تذكر فى كتابنا هذا ان شاء الله تعالى) فتأمل تجد أن الحيوان مرتب
فى حركاته من قاع البحار الى الفضاء الى الهواء وفى شرفه من حيث الاحساس وفى
قوة غضبه وفى تربية أولاده وحفظه لنوعه هذا من حيث ترتيبه بالنسبة لبعضه ، فأما
النظر لأفراده فكل حيوان له هيئة مخصوصة وشكل وأعضاء تناسب ما خلق له

وقد أوضحنا الكلام على هذا فى كتابنا ميزان الجواهر ولنفصل بعض التفصيل
فى بعض الحيوان فنقول : ان من الحيوان ماله جسم مربع وجناحان وأربعة أرجل
ويدان متناسبة هذه الستة كتناسب أضلاع المسدس فى الدائرة وله رأس مدور وعنق
ليميل رأسه يمينا ويساراً وذنب مملوء هواء مخروطى الشكل جعل موازياً لرأسه عند
الطيران واذا استقل فى الهواء كان على هيئة الشكل المسدس أجنحة أربع كل جانب
جناحان ورأس وذنب وتصنع أقراصاً فيها بيوت مسدسة الشكل منتظمة الوضع كشكل
جسمها عند الطيران ولعلك بهذه الأوصاف عرفت انه النحل

الفصل الثاني

في الجمهوريات في الحيوان

ترجمتها عن اللورد افيرى

الحيوان خلق عظيم فيه من دقائق الحكمة وصنوف الجمال ما يبهر العقول فمنه ما يبهج العين بمحاسنه وينعش الفؤاد بمناظره كأنبي دقيق وغيره من الحشرات والطيور ومنه ما يهولنا بعظمته ويهزنا بعظيم جثته كالقيل والهيك العظم والخلق الكبير في كل جيل ألا وهو القميطس ومنه ما يسحر العقل بجماله ويخلب الفؤاد بسحر حلاله ويرسل للمفكرة مغناطيس أقطابه ويسلب الالب لدقة صنعه وحكمة خلقته ذلك هو الحيوان الذى توارى عن الأبصار فلا يرى إلا بالمنظار

وأجل الحيوانات لذة وأعظمها فائدة ما ألف الشركت وعاش جماعات وهل أريد بما أتله عليك ماتجتمع أياماً معدودات في فصل من السنة كالخطاطيف أو تلك التى لها جمهوريات ثابتة لخاصة المسكان كلا ، فالأولى يجمعها خاصة الزمان والثانية يؤلفها المسكان . وإنما أردت تلك الدول النظامية والأمم الدستورية والجماعات الشورية كالغريبان وكلاب البحر ، فانها تهب لعقولنا حكماً ولنفسنا علماً ولنظامنا دستوراً ولأخلاقنا حكماً ؛ على أنها مع عظم أمرها لن تبلغ عشر معشار ما وهب النحل من الحكمة في تقدير بيوته وتسديس أشكاله وما أبدع في نظامه وهندسته ومنح الانسان هبة العسل ونصب نفسه ناطور الأزهار وقيم البستان فلونت بألوان جميلة يعشقها ونحن له مدينون وهو لا يشعر فقد زينت ونقشت لمنظره وهو غافل

على أن هذه ربما كانت أقل مهارة من النمل كما يشهد بذلك فطاحل العلماء مثل هبرولورل وكوك ووسمان وغيرهم من النحول اذ قالوا أن نظام جمهورية النمل في أصناف

جنسها وأفراد نوعها وفي دستورها الشامل لطوائف الأمم الخاضعة المستعبدة لرقها والنواميس العامة على أنواع المخلوقات من الأنعام المناسبة لها لانظير له في الأمم فيما ذكرنا ثم ذكر المؤلف كلاما عن نمل بلادهم ثم قال ان النمل تبلغ أصنافه ألفا وتزيد كل نوع يمتاز عن غيره بصفة

وقد لاحظت النمل الشغال فعاش سبع سنين . والملكة فعاشت ١٥ سنة وكل جمهورية من الجمهوريات لها ملكة أو أكثر ذات جناح قبل أن تطير لحملها فاذا حملت كسرت الأجنحة إذ تعلم أنها ستلازم المكان والجناح شغل لا فائدة فيه في الحجرات وفيها ذكران من النمل لاشغل لها والعمله لاجناح لها والصبية الصغار تبقى في الديار تحفر الحجرات وتشكل السرايب وتمهندس الدهاليز والمنعطفات وتنمو وهي فيها وترتيبهن في المساكن على درجات السن كما تصف صفوف التلاميذ بالنسبة لأسنانهم ومن النمل ما عظم جثة وكبر قامة وامتاز قوة . وهل يقوم ذلك برهاناً على أنهم جنود وقوامون على الأمة

ذلك ما يعوزه الدليل وقال دابتين إن النمل التي كبرت رؤوسها وعظمت خراطيمها تمتاز عن الصفوف في سيرها فتسير بجانبه كضباط العساكر وإذا احتملت تلك النمل قوتاً رجعت تلك الضباط غير حاملات فربما كان ذلك دليلاً على أن أولئك ضباط وذلك محتمل

ومن العجيب أن العملة من النمل والنحل لا تفتأ أثناء العمل تنظر الى الملكة كأنها تستمطر الرحمت بمنظرها أو تستروح السرور بمشهدها ولقد شاهدت جماعات النمل وهي خوارج من عش دواخل غيره قد اتخذ ذلك المشهد مهرجاناً للملكة فددت يدي لعمل أهيه لهن فأصاب القضاء الملكة فلقيت حتفها فرأيتهن اجتمعن حولها ورفعنها حتى أدخلنها أوسع مكان في القرية التي أعدتها لهن ولم يعاملنها معاملة ما يموت منهن فيبذنه بالعراء فجلسن حولها فلورأيتهن لقلت انهن با كيات حزينات أو راحيات بشوق عظيم حياتها أو كأنهن يظنن انها حية ستسعى

وقد تتركب القرية من خمسمائة ألف نملة

ومن العجيب ألا ترى نملتين من قرية واحدة تتنافران على أنهن لا يتجرجن عن مهاجمة أخواتهن في الصنف فضلا عن النوع فضلا عن كل حيوان ، ولكم حاولت ادخال نملة من نفس الصنف في عش أخواتها فلم تكدر تظا أرض العش بأرجلها حتى فاجأتها فأخرجتها من رجلها ، فليس بمكرم لديها إلا أخواتها المشاركات لها في مرافق الحياة وما عداها من الصنف فنبوذ مضروح ولقد فصلت القرية الى قريتين وبقيت على ذلك سنة وعشرة أشهر ؛ فلمعرك ما التقى الجمعان إلا وهما متعارفان يتصالحان ويهاجمان ما عداهما بمجرد التقائهما

بهذا أثبتت المعرفة والتمييز في الاشخاص ؛ ولن نعرف أكان بعلامتهم لا إلا بتجربة فخرجت على الكوروفرم فحققت أن يمينها فعمدت الى العقار فأسكرتها وما كادت تسكر لولا أن غمت رؤوسها فما كان إلا دقائق حتى سكرن وهن إذ ذاك خمسون خمس وعشرون منها من عش وخمس وعشرون من آخر وهما بمشهد من جماعات من إحدى القريتين وهن يطعن على مائدة أحيطت بماء لئلا يتمزق النمل شذر مذر فما كادت تشعر بالسكاري إلا وأقبلت من كل صوب وأدهشت كما ندهش لسكرانا . فأخذن اللاتي من غير قومهن ووضعنهن لدى طرف الماء وأغرقنهن ؛ أما اللاتي من قريتين فحملتهن برفق الى العش . فمن هذه ترى أن النمل تعرف بعضها بغير علامة ولا طريق وهذه عاطفة في النمل عذمت في الذئب وغيره فاذا جرح أحدها أو مرض طرده أصحابه أو قتلوه

واقدر رأيت نملة كسرت رجلها إذ فقست بيضها فنامت على ظهرها ثلاثة أشهر والنملات يطعمنها ويسقينها وأخرى جرحت بمثل ذلك فنامت أياما ثم خرجت فهاجمها الأعداء من كل صوب فوقعت مغشيا عليها فمر عليها النمل لا تبدي حرا كما حتى إذا جاءت نملة وحركتها وجست نبضها ثم حملتها برفق إلى عشاها

فهذه دلائل العطف في هذا الخلق الضعيف . النمل والنحل لها علم بسياسة المدينة

ونظام الجمعية ولكنه علم محدود ونظام محدود . وترى النملة إذا عثرت على طعام أسرعته .
البقية اليه ورأيت الرائد إذا دخل العش خرجوا معه وان لم يكن في فيه شيء . فمن المحقق
أنه أهمهم بغير رؤية الشيء .

من النمل ما يكون له أسرى وهؤلاء . يقمن بخدمة السادة حتى إذا رحلن من قرية
الى أخرى حمل العبيد السادة من الاولى الى الثانية

ولقد رأيت الصواحب من النمل إذا خرب عشاها بحثن عن غيره فاذا سقت
مكاناً ورأته إحداهن أحضرت أخرى فحمايتها ثم أرته المكان ورجعا فأخذا غيرها ثم
رجعن فحملن غيرهن وهكذا بالتضعيف حتى تجتمع القرية جميعاً وهذه ترىنا أن ذكاء
النمل محدود ويدلنا على ذلك ما نرى من أن بعض السادة لا يأكل إلا إذا ساعدهن
العبيد على إحضار الطعام فاذا قسم الغذاء بينهم وأفرد كل بمكان وبقي السادة يوماً أو
بعضه ماتت إذ لا ترى من يضع الطعام في أفواهها

وكم من حشرات اتخذتها لها أنعاماً زينة لها وجمالاً ومتاعاً تتخذ ألبانها العسلية .
طعاماً تسومها كالأنعام على غصون الأشجار أو ترعاها في السكلا والحشائش والأب .
أو تحبسها في بيوتها وتؤتيها أكلاً كل حين بتقدير فتمتص الأنعام من النبات فتحال .
العصارة في بطونها عسلاً فتمتصه النمل . وأنفع تلك النعم حيواناً اسمه (فيس) كأنه
بقرها تكاؤها بحمايتها وتحميها برعايتها



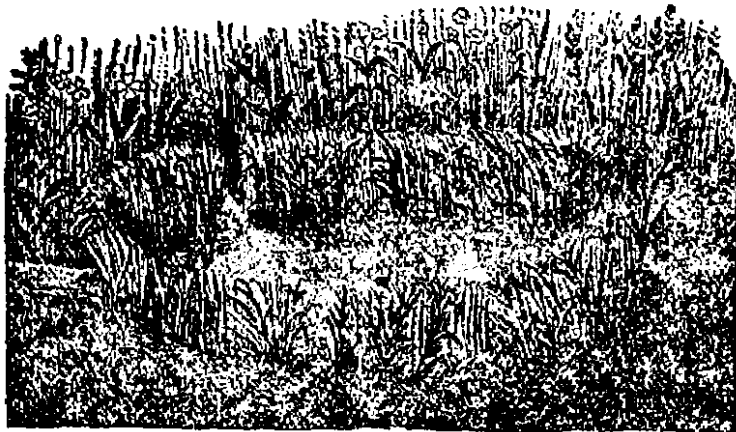
نملة تخلص بقرتها

ولم تكن رعايتها فاصرة على نفس الحيوان فقد تجمع بيوضا في الخريف وتكثوها في الشتاء وتربض الربيع المقبل ومن الحشرات ما تتخذ النمل دواب تحت الأرض فتبقى أمداً طويلاً فتخسر عينيها وتبقى عمياء

أنا لأطيل الكلام في هذا المقام إذ هذا الموضوع أوضحته في مكان آخر إنما أقول أسألك أيها العاقل إذا رأيت النمل وهي في قريتها تستقل بحركتها وكيف تدرك غريزتها وإذا رأيت هضبة سكنها النمل وهي آلاف مؤلفة تحفر الحجرات وتشكل الدهايز وتهندس الطرق وتحفر الأماكن وتجمع القوت وتطعم الأبناء وتصف صفوف المدارس فيها وترفق بحيوانها كل منها موكل بما يناسبه من العمل قائم به فلا جرم أن هذه هبة عقلية ولئن قلنا أنها عزيزة وسليقة فمن ذا الذي يضع حداً فاصلاً بين العزيزة والعقل إنه لعسير

فهذه المناظر تهدينا إلى أن هذه هبة عقلية مشتقة من عقل الإنسان تشبهه كيفاً وتنقص عنه كما . المؤلف . أقول : ها أنت أيها الأخ القارئ لكتابي هذا نظرت مقال أكاير علماء العصر الحاضر فتأمل كيف تراهم ينقبون عن أسرار الحكمة الإلهية ويبحثون ونحن غافلون

ولما كان هذا المقام خميلاً بديعاً وجب على أن أزيده حسناً وبهجة فأقول أن للنمل زيادة عما تقدم مساكن ومزارع . أما المزارع فهذه صورتها .



(شكل ١٨) رسم المزرعة النملية وهي الأرض النملية

هذه هي المزرعة النملية بأربع طرق ، وما تراه الآن هو أرز النمل الذي ينمو
محيطاً بالمزرعة

وهناك بعض ما جاء في كتابنا الجواهر في تفسير القرآن حوالى هذا الرسم تحت
عنوان الحشرات والنمل

إن الأرض لمزدحمة بالحشرات وانها لكثيرة فيها مختلفة الحجم والأشكال والألوان
ولها من المنافع العظيمة ومن الأعمال مالا حدره ، في الأقطار الحارة تكثر الحشرات
للملاءمة الطقس لها وأن بعضها لشديد الایذاء والاضرار لنوع الانسان ، وليس من السهل
أن يأتى الانسان للحشرات بتعريف جامع مانع وانما يمكن تمييزها عن سواها من
الحيوانات بثلاثة أحوال (الحال الأولى) انها على اختلاف أنواعها وأجناسها مكونة
من (ثلاثة أجزاء) الرأس والصندوق والبطن (الحال الثانية) انها لا بد أن تمر فى أدوار
تكوينها فى أربعة أدوار (الدور الأول) أن تكون بيضة (الدور الثانى) أن تكون
دودة (الدور الثالث) ان تكون (فيلجة) أو شرقة أى أن تنسج على نفسها نسجاً
حريرياً تنام فيه أياماً كدودة القز (الدور الرابع) أن تصبح تامة التكوين بأجنحة
وأرجل تامة الخ (الحال الثالثة) أن كل حشرة لها ستة أرجل

هذه هي الخواص التى اشتركت فيها سائر الحشرات ، وربما كان أنبل الحشرات
وأهمها وأكثرها فائدة النمل ، وإليك وصف بعض أحواله وأعماله

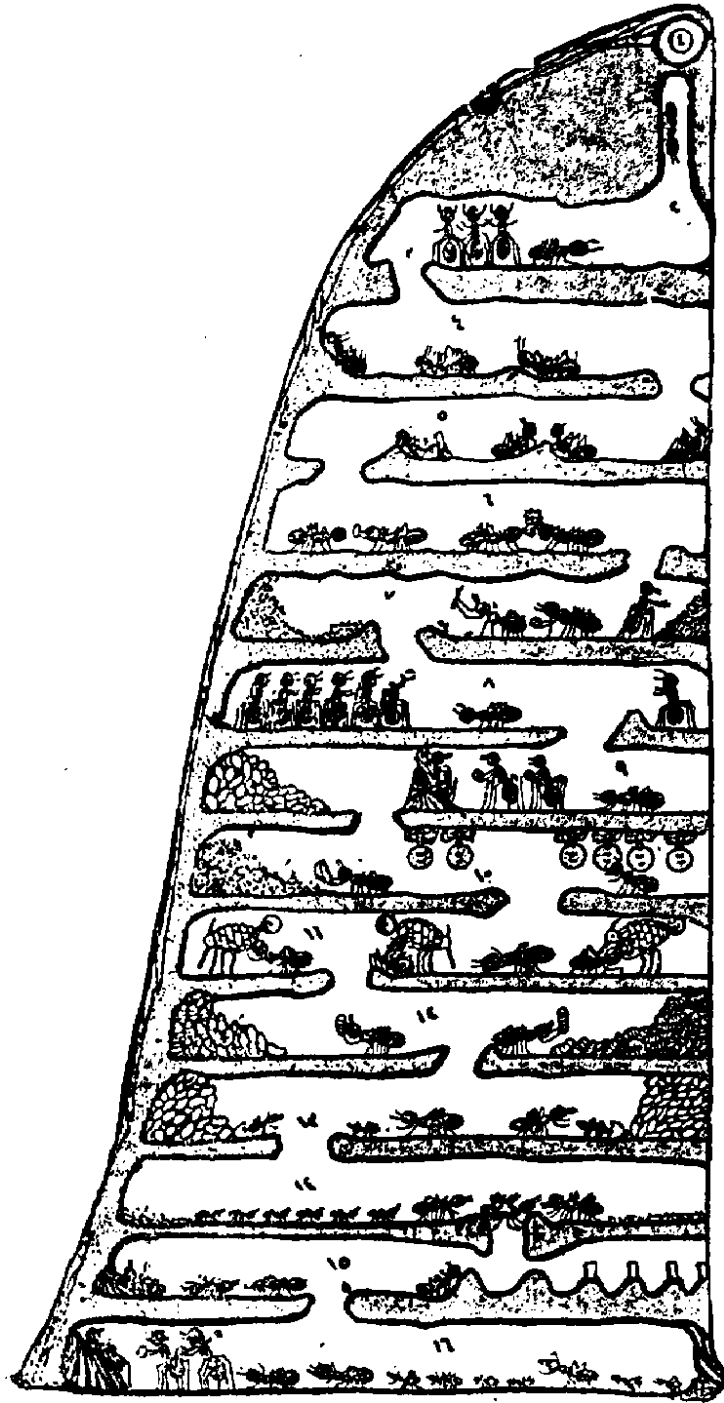
النمل

إن النمل لترى فى كل مكان فى الدنيا ، وهى وإن اتحدت مظاهرها فى سائر الأقطار
تختلف اختلافاً بيناً فى طبائعها وطرق معاشها فى الحياة

مساكن النمل

إن النمل لتعيش جماعات كثيرة العدد فى أما كن مبنية تحت الأرض أو بارزة.
فوقها كالأكام ومساكن النمل مفصلة تفصيلاً عجيباً ومقسمة الى حجرات مختلفات المنافع
والأغراض ، فترى حجرات كبيرات ليعيش فيها النمل ، وهناك الأظار (جمع ظئر)
المریات للصغار يعتنن بهنّ اعتناءً يفوق الوصف اطعاماً وتنظيفاً وترتيباً كما تربي النساء.

أطفالهن في نوع الانسان ، وتحت هذه الحجرات حجرات أخرى جعلها النمل مخازن للبذور والحبّ إذخارا للقوت في مستقبل الأيام ، وهذه الحجرات متصلات بطرق شاذة الوضع غريبة النظام كما انها في خارج تلك المنازل قد صنعت طرقا غريبة توصل الى مداخل مختلفات



(شكل ١٩) رسم قرية النمل وطبقاتها

اعمال النمل

إن من النمل ما اختص بجلب الحشرات النافعة لغذائها كما يفعل الإنسان بتربية البقر والاغتذاء بلبنه ، ومنه ما يحارب ويمجندل الأعداء في الميدان ويجلب الأسرى ويستخرها في عمل نافع للغالين ، ومنه ما هو فلاح حقيق يزرع الأرض ويحصد الزرع ويخزنه كما يفعل الإنسان (انظر شكل ١٨) .

قرية النمل وطبقاتها

(١) باب القرية (٢) نملة تدخل القرية (٣) الحرس لمنع دخول الغريب (٤) أول طبقة لراحة العمال في الصيف (٥) الطبقة الثانية لراحة العمال في الصيف أيضا (٦) مكان تناول الغذاء (٧) مخزن تدخر فيه الأقوات (٨) ثكنة لجنود النمل (٩) الغرف الملوكة حيث تبيض ملكة النمل (١٠) اسطبل لبقر النمل مع علفه (١١) اسطبل آخر لحلب البقر (١٢) مكان لتفقس البيض عن الصغار (١٣) صفار النمل وبيضه (١٤) صفار النمل (١٥) مشى للنمل ، وفي اليمين جبانة لدفن من يموت (١٦) مشى الملكة واعلم أن ماتقدم الآن هو شرح لما في الصورة المتقدمة أي (شكل ١٩)

وهنا بدائع وملاحظات

أولاً — أن الله جلت حكمته لم يشأ أن يدع مخلوقا إلا وأعطاه حكمة وعلما لمعاشه وبقائه (قال ربنا الذي أعطى كل شئ خلقه ثم هدى) كما ترى في لون الحشرات والطيور والحيتان وأشكال وسياسات الحيوانات

ثانياً — أن علماء أوربا يبحثون عن عجائب الجزئيات ويطمعون في استقصائها ونحن نقول لا مطمع في استقصائها ولكن لا يريج الأفتدة إلا تعقل الكليات ولن يعرف العقل إلا بعض الجزئيات إذ استقرارها لا مطمع فيه وكليات المسائل عجيبة صادقة وكلها ناطقة بالعدل أما الجزئيات فتري المرء يضل فيها فما هو ذا اللورد أوفبرى يضل من عداه في لون السمك فقد كانوا يحسبونه بلا حكمة فظهر له أنه بحكمة ونحن

زدنا أن عظام الحيوان والأحجار لحكمة

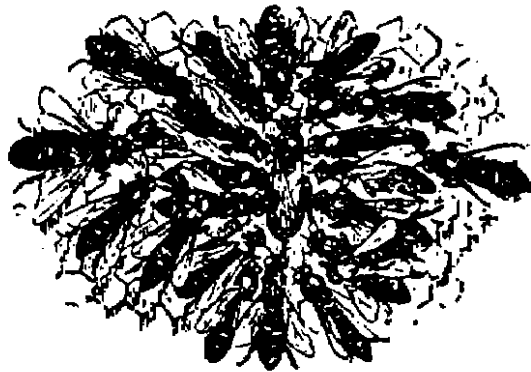
ثالثاً - يقول الحكماء في القواعد العامة أن لكل مخلوق علة ومادة وصورة وغاية فعلة اللون غير مادته غير صورته غير غايته وهي مطردة في كل شيء فقولهم ألوان المعادن والأحجار اتفاق كلام غير مسلم إذ له علة وهي التمازج بهيئة خاصة وصورة ومادة وله غاية وهو منفعة الإنسان فالتعبير بما قالوه قاصر

رابعاً - هذا يفيد حكمته تعالى إذ يقول (وَمَا كُنَّا عَنْ الْخَلْقِ غَافِلِينَ)

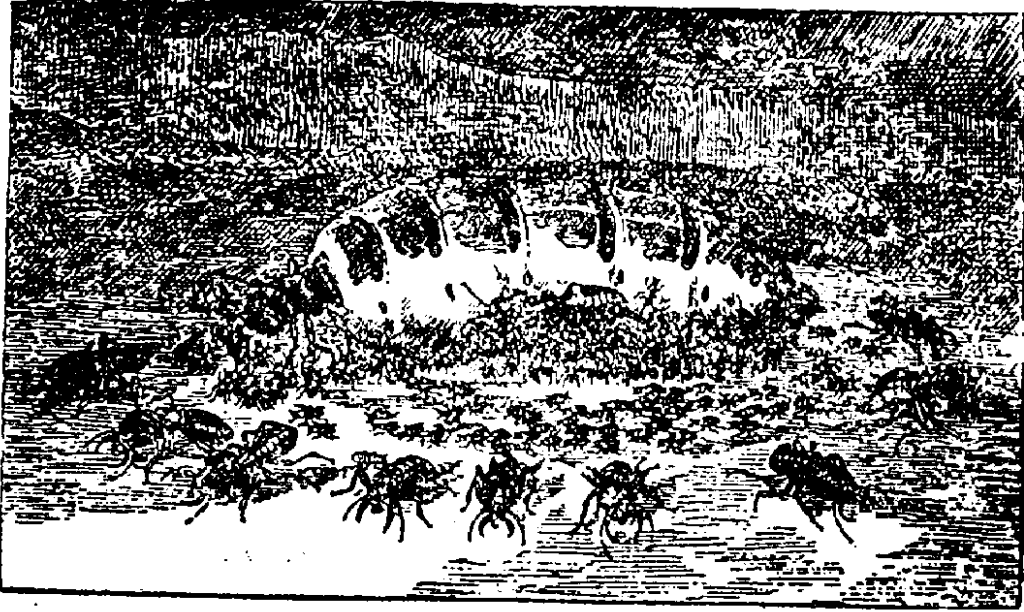
خامساً - قصة النمل وقول الله تعالى (وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) إلى آخر الآية مما نفهم منه اهتمام الأنبياء بعلم الحيوان ونعلم أن المسلمين مأمورون بالبحث عن هذه الحشرات والله اعلم

النحل والأرضة وعجائبها

إن للنحل جمهورية كجمهورية النمل ولها نظام كنظامه وهكذا الأرضة ونظام النحل مشروح في تفسير سورة النحل ونظام الأرضة واضح في سورة سبأ فلنقتصر هنا على رسم شكليهما هنا



(شكل ٢٠) ملكة النحل



(شكل ٢١) الأرضة

(صورة الأرضة الملكة وأتباعها . رسمها العلامة الألماني أزرليك كما لحها .
الكتلة البيضاء الضخمة هي الملكة وإلى جانبها الملك ، ومن حولها العمال يقبلونها
ويلحسونها فالقائمون بتغذيتها يتألبون عند فمها ويبقى في الطرف الآخر من وكل اليهم
التقاط البيض . وبين العمال جنود من البوليس صغير الحجم وفي الصف الأول في شكل
نصف دائرة الجنود الكبير القائم بحراستها ضد هجمات عدو مفاجيء)

هل للحيوان حاسة غير الخمس

ولقد ترى هذا العالم اللورد في كتابه أماط اللثام عن حواس الحيوان وأعرب
عن حقيقة حاسة الجهات ومعرفة المناهج والسبل فعقد بابا لذلك صفحة ٥٢ سماه حاسة
الجهة ورسم فيه ما أنبأه به (الفرند) وقوله له ماللحمام من حاسة يحس بها ولم يكن ليعطى
ما حرمة الانسان وانما ذلك ان الحمامات الطائرات اذا أرادت مكانا قصيا أعددن عدته
فطفقن يتدرجن من الأقرب الى القريب للمكان البعيد فالأبعد الى جهات كسنة
التدريج ونفى عنها حاستها

وهكذا ذكر ما أشار به العلامة (داروين) وقوله ان أضبط حيلة وأقوم سبيل
لمعرفة ما للحيوان من حاسة الجهة أن يهاجر في الأرض ابتعاداً عن وطنه مسجوناً في

صندوق مقفل عليه ثم يدار مراراً عديدة ويفتح لينظر أيرجع الى وطنه فتكون له حاسة أم يضل فلا حاسة له هكذا قال

ولقد صنع ذلك برمته عالم اسمه فابر (Fabre) واختار النحل فوضعها في صندوق وابتذها مكاناً قصياً ميلاً ونصفاً وآونة ميلين فلا وربك ما بآء لمسكانه ورجع لوطنه إلا ثلث النحل ولقد كرر ذلك مراراً فكان الثلث يستطيع الرجوع والثلثان تضل فلا تعود وقد كان يعرف ذلك بعلامات بيض يضعها على ظهورها ولقد استشهد بما جرب أن لها حاسة ورد عليه العلامة (أوفبرى) يقول لنن صح ذلك فهلا ابتذ بها خمسة أميال ولن كانت لها حاسة جهة فلن تعوقها تلك الخمسة الأميال ثم ذكر أنه أخرج النحل من عشه ٤٠ ياردة فضلت سواء المسبيل وحارت وما اهدت فعلم أن لا حاسة لها تحس بها الجهة هذا محصل ما أورده العلامة في باب حاسة الحيوان اهـ

المؤلف فيها أنت ذا وقفت على مارسه هؤلاء العلماء في الألوان وما سطروه في النحل وما أورده في طول أعمار الحيوان وفي حاسة تزيد عما للإنسان فترام هكذا يتساءلون عن الجزئيات ولعمري أن خطة العلامة أوفبرى أخرى وأقرب للصواب فلقد قارب في حكمته الوصول إلى خطة حكائنا وكتب علمائنا وذلك أنه لن ينال مخلوق حاسة ولا شكلاً ولا قوة إلا إذا توقف وجوده عليها أو احتاج في كماله لها أو لم يتم إلا بها وهذه الحيوانات لن تخلق لها الأعين والأرجل والاسماع والأبصار إلا إذا اضطرت إليها وكان لها حكمة فيها وإذا كان النبات لم ينل أعيناً لعدم حاجتها أو اسماعاً لعدم نفعها له فهكذا لما لم يكن ذا سفر طويل يعوزه للحاسة المعرفة عن الجهة كان خلقها فيه عبثاً وباطلاً ولو خلقت حاسة الجهة لكان الانسان بها أخرى وأحق وبألبت شعري لم لم تخلق للانسان

تقول ليس كل امرئ مضطراً إلى السفر كما يحتاج إلى الطعام والشراب والذهب والإياب فأعطى الحواس التي يحتاج إليها كل امرئ، وأما التي يختص بها فريق دون فريق فأكنتي فيها بالقوة الخييلة الحافظة لصور الطرق والمسالك وأعان عليها الخرط

والرسوم وتعلم الفنون الجغرافية والفلسكية وهذا كله مصداق قوله تعالى
 (وَأِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ، قَالَ رَبِّنا
 الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى، وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ
 يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى
 رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ)

ولما وصلت إلى هنا ذكرت أن الأجدد بالقارىء اللبيب أن يرجع إلى كتابنا
 جمال العالم الذى تمّ طبعه فى هذه السنة فان فيه من عجائب الحيوان وترتيبه وغرائب
 أعماله وعجائبه المدهشة ما يسر ويبهج الإفادة ويورثها اليقين التام وللهذا أيها القارىء
 الآن لمناسبة هذا المقام رسالة صغيرة وهى العقد الثمين فى آراء العرب ومذهب
 دروين فى الفصل الخامس الآتى بعد الفصلين الآتين

الفصل الثالث

فى الكلام على حيوان يعيش ملايين السنين

ترجمتها من كتاب اللورد جون لبلك أوفيرى لخصتها لك بلسان عربى مبين لتعلم
 ما وصل اليه العلم من تلك الحكم العالية النفسية
 من أعجب ما سطرته يد العناية الالهية على صفحات الخليقة ودبجه يراع تلك
 العناية الباهرة ما ذكره المكتشفون عن حيوان المرجان ذلك أنهم علموا أنه ينمو من
 بيضة صغيرة فقدروا حجمه ووزنوه وقاسوه بمقياس النمو السنوى وقدروه قدره فألفوه
 بعيش آلافا من السنين

وأعجب من هذا وأغرب ما علم عن حيوان من أصغر الحيوانات وأدناها شكله
 يضاوى أو مدور تراه ينفذ ويروح فى طلب رزقه اذا هو قد أخذ وسطه يحز حزاً

كانما أمررت سكيناً عليه باستدارة حوله ثم ترى هذا الخرز أو الشق يزداد حيناً فحيناً شيئاً فشيئاً حتى يمتاز النصفان ويستقل الشخصان ويعيش كل منهما عيشة وحده . وإذا لاحظت كلا منهما وجدته محزوز الوسط ويتزايدان حيناً فحيناً حتى ينفصلا ويستقلا كأسلافهما وهكذا الى يوم يبعثون وهكذا كان فياليت شعري أهما والد وما ولد . هذا ما لا يكون ، فكيف والسن واحدة وهل يتساوى الوالد والمولود في العمر أم هاتوا مان وكيف ذلك وأين الوالدان ، وعليه حار العقلاء في ذلك المخلوق الصغير حيرة لن يكشفها إلا العلم يقول العلامة أوفيري (المترجم عنه) ان هذه الحيرة سيكشف العلم غطاءها ونحن الآن في دور الابحاث العلمية والتتقيب عن أسرار الحكمة الالهية فعميت علينا السبل وتشعبت الطرق ولم نعد نميز بين الأشخاص فيما وضع من الحيوان وكبر منه الجثمان فضلاً عما دق في الصورة والشكل والوصف والشخص والجنس ثم وضع قاعدة فقال (كما زاد العلم زال الغطاء) وقال ان هذه القاعدة أنسب أدباً وأقنع علماً وأدعى الى الرقي والسعادة ونحن نقول لئن اعتدل المؤلف في شق فقد مال في آخر فأما منفعة هذه القاعدة مادة وأدباً فلا مشاحة فيه وأما كشف العلم كل غطاء فنقول ان الله سبحانه وضع هذا العالم على طبقات شتى في الوضوح والخفاء ولن يكشف للإنسان أو الحيوان إلا ما كان أنسب لحياة روحه وعقله ومبادئ العلوم قليلة وكما صعدنا سبلها اتسع المجال وانفسح الميدان وما التصورات والتصديقات إلا كنسب هندسية تظهر بوضوح في الأعداد المتضاعفة فلئن يكشف العلم غطاءً واحداً ير وراء الكشف غطاءين فاذا أزالهما ظهر أربعة فان انقشعت سحابتهم ابتدرته ثمان حجب فان كشف الستار عما وراءها فاجأه ست عشرة ظلمة وهكذا وهذه الحيوانات الدنيئة التي نحن الآن باحثون فيها نراها هكذا كانت تتناسل في غابر العصور وهكذا تتوالى الى الأبد فهي على هذا أزلية أبدية أي ما دامت الأرض فاذا زلزلت الأرض زلزالها ماتت موتاً قهراً لا طبيعياً لعمري أن الموت سنة على كل حي بالعمر الطبيعي ولم اختصت هذه بالألأ موت عليها في القريب العاجل وسيكشف الغطاء عن هذا ويعلم أمره واذا علم الأمر وزال الاشكال

ببدت وراءه سحب من غياهب الجهل ودجنات من الطبيعة تغشى وجوه حور العلم
 الباسمات وهكذا كما قدمنا ، هذا ولا تظن أيها المسلم أن هذا يناقى الدين فان الموت
 كتب على كل حى وهذه ستموت بلا ريب وانما الموضوع هل هذا الاتصال موت
 للشخص الأول وحياة للآثنين الآخرين أم أمر آخر ولن يقف في مثل هذه الصغائر
 إلا الجهلة والعامة لضعف عقولهم عن الإدراك فيتوهمون ان كل شىء يضاد الدين .
 انظر وتأمل هذه الحيرة بين شرقيين وغربيين كيف حيرت العقول فى أصغر الحيوان
 فلم يفقهوا حياته ولا موته فخارت العقول واشتبهت النقول (والله من ورائهم محيط)
 ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء

أتى لنا بالوقوف على أسرار هذه المخلوقات ونحن مغمورون وسطها وكيف نشهد
 خلقها ونحن مغمورون فى ظلمات الطبيعة ودجنات المادة (ما أشهدتْهمُ خَلَقَ السموات
 والأرضَ ولا خَلَقَ أنفُسَهم) اهـ

الفصل الرابع

((فى عجائب الألوان فى الحيوان))

ملخصة من كلام اللورد أوفيرى

ألوان الحيوان وضعت لحكم انشائها مبدعها وقد تكون جاذبة للبقاء محبة
 لتزاوج الجنسين والطاوس أوضح شاهد من نوعه وترى الطيور والحشرات دبجت
 بنقوش الألوان وزخرفت بأبدع زينة موشاة بأبهى الحلى والحلل كأنما خلعت عليها
 الشمس والنجوم والسماء حلى البياض والحمر والزرقة فلبست جلايب الخبر وسابقت
 كل جميل فى بهائه حتى الأزهار فى بهجتها

قال العلامة جفیر رأیت يوما حشرة أبی دقيق ناشرة جناحها كأنها شراع سفينة

على شجرة الصفصاف مشرفة على خليج ناصب مأواه وتلك الأجنحة قد نقشت بأخاديد
تتباهى زرقها بجمال الرونق قد رقت بجدد حمر قانيات ونقوش بيض ناصعات
كأنما أعارتها الشمس حلية من زينتها أورقشتها بأصباغ أشعتها أو صبغت بمباهج
زينتها فتبارك الله أحسن الخالقين

ثم قال الكاتب

فياليت آلافا من تلك الحشرات البهجة تخلق في أرضنا وتصطف في حقولنا
سموم الصيف وحرارة الهجير إذا ذبلت الأزهار وغارت الآبار وتساقطت الأوراق
حتى نعوض ما فقدناه من جمال تلك الزينة والبهجة

ليست نقوش جمال الأزهار بأقل انعاشاً ولا أضعف أطراباً من قطرات العقار
للعقول . وليس يقصر هذا الجمال عن الغذاء للأفئدة والقلوب وما البهجة المنعشة
للفؤاد بقراءة تاريخ القرون الأولى للحيوان من لونه وما سطرته يد الحكمة الإلهية
من موازاتها لسابق حياتها ومناسبتها لما يحيط بها بأقل قيمة من بهجة العين بحسن
مناظرها . ولن قيل ان الصدفة التي تحيط بالدرة داخلها لم تظهر حكمة للونها
أو أن أعضاء الحيوان لونت عرضاً واتفاقاً كما تلون الأحجار الثمينة والمعادن الغالية بلا
منفعة ظاهرة ولا بيئة واضحة كما يظن . حكاهما المؤلف بهيئة الضعف . إذ الحكمة
وإن لم تعلم فربما كانت خفية . (ونحن نقول أن أعضاء الحيوان الداخلة حكامتها تظهر
في التشريح وتميز الأعضاء والهزبل من السمين عند الأكل والأحجار الثمينة لن
تغلى قيمتها إلا بألوانها . إذن فليس الحكمة لنفس الملون فقط بل له ولغيره) . ثم قال
للورد فكم من لون يظنه علماء الطبيعة إلى الآن خفي الدلالة ونحن نوقن بحقيقته
ألا ترى رعاك الله سواد ظهر السمكة وياض بطنها الفضي يظنها الطبيعي ملته
العناصر ونحن نقول على رسلك فأسوداد الظهور وياض البطن ليحجب نظر الناظرين
من أعلاء ولا يشهده المطلع من أدناه فيعيش قرير العين آمناً من الهجمتين وترى
حيوان الصحراء ملوناً بلون الرمال ليتشابه بها فلا يهتدى له القانص ولا يصل له الباحث

ونرى حيوان الأقطار الشمالية الثلجية قد ابيض أديمه لا سيما في الشتاء كما ابيض الثلج فلن يتميز عنه في الحر والقر فهذه وقايته وترى النمر قد خدَّ بأخاديد عمودية الوضع ليتشاكل النمر والغاب الذي فيه مأواه إذ يشا كل بهذا تلك الغابات الطويلة وترى الفهد وهرة الحقول مرقشة بمثل شعاع الشمس يتخلل الأوراق ليسهل لها اقتناص الفريسة وترى من حكمة الله العجيبة وصنعه الغريب أن يحمي العظيم والحقير والقوى والضعيف .

هذا الترمع قوته والأسد مع صولته والطيور مع ضعفها نقشها بألوان تحميها تشاكل ما حولها

فلا عجب إذا قلنا أن دود الحشرات الصغيرة (الشرائق) تعيش طبعاً على الأوراق وتستعد لتتقلب إلى حشرة تراها لونت بالخضرة لتكف عنها عاديات الطيور هجماتها وتصد غاراتها فإذا كبرت الدودة خططت بخطوط حجبها عن الناظرين فإذا بلغت سنا أعلى تراوحت خطوطها وتشعبت وتقاطعت فأشبهت أعصاب أوراق الأشجار لتكف عنها الأبصار

ومنه ما يعطى شعراً يحميه أو طعاماً مقيناً حتى إذا ذاقه حيوان استقاء فكانت تلك الكراهة رحمة للدودة . أليس هذا كاه قوله تعالى (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْ أَلْكُمُ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ)

ويقول (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَىٰ اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ سِتْرَهَا وَمُسْتَوْدَعُهَا كُلُّ فِي كِتَابٍ مَبِينٍ) ومن قرأ ما نكتبه في هذه الفصول أيقن إيقاناً تاماً

ومن أعجب ما ترى العينان ويحفظه الجنان أن من الديدان ما أعطاه الله نقطتين براقنتين مغروستين في حلقتين كبيرتين تحتهما كأنهما عينان وما هما بعينين قد أشبهت بهما الحية لتخيف كل قانص من الطيور وترى لتلك الديدان جسماً مستطيلاً كجسم الحية قد وهب هيئة صولتها عند الفرع فترفع رأسها ومقدمها كأنها تريد الوثوب .

وما من امرئ يراها الا ويمجب من شبهها للحية وترى الطيور تخافها على اختلاف أشكالها

ولقد جرب ذلك العلامة بزمان في تجربة لانطيل بذكرها فأحجمت العصافير من حشرة لو اجتمع ألوف منها لم تحرك ساكنا فانظر كيف كان الشكل واللون أعطيا لها هيئة بها صينت حياتها وحفظت جثتها من العدم والتمزيق

ومن الديدان مارقش جلدها وخطاط بالسواد كنوع من الحيات فحفظ بذلك .

وبعض دود الفراش في الهند أعطى قوة الصفير فيخيف مفترسه فيسلم .

ومن الحشرات ماتشبه ما تعيش فيه لونا لتحفظ من أعدائها

ومن البعوض مالون بلون الاشجار الغناء التي يعيش فيها أو الأحجار التي

يقطنها أو الحشائش الخضراء لتحفظ من عدو يعاجنها

وأبو دقيق في المنطقة الحارة أسود الأجنحة ملون من أطرافه بالألوان الخضراء

كأن الجناح وأطرافه ورقة خضراء في ظل وأطرافها في الشمس فيه يحمي الحيوان

وليست الحماية في الحكمة الالهية باللون وحده فمن الحيوان ما يشبه العصا . وما

يشبه الورق . وما يشبه حيوانا يخيف غيره

ومن الحيوان الضعيف ما أشبه الحيوانات السامة .

قال باتيس بعض أبي دقيق كالحيوانات المقيمة في طعمها ، فتحفظ بذلك حياتها .

ومن العنكبوت ما يشبه النملة فيحفظ لقبحها في الطعم ومنها ما يشبه الزنبور فلا

يهاجم وبعض الزاحفات (الهوام) والأسماك أعطيت قوة على تغيير ألوانها على

حسب ماحولها واعلم ان هذا المقام واضح كل الوضوح بصورة الكثيرة في كتابنا الجواهر

في تفسير القرآن في أول سورة المؤمنون وفي أول سورة الروم عند آية (وَمَا كُنَّا عَنْ

الْخَلْقِ غَافِلِينَ) في الأولى وآية (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ) في الثانية

سؤال عجيب

لم لم تلون الأغنام بالخضرة ؟ والجواب عن هذا انك ان سألت سكان الجبال

أجابوا بلسان واحد إن الغنم لن تنال من اللون إلا ما وضع لحمايتها فان كان أسود

اسودت أصوافها وان كان أبيض ابيضت أصوافها وهكذا مشاكلة للصخور والكتل والأحجار المتراكمة حول التلال ليجعلها الذئب فيظنها حجراً من الأحجار اه اللورد أقول وعليه فيسهل فهم تنوع الصوف بين ظهراييننا فتقرأ على جلود الأنعام تاريخاً قديماً وهي في جبالها كيف كانت جبالها وألوانها إذ ذاك (ان في ذلك لآياتٍ للمتوسمين) ثم قال اللورد

تري الحيوان (صياد السمك) قد لبس حلة زرقاء حتى يختفي عن أعين القانصات من الطيور فيسلم من العطب ويختلط باللون المنعكس عن سطح الماء وهو في الغالب أزرق فيقتنص السمك فانظر كيف حماه اللون من قانصه وأمكنه من القنصة وهذا عجيب جداً وترى ناقر الخشب ألبسه الله حلة خضراء وهي حلة الصيد والقنص وقبعة حمراء حتى اذا تخلل ورق الشجر وهاجم الحشرات في الخشب لم تكدر تميزه من الأوراق وأزهارها فهل لك أن تفهم (وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم) .

ومن تأمل تلك الأعاجيب والحكم يشاهد في كل ذرة من هذا العالم يداً تصنع بمهارة وحكمة لا يشد عنها شيء ويفهم قوله تعالى (وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين) ثم أفاد ان الذين يقرأون هذه العلوم هم أولياء الله وأحبائه فقال عقبها (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم) أفاد بهذا أنهم يكون لهم الغلبة في الأرض فبشرهم بالحكم على سواهم من الأمم وفي الآخرة بالجنة ولا يكون ذلك إلا بعلوم الكائنات والحكم المودعة وجميع علوم الطبيعة والفلك اه

الفصل الخامس

في الكلام على العقد الثمين

في آراء العرب ومذهب داروين

لقد ولع الناس خاصتهم وعامتهم في أنديتهم ومدارسهم ومجتمعاتهم بالكلام على مذهب (داروين) الانكليزي وآرائه وظنوا أن كثرون أنه رأى حديث اخترعه ذلك الانكليزي ثم عرضه على الكتب المقدسة وظنوا مخالفته لها فارتاب كثير في العقائد بلا بينة ولا هدى ولا كتاب منير . ومن العجيب ان هذه الآراء توارثها حكماء العرب جيلا بعد جيل وقرنا بعد قرن فلا تكاد ترى كتابا من كتبهم التي اعتاص على أكثر النشء فهمها الا وتراه ناظما لك سلسلة جميلة كأنها عقد بهي يتلأأ نصرته وبهاء من المواليد الثلاثة وهي المعدن والنبات والحيوان وبقية العوالم في سمط واحد من الحكمة العجيبة والنظام المحكم الذي قضى الا يخلو فراغ من ذلك السمط بل يحلى بلؤلؤة من لآلى تلك المخلوقات الشريفة والصور البديعة في عقول ذوى القطن والحكمة حتى انك لترى القرد والطاووس والفيل والحصان والبلبل كل أدلى بخاصة فيه الى الانسان حتى استحقت لؤلؤته أن تصاقب لؤلؤة الانسان فهذا بصورته وهذا بجماله وذاك بذكائه الحاد (حتى انك لتسمعهم يقولون ان لسان الفيل مقلوب ولو اعتدل لنطق) وهذا بأدبه وذاك بصوته ونطقه .

فتأمل فيما سيرد عليك من الحقائق في هذه الرسالة وتعجب كيف كانت هذه الآراء عندهم والناس عنها غافلون وكيف قامت أوروبا وقعدت إذ سمعت أن رجلا ألمانيا علم حصانه الحساب واللغة الألمانية وظنوا أن اقتراب الحصان من الانسان في الأدب والذكاء شيء غريب مع انك اذ تسمع ما نقلوه عليك تعلم صحة ما نقلناه وغاية

الأمر ان ماعلمه الألمانى يعد تطبيقاً على ما علم وانه جزئى تابع لسلكى وكم خطر لى أن أكتب اذ ذاك مايرى به أبناء الشرق آراء أبائهم وحكامهم ليعلموا أن الحصان جمانة من ذلك العقد الثمين الذى انتظم فى جيد الوجود والرقى فى الحياة وأنه ليس شيئاً بدعاً . ولعمري أن من درس هذه الرسالة وكان من أولى الذكاء والفهم أصبحت الدنيا أمامه عقداً يضيء بجماله عقله وزالت تلك الأوهام والشكوك الطائرة فى عالم الخيال . وسبب تحرير هذه الرسالة أنى كنت يوماً جالساً فى منزلى إذا بفتى أقبل على وأخذ يسألنى عن آراء حكماء العرب فى مذهب (دروين) ولنرمز لاسمه بحرف (ا) ولاسمى بحرف (ط) واليك مادار بيننا من الحديث

(ا) عجبت من أهل أوروبا كيف رقوا فى صناعة التعليم الى درجة سامية حتى استطاع ذلك الرجل الألمانى أن يرفع الحصان فى الفهم الى درجة تلميذ فى سن الثالثة عشرة وكيف استطاع أن يمكنه من معرفة الأشياء والتمييز بين الألوان والحساب جمعاً وطرحاً وضرباً وقسمة حتى وصل الى معرفة السكسور (كما ذكرته الجرائد فى هذه الأيام) وهذه لها اساس بمذهب (دروين) الانكليزى اذ زعموا انه يقول الانسان مشتق من القرد . فمن هذه الحادثة ترى ان الحصان قرب من الانسان فى الادراك كما قرب منه القرد فى الصورة والتقليد فهل بحث العرب فى هذا الموضوع وماذا قالوا فان جميع اخوانى الشبان المتعلمين يحبون أن يقفوا على مادونه أسلافهم من ذلك

(ط) هل لك أن تصغى الى مانص عليه الفخر الرازى فى تفسيره لتعلم كيف كانت هذه المسألة معالومة لديهم بل كانت من أبسط المسائل عند صغار الطلبة حتى انك لتراه يذكروها فى تفسير القرآن الشريف من دلائل الحكمة وعجائب القدرة لا أنها مناط شك وكفر كما يظن كثير من الناس قال رحمه الله تعالى فى سورة الروم عند تفسير قوله تعالى (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ) الاراب أبعد عن قبول الحياة من سائر الأجسام لأن العناصر أبعد من المركبات لأن المركب بالتركيب أقرب درجة من الحيوان والعناصر أبعدا التراب لأن الماء

فيه الصفاء والرطوبة والحركة وكلها على طبع الأرواح والنار أقرب لأنها كالحرارة
الغريزية منضجة جامعة مفرقة ثم المركبات وأول رتبها المعدن فانه ممتزج ولها مراتب
أعلاها الذهب وهو قريب من أدنى مراتب النبات الذي ينبت في الأرض ولا يبرز
ولا يرتفع ثم النبات وأعلى مراتبها (وهي مرتبة الأشجار التي تقبل التطعيم ويكون
لثمرها حب يؤخذ منه مثل تلك الشجرة كالبيضة من الدجاجة والدجاجة من البيضة)
قريبة من أدنى مراتب الحيوان وهي مرتبة الحشرات التي ليس لها دم سائل ولا هي
الى المنافع الجليلة وسائل كالنباتات ثم الحيوان وأعلى مراتبها قريبة من مرتبة الانسان
فالانعام ولا سيما الفرس تشبه العتال والجمال والساعي ثم الانسان . وأعلى مراتب الانسان
قريبة من مرتبة الملائكة المسيحين لله الحامدين .

فالله الذي خلق من أبعد الأشياء عن مرتبة الأحياء حيا هو في أعلى المراتب
لا يكون الا منزهاً عن العجز والجهل ويكون له الحمد على انعام الحياة ويكون له كمال
القدرة ونفوذ الارادة فيجوز منه الابداء والاعادة اه بالحرف (ا) قد عرفت هذه المسألة
اجالا فأرجو إيضاح المقام فان الفخر الرازي رحمه الله إنما يخاطب قومًا يفتقرون إجماله
والناس الآن لا يعلمون شيئاً في ذلك مما سطره قدمائنا في مذهبيهم العلمي والعملی
في هذا المقام

مذهب العرب العلمي

المعدن

(ط) قال علماءنا ان المواليد الثلاثة وهي المعدن والنبات والحيوان سلسلة واحدة
بحيث أن كل طبقة أرقى مما قبلها وأحط مما بعدها فترى الخارصين والرحاص والنحاس
والحديد والفضة والذهب وغيرها مرتب بعضها فوق بعض فأرقاها الذهب وتليه الفضة
ثم المعادن الأخرى على اختلاف طبقاتها واتقسم العلماء اذ ذاك قسمين ففريق ظن أن
هذه كلها أنواع مستقلة منفصل بعضها عن بعض وفريق زعم أنها أصناف لنوع واحد

ومن الفريق الأول ابن سينا ومن الثاني الفارابي فيكون مذهب هذا الأخير في المعادن مذهب دروين في الحيوان وبنوا على رأى الفريق الثاني أن الفضة يمكن جعلها ذهباً بعقاقير كياوية فجدوا في علم الكيمياء فحدث العمران العظيم في المعمورة وارتقت المدنية فلم يحصلوا على الذهب الذي كان مطلوباً لهم ولقد أحسن ابن خلدون في دحض مذاهب هذا الفريق من العلماء اذ خطأهم وأتى ببراہين لم يسبق اليها فيما أعلم وعليه فخلاصة كلام العرب في المعادن أنها درجات بعضها فوق بعض وانه لا يستحيل أحدها إلى الآخر

النبات

أما النبات فأول حلقة من سلسلته متصلة بآخر حلقة من سلسلة المعادن كالنبات الفطرى الذى يحيا ويموت بعد بضع ساعات فينبت صباحا ويذبل ويموت ضحوة ويظل لاصقاً بالأرض كالمعادن اذ لا ظهور لها ثم يأخذ في الترقى شيئاً فشيئاً فما استوفى الشرائط العشرة المعلومة عندهم (كالشوك والحب والنوى وامتياز الذكر عن الأنثى) فهو أرقاها وما تجرد منها فهو أدناها وقالوا ان أعلاها النخل ثم لا بد من وجود موجود يكون واسطة بين النبات والحيوان سواء أعلمه الانسان أم جهله ومن العجيب أنه ظهرت فراستهم في الاكتشافات الحديثة اذ علم أن السفنج نبات حيوانى فان تلك الكتل التى بأيدينا انما هي عظام ذاك النبات الحيوانى وتلك الثقوب الغائصة فيه كانت مملوءة بمواد هلامية القوام . تقوم مقام لحوم الحيوان وهو ينبت في أعماق البحار فهو نبات حيوانى اكتشفه المحدثون من الافرنج طبقاتاً لما ظنه العرب

وأبداع من هذا ذلك النبات الذى يأكل الحيوان ولم أكن رأيت رسمه عند طبع هذا الكتاب الطبعة الأولى ولكن عند إعادة طبعه اليوم قد أثبتت رسمه في كتاب التفسير المسمى الجواهر في تفسير القرآن فأنا اليوم أريد أن أظهر نعمة الله علينا وعلى المسلمين فأرسم تلك الصور البديعة المرسومة في تفسير قوله تعالى (وَزَرَعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ) في سورة الرعد وهذا نص ماجاء فيها :

اللطيفة الرابعة فى قوله تعالى (يسقى بماء واحدٍ وَتُفَضَّلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ)
يقول الله تعالى (يسقى بماء واحد) ولم يقل يتغذى بفذاء واحد . علم الله عز وجل
اننا معاشر المسلمين ستمر علينا القرون تلو القرون ونحن لاهون عن عجائب النبات كما
أنا لاهون عن غيره وعلم أننا لانصدر ولا نرد إلا عن القرآن وعلم أن هناك طائفة من
المسلمين قليلة تتعلم العلوم لذات العلوم وهى تظن أن الدين لا يطلبها أو يعادىها ولا يلائمها
فأشار فى هذا المقام بقوله (يسقى بماء واحد) الى معنى عجيب دقيق يهدى جميع طوائف
المسلمين الى النبوغ فى علم الحيوان والترقى فيه لنظام هذه الحياة ولنظام العقول ورقبها
بالحكمة ولعلك تقول . ولماذا تشير هذه الجملة فى الآية . أقول لقد أظهر الكشف الحديث
أمراً عجبا أظهر مالا يخطر ببال ولا يتصوره خيال بل لاتسيفه الأحلام ولا خطرات
الأوهام . اللهم إن فضلك علينا عظيم اللهم لو لم يكن فى هذا التفسير بل لو لم يكن
فى العلوم كلها سوى ماسأذكره فى هذه المقالة لكفى الأمم كلها سعادة علمية وجمالا
حكما وكالا عقليا . ولو أن امراً قيل له إن فى النبات ما يفترس الحيوان ويفعل ما تفعله
الوحوش والأسود والنمور فى اقتناص الغزلان والأنعام . أو قيل ان النبات له من
الحيل ما للانسان فى استغفاله واحتياله على الآساد . يحفر حفرة فى طريقه حتى اذا مرّ
عليها وهو لا يشعر وقع فيها الأسد وهو أسير . أو كما تفعل دول أوروبا مع أهل الشرق
إذ تغدق النعم على عطاء الشرق وبذلك تستدرجهم الى احتلال بلادهم وابتلاع ثروتهم
إذا قيل ذلك عدّ قائله غير عاقل يهرف بما لا يعرف . ولكن هذه أصبحت اليوم
حقائق ثابتة لاتقبل الشك كما ستراه وسترى صور هذه النباتات فى هذا المقال

اقسام النبات ثلاثة

اعلم أن النبات (ثلاثة أقسام) قسم يتغذى بالمواد الأرضية ممزوجة بالماء وبالمواد
الهوائية وقسم يتغذى بجسم نبات آخر كما تتغذى البراغيث والقمل والحيوانات الضارة
من جسم الانسان مثل (المكروبات) اللاتى تحدث الأمراض المختلفة كالجدري والجدرى

الخ وقسم لا يكون غذاؤه إلا من الحيوان فالقسم الأول من النبات هو المعروف والقسم الثاني من النبات هو المسمى (الكشوثى) وهو نبات يعيش على غيره لا جذر له فى الأرض بل يمتص من جسم نبات آخر وقد رأيت بعينى نوعاً منه فى حديقة مصرية فى بعض الدولين عندنا ، والقسم الثالث هو الذى أفردت له هذا المقال ولم أره إلا فى كتاب (الموسوعات) بالإنجليزية الجزء الأول من صفحة ٢٤٠ الى ٢٤٨ ولعمرك الله لم يكن ليخطرلى قبل هذه الأيام أن أطلع على موضوع شائق جميل مثل هذا فأحمد الله على توفيقه وأشكره على أن أرانى هذا وفوق ذلك وفقنى لايضاحه لأذكىاء المسلمين وقبل أن أترجم هذا الموضوع من الكتاب المذكور أئين مناسبتة لقوله تعالى فى الآية - يسقى بماء واحد - كما وعدت من قبل

ذكر الله عز وجل أنه يسقى النبات بماء واحد ولم يذكر التغذى لأن كل نبات لا بد له من الماء والماء واحد ولكن ليس غذاء النبات واحداً ، لم يقل هو غذاء واحد ولم يقل هو متعدد أى أنه ترك هذا لنا لندرسه فها نحن ندرسه الآن فوجدنا الغذاء (ثلاثة أقسام) قسم معدنى عام وهو الذى يتغذى به النبات المعروف وقسم نباتى وهو الكشوثى وقسم حيوانى وهو ما سأبينه فأقول

هذا ملخص ما فى ذلك الكتاب المسمى (علوم للجميع) للعلامة (روبرت براون) قال

معلوم أن جمهور النبات من الطوائف العليا إنما يجتذب غذاءه من الطين بواسطة عروقه الضاربة فى الأرض وإذا كان يعيش فى الماء كالأعشاب البحرية التى تنبت فى الطين اجتذب غذاءه من الماء الذى يعيش فيه

ثم قال اننا نعلم أن العروق النباتية الضاربة فى الأرض لا يتسنى لها أن تمتص المواد الجامدة وانها لا تمتص غذاءها إلا على هيئة مواد سائلة أو مواد (غازية) وهناك قاعدة وهى أن الجذور ليس لديها طريقة كيميائية بها تحول الجوامد الى حال السوائل أو الغازات . كلا . إن فى النبات عدداً محصوراً لا غذاء له إلا من الحيوان بطرق

تخالف ما عليه سائر النبات وأهم أغذية هذا النبات هى الحشرات وحيوانات أخرى صغيرة ولذلك تسمى هذه الأنواع (ممزقة الحشرات) أو (آكلة اللحوم) وههنا أحضر الكاتب نوعين من النبات وهما (ندى الشمس ذو الورق الملتهق) و (بترورد) وصورتها ستأتى فى (شكل ٢٢ و ٢٣)

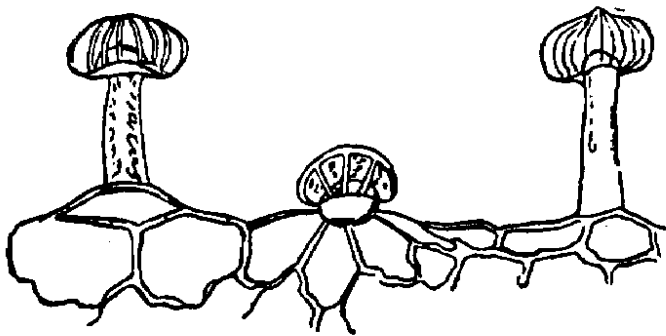
فلنخص الأول الآن بالكلام الى أن قلت بعد شرح طويل مانصه :

﴿ فائدة جذور هذا النبات ﴾

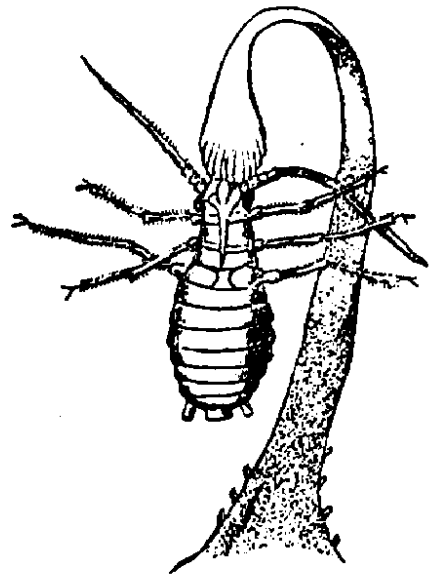
(سؤال) علمت أن هذا النبات يتغذى من الحشرات وغيرها فما فائدة جذوره فى الأرض (الجواب) أن فائدة هذه الجذور (أمران) الأول أنها لتثبيت النبات فى الأرض . الثانى أنها تجذب له الماء الصاعد فى أوراقه فأما جلب الغذاء فلا . انتهى الكلام على نبات (ندى الشمس) المذكور (شكل ٢٢)

﴿ عدد النباتات المفترسة هى تبلغ مائة ونيفا ﴾

قال المؤلف ان عدد النباتات التى تأكل الحيوان فى بلاد الانجليز غير هذا الذى شرحناه وهو (ندى الشمس الملتهق الورق) نوعان فقط فأما الموجود فى العالم من ذلك فهو نحو مائة نبات وكلها من غير استثناء تصطاد الحشرات كالذى شرحناه سواء بسواء وكل غذائها منها . واذفرغنا من الكلام على النبات الأول وهو (ندى الشمس الملتهق الورق) فلنبين حال الثانى وهو (بترورد) ، (شكل ٢٣)



(شكل ٢٣)
نبات (بترورد)



(شكل ٢٢)
ندى الشمس وقد اصطاد حشرة وقبض عليها

ولقد أخذ الكاتب يشرح هذا النبات ويذكر التجارب التي صنعت فيه كما كان ذلك مع النبات الأول فلا تطيل به



(شكل ٢٤)

هذه النباتات الست قد شرحها الكاتب . وها أنا ذا أقتصر على الأول منها فأقول

النبات نمرة (١) فهذا يسمونه (النبات الجزار) وهو نحو (٣٦) نوعا وليس من الأشجار بل هو من نوع الأنجم أى التى لاساق لها وينبت فى البلاد الحارة والذى كشفه هو المستر (هوكر) أنظر الى ورق هذا النبات فى الركن الأعلى من اللوحة فى جهة الشمال فانك ترى الجزار فيه على شكل الآلة الموسيقية أو على هيئة آنية بأحجام مختلفة يتصل به ساق قديطول جداً وهو عند أعلى الورقة وهذا الجزار قديطول من عقدة وعقدتين الى أكثر من قدم ويقويه غطاء ذو فتحة صغيرة أو كبيرة .

واعلم أن فم ذلك النبات والسطح الداخل منه جيلان بلون بديع وهيئة جميلة وقد يفرز أيضاً مادة عسلية . فهنا اجتمع جمال المنظر وحلاوة العسل فهذان يفران الحشرات المسكينات فيدخلن ذلك النبات . وهنا أخذ الكاتب يفرض أن أحداً لو كان مكان الحشرة ورأى ذلك المنظر والمذاق الحلو لكان حقا يسرع الى ذلك الجمال والحلاوة ويهجم على المكان هجوماً شديداً فندخل أولاً باب ذلك الجزار قال وقد نجد ما يفرنا من جمال الداخل فتزيد فى التوغل فى الداخل حتى ندخل فى الأنبوبة التى تشبه المدخنة . ولسوء طالع الداخل يرى أنه يتعذر عليه الرجوع فيز يد فى التوغل داخلا . فماذا نرى ؟ نرى هناك سطحاً أشبه بالزجاج لا تستقر الرجل عليه فاذن نزلق عليه وحينئذ نجد هذا الداخل أنه قد غرق فى ذلك السائل الذى يعم جسمه فيقطع أنفاسه ويكون طعاماً سائغاً مضموماً . وهنا نرى العجب . نرى أن هذا النبات الجزار لم يصطد فريسته بقوته ولا بثقله وإنما اعتمد على خطة الغش والخداع بجمال الألوان وبالعسل أولاً وباستدراج الفريسة الى الدخول فى الأنبوبة السهلة الدخول المانعة من الخروج ثم يكون الاستقرار فى المكان الذى يشبه الزجاج فى نعومته ثم يكون الموت والهضم . وهذه التجربة كانت بمعرفة الأستاذ (هوكر) وقدمها للجمعية البريطانية فى اجتماع (بلقاست) سنة ١٨٧٤ م

ولأكتف فى هذا المختصر بوصف النبات الجزار فان هذا الوصف ينبنى عن أوصاف البقية ومن أراد الاستيعاب فعليه بمطالعة ذلك التفسير اذا صفا له الوقت وطاب لزمانه ، فهذه نباتات كأنها وسط بين النبات والحيوان

الحيوان

الحيوانات الدنيا

ثم يأخذ الحيوان في الترقى شيئاً فشيئاً من القواقع والمحار الى ما هو أرقى منها ففنه ماله حاسة واحدة كالديدان التي تكون في أجواف الحيوانات الكبيرة والثمار وكل مختمر فانما لها حاسة اللمس (اذ لا يلزم لها سواها) ثم تترقى شيئاً فشيئاً ففنها ماله حاستان (الشم واللمس فقط) كبعض الديدان التي تأكل الزرع ومنها ماله ثلاث ومنها ماله أربع فيفقد حاسة البصر كالجرذان العائشة في الظلمة (اذ لا معنى لوجود العين لها) والحكمة الالهية تقضى أن لا يكون عضو بلا منفعة وأعلاها ماله خمس حواس كأغلب الحيوانات المشاهدة . ثم هذه يمتاز بعضها عن بعض فهي درجات مختلفة مرتبة في صورها واحساسها وتمييزها وذكاؤها درجة بعد درجة

الحيوانات البائضة

ففيها ما تبيض بيضها وتتركه في الهواء والماء كالذباب والبعوض وهي أدناها مرتبة ويلها ما تبيض وتحضن بيضها فيفرخ فتربي أفرأخها كالديجاجة والطيور وكثير من الحشرات

الحيوانات اللابنة

وأرقى منها ما تحمل أولادها في بطونها وترضعها بعد كالأنعام والانسان فهذه أرقى مما قبلها لكمال الشفقة فيها والمطف على أولادها ومعرفتها الضار من النافع وأرقى من هذه ما زاد ذكاؤها حتى قبلت من الانسان التعليم والتأديب وأخذت تترقى عنه دروس الحياة واعانتة في أعماله وكفلها برحمته وشفقته كالأنعام ولقد اقتربت طائفة من عموم الحيوان من الانسان قرباً ما بالصورة والشكل كالقردة أو بالذكاء والأدب كالخيل أو بالجمال وحسن الزينة كالطاووس أو بجمال الصوت كالبيغاء أو بالذكاء الحاد كالفيل كما أوضحناه في المقدمة

الانسان ومصاقبته الحيوان

ولما ارتقى الانسان جدا عن الحيوان وكانت الحكمة تقتضى أن يتصل كل موجود بآخر لئلا يكون فى العقد مكان خال ولتبقى الدائرة منتظمة والشكل جميلا والاتصال محكما حمل كل فريق من الحيوان خاصة من خواصه وقرب منه بها وعليه فلا فرجة بين الحيوان والانسان فأدنى الانسان مرتبة من لا يكاد يعد العشرة ويقلد فى جميع شؤونه غيره وهؤلاء فى أطراف المعمورة كبعض الزوج وسكان أطراف روسيا الشمالية ثم يأخذون فى الترقى شيئا فشيئا حتى اذا كانت المناطق المعتدلة ظهرت فيهم الحكماء والعلماء والأنبياء وهم درجات بعضها فوق بعض حتى يتصلوا بعالم الملائكة وهم قريب من الله والله سبحانه وتعالى خلق المادة بعجيب قدرته وباهر حكيمته وغريب تصويره وزاهر نقشه ورقشه خلقها فأبدع وكورها ودورها ينزل الأمر من السماء الى الأرض ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فتعجب وتأمل كيف وضع جل جلاله هذا العالم على نسق بديع ومن ذا يتصور ما قلنا ويفهم ما رسمنا ولا يأخذه العجب من مادة ميتة جامدة تمخضت عن المعدن النافع لنا فى قوام حياتنا وكيف وضعه جل جلاله قبل خلق الانسان بملايين من السنين ثم أردفه بالنبات فالحيوان رفقا منه بنا وفضلا علينا وكيف وضع العوالم مرتبة كأنها دائرة واحدة

استنتاج ترقىهم العلمى

(عود) فتأمل تر أن ما قاله دروين هو مثل ما قاله العرب فانه لما نظر فى ظاهر الطبيعة وصور الحيوان وأشكاله قال بما قال ونسب القوم اليه اشتقاق بعضها من بعض ولقد قرأت فى كلامه ما يفيد أنه جاوز اشتقاق بعضها من بعض ومن العجيب أن بحثه على ما هو المشهور بين الناس اقتصر على رابطة القرد بالانسان فى تلك السلسلة مع انك ترى ان بحث العرب أوسع دائرة وأقوى مدركا فى الكيف والكم والاستنتاج أما فى الكيف فانهم لم يروا القرد كافيا فى الارتباط

لاختصاصه بالصورة والتقليد وأشركوا معه ذات الصوت الجليل كالبلابل وذات الذكاء كالفيلة الى آخره وأما في الكم فلا أنهم تناولوا كل موجود من جماد ومعدن ونبات وحيوان وانسان وارتقوا الى الملائكة الكرام

أما دروين فقد حصر بحثه في قوس من الدائرة (المسماة عندهم دائرة الوجود) ولذلك ترى صحف العالم أجمع أخذت تترنم في أنحاء المعمورة بذكر الرجل الألمانى ومهره ، فياليت شعرى ما يكون حال أولئك الكتاتين اذا وقفوا على آراء العرب ومذاهبهم في هذا الموضوع أما في الاستنتاج فانهم ربطوا كل موجود بآخر وأوجبوا بمقتضى الحكمة أن لا تخلو مرتبة من المراتب التى يدركها العقل من موجود يشغلها والا كان خلا في الحكمة وجهلا بالنظام والحكمة تقتضى الافراغ فى السلسلة المعقولة كما لا فراغ فى المحسوسات (اذ لا فراغ فى العالم باجماع علماء الشرق والغرب)

ولكن لا تظن أيها الأئخ أن الرجل لم يخدم العلم كلا انه برع فى شرح هذه المخلوقات وعجائنها وبحثه جدير بالثناء ولكن الناس ظنوا أن هذه الفكرة هى نهاية علمه وهذه كما علمت أمر ثانوى

فترى من هذا أن ارتباط الانسان والحيوان ببعضهما ببعض أمر معروف قديم عند علمائنا وان (دروين) باحث فيما بحث فيه من قبله وقد قال علمائنا رحمهم الله فى حديث (أكرموا عماتكم البنخل المطعمات فى الحبل انهما خلقت من طينة أئبكم آدم) انه رمز الى هذه السلسلة أى ان أرقى النبات قريب من الحيوان ويرمز لها كذلك قوله عز وجل (وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا) وقوله تعالى (لَتَرَكُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ) وقوله سبحانه (فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ) وقوله تعالى (وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا) وقوله تبارك اسمه (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً) ويشير لها بطرف خفى (فَلَمَّا عَتَوْا عَمَّا نُحُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ) فتأمل وتعجب كيف غفل الشرقيون عما سطره قدمائهم ولم يدركوا اتصال هذه الكائنات بعضها

بعض الا من مذهب رجل غربي بحث ونشر مذهبه فظنوا أنه مبتدع له

المذهب العملي لفلاسفة العرب

قلنا أن علماءنا جعلوا مراتب المواليد بعضها فوق بعض ونقول الآن انهم ذكروا أن الحكمة تقضى أن يكون الأدنى مكملًا وطعمة للأعلى كمل الأشرف . ألا ترى أن كاملاً واحداً خير من ألف ناقص (قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ) وقد بنيت على هذا الحكمة الشرعية في جواز أن يأكل الإنسان الحيوان لشرفه عليه وفضله وهكذا الحيوان يأكل الأكل فيه الأخس منه . وانك ترى البزاة والصقور والشواهين خلقت أنيابها محدبة كأنها الخطاطيف والمحاجن وحرم عليها أن تأكل النبات فوجب عليها وجوباً طبيعياً ألا تأكل من النباتات التي لا سلاح معه المخلوق بفطرته ليكون قوتاً لما هو أرقى منه . ثم قالوا والحكمة تقضى أن يكون الأرق نافعاً للأدنى يرحمه ويعطف عليه

ألا ترى أن الإنسان يستخدم الحيوان ويقدم الغذاء له والسيد يطعم خادمه الذي اختص بخدمته وعلى هذه القاعدة جرت سنة الجهاد فلقد شرعه الله عز وجل لتكميل الأمم الناقصة الجاهلة بالعلم والعرفان وادخالها في أحضان الأمم القوية لتسيطر عليها وترشدها وتكملها كما يستخلص النبات بجذوره وأغصانه مواد الغذاء من الأرض والهواء والماء ويلقى عليها دروس الحياة فتصبح ورقاً ناضراً وزهراً باهراً بعد أن كانت مادة ميتة وعنصراً جاداً لا تنمو فيه ولا ارتقاء فما مثل الأمم القوية إلا كمثل النبات وما مثل الأمة الجاهلة إلا كمثل تلك العناصر التي تتلقى عنه دروس الحياة فتصير عصاره فورقاً أو زهراً قشيراً

ومن العجيب أن الإنسان اختلف في فنون العلبة على طرق متباينة وأحوال متباعدة فترى الأنبياء ومن على شاكلتهم أرسلوا لتكميل الأمم الناقصة ولتربيتها فما جهادهم إلا كما يجاهد الوالد في تثقيف عقل ولده وتدريبه والطبيب في قطع عضو المريض الفاسد وتضميد جرحه أو سقيه دواء مرّاً فهكذا كان جهادهم فما هم إلا

آباء والناس أبنائهم أو أطباء والناس مرضى وعليه شرع طاعتهم واحترامهم واعزازهم واجلالهم .

أما الأمم الفاسقة فقد تدهورت عن سنة الانسانية وتدلّت الى خضيض الحيوانية فتقلدت بأشنع حلية كالصقور والشواهين تقتنص الطيور ولا منفعة لها منها يوماً ما ، فهذه مبادئ الانسان وغاياته والسنة العملية الانسانية . انتهى ما قاله علماء العرب في المذهب العملى الانسانى

مذهب دروين العلمى والقرآن الشريف

وقال دروين مثل ما قالوا سواء بسواء مؤيداً به مذهب التغلب على الأمم الضعيفة ولم يراع في ذلك بالصراحة الشفقة والحنان . وربما أخذنا من كلامه عرضاً إذ قال ان العالم لا يبقى فيه إلا الأصلح ومن العجيب أن تراه مسطوراً في كتبنا عند الخلاف بين الطائفتين المعزلة وأهل السنة فكم صنفوا من كتاب وأنشأوا من مقال . فالتعزلى يقول كما قال دروين من بقاء الأصلح وأهل السنة يرجعون الى الاطلاق ولكن بحسبهم خاص بعمل الانسان أما حكماؤنا رحمهم الله تعالى فقد فصلوا القول وعمموه في كل صغير وكبير وساروا مع القرآن الشريف خطوة فخطوة وكم في الذكر الحكيم من شاهد على ذلك يقول الله تعالى : (أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ) فكما أن الزبد الذى يعلو وجه الماء والخبث الذى يعلو المعدن عند صوغه وذوبانه بالنار وما يعلو ما يطبخه الناس يرمى به جفاء ويبقى الماء فى الأودية والحلى والطعام لنفع الناس فكذلك ما كان أصلح يبقى فى الوجود

(وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا

يُشِرْ كُون) فهذا أوضح دليل على بقاء الأنفع والأحسن وأن الله تعالى لا يبالي بشيء إذ هو قهار وحده يعمل ما يشاء ويرشد إليه (فَبَشِّرْ عِبَادِيَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ) ولو قرأت ما كتبناه (في المقالات الأصمعية^(١) والنظام والاسلام) على الترقى في الاسلام لعلمت كيف كانت هذه الآية الشريفة نصاً صريحاً في أن يأخذ الناس بالأحسن في كل شيء وانهم بذلك يكونون من أولى الألباب وينالون السعادة في الحياة وبعد الممات ولنقتصر على هذا الآن . ومن أراد الزيادة فعليه بمراجعة تلك المقالات وفيما ذكرناه هناك كفاية للمتبصر

مسائل موضحة لما تقدم

(١) ماملخص مذهب دروين (ط) أتريد مذهب العملي (١) مذهب العلمي (ط) اعلم يا أخى أن العلم مبدأ العمل وان الأمم وسياساتها تدور رحاها على قطب العلم وكيف يعمل الانسان عملاً إلا على اعتقاد وأساس

آراؤه في الاعتقاد

آراؤه مشهورة بين الناس ولكننا نلخصها لك في قالب لا يشذ عنه شيء . نظر النباتات والحيوانات نظرة فرآها على صور وأشكال متقاربة متباعدة متفقة مختلفة وذلك ان صورها وأشكالها وأعضاءها وحواسها وعضلاتها وأعصابها وقواها وغرائزها ترى متشابهة في أعضائها مختلفة في البعض الآخر فترى من الوفاق بين الحمار والحصان ما لا تراه بين أحدهما والأرنب وترى الباز والصقر يتقاربان كما يباين كل منهما الذباب فأرجع هذه المسائل كلها إلى أربعة قواعد

(القاعدة الأولى) تبين الأفراد فكل فرد لا يشبه أصله تمام المشابهة وعلى ذلك

ترى الذكور والانثى والاختلاف في الألوان والقوة والضعف وهكذا

(القاعدة الثانية) ان التباين يرثه الفرع عن الأصل ويزيد عليه تبايناً آخر

(١) المقالات الاصمعية ستكتب في هذا الكتاب

وهكذا جيلا بعد جيل وقرنا بعد قرن فعلى توالى السنين والقرون والدهور و باجتماع تلك التباينات والانقسامات يظهر التمايز واختلاف القوة والضعف فتنشأ (القاعدة الثالثة) وهى تنازع البقاء وذلك ان ماورث عن أصوله القوة والفرصة والدرجة التى بها يبقى فى الوجود فله البقاء وما حارب به الجو والكوارث والحوادث فصرعته فهو الصريع المدوم من الوجود اذ لا يبقى الا ما هو أقوى وأقدر وأنفع وهنا نشأت

(القاعدة الرابعة) وهى بقاء الأصلح فلا يبقى بمقتضى تلك النواميس إلا ما كان أنفع وأقوى وأصلح وما لا قدرة له على ذلك ولا صلاح فيه فهو الهالك لا محالة . وبتوالى السنين والأعوام والقرون والدهور أخذت الحيوانات فى الترقى جيلا بعد جيل حتى وصلت الى القرد وما الانسان الا حيوان من الحيوانات ترقى بالتحسين فى الانتخاب الطبيعى حتى بلغ ما هو عليه الآن . ولما كان مشابها للقرد فلا مانع من أن يكون هو واياه اشتقا من أصل واحد وترقيا معا فلما وصل القرد الى تلك المرتبة وقف عندها وأما القرد الانسان فقد ترقى عنه حتى وصل الى ما هو عليه الآن بمرور القرون العديدة وعليه يكون العالم مشبها شجرة ذات فروع أخذت تنمو ووقف بعضها عن الحركة وأخذ البعض الآخر فى النمو وعلى ذلك ترى الأغصان القريبة من الأرض وقفت حركتها أما الغصن الأعلى وما حوله فلا يزال ينمو فى الهواء وما العقل والادراك الانسانى إلا فعل من ذلك التفاعل الطبيعى فى جسم الانسان بل إدراك الحيوان وتمييزه كعقل الانسان واختلفا كما وكيف لا ذاتا ، وكما اختلفت الأجسام بالترقى اختلفت العقول وكما لديه من شواهد ترجع إلى الظنون وكما رد عليه من أناس فى الغرب ومن أدلته أنهم لم يعثروا بالحفر فى أغوار الأرض العميقة على الانسان وعثروا على الحيوانات الأخرى فهو آخر ما خلق وإلا لكان معها أينما حلت فى طبقات الأرض ولقد أطل فى الكلام على الأعضاء الأثرية والمشابهة بين حيوان وآخر فى ظلمات الأرض وعقد بابا واسعا فى اللغات وتباينها واختلافها وتفرعها وانتخاب الأصلح منها

ونبذ القديم المهجور ، وهجر المنبوذ المطروح ، وقارن بين اللغات الشرقية والغربية .
ولقد رد عليه خصومه^(١) وأطالوا في ذلك أما نحن فنقول أن هذه من الأقيسة التخيلية

(١) اعلم أن هذا القول كتبه منذ ٣٠ سنة فأما الآن والكتاب يعاد طبعه فإن العالم
الإنساني دخل في طور جديد أوضحته في كتاب الجواهر في تفسير القرآن فقد ذكرت
في سورة قد أفلح المؤمنون خلاصة آراء علماء أوروبا في هذا القرن العشرين وشرحت
مذهب (داروين) وبعده (برن) وأن هناك أناساً يقولون إن العالم لا موجد له
وشرح أصول مذهب (داروين) وهي (أربعة) الحياة أطوار وتكون بالوراثة في النسل
وهناك تنازع والاقوى الآخر كمل هو الباقي وأمم أوروبا جرت على هذا المبدأ في تنازع
البقاء في السياسة . ونقض هذا المذهب (جوستاف لوبون) بأن المادة ليست أبدية
(بوانسكاريه) بأن النواميس تقريبية و(جوليه) بأن آراء (داروين) عجزت
عن تعليل الإلهامات في الحشرات وأمثالها . ودوفري بأن التحول الفجائي هو القاعدة
أما البطيء فلا . وجوليه يقول أن الحشرة وانقلابها الفجائي يبطل مذهب داروين
و(فون باير) يقول : « إن تولد الإنسان من أعلى القرودة أصبح القول به أقرب إلى
الجنون » وفيركو الألماني وغيره يقول (لا مناسبة بين أعلى القرودة والإنسان) ثم
إن الانتخاب الطبيعي نفاه (سبنسر) ونفى (ويسمان) انتقال الصفات بالوراثة وقال
إن هذه الآراء حكايات أشبه بكلام العجائز و(بوهن) أبطل الانتخاب الطبيعي
و(جينو) يقول (البط والطيور المائية خلقت لها أرجل لتصالح للعوام وتلك الأغشية
بين أصابعها خلقت لها قبل أن تعوم) و(بلوجر) نفي الوراثة . ودوبواريمند كذلك
نفاه ودائرة المعارف الكبرى الفرنسية تقول (إن نفس آراء داروين مختلة لأنها
تقول بالمصادفات) و(ادورد هارتمان) يقول (إن نفي القصد في الوجود وهم
لا أساس له لأن الطبيعة منتظمة) و(لويز بوردو) يثبت القصد والروح المدبرة في
الوجود . و(فون باير) الألماني ينكر الضرورة العمياء ويقول بالقصد السامي .
و(كاميل فلامريون) يقول (إن هناك تبصراً في النبات والحشرات والطيور
يقصد به حفظها وهي غافلة وهذه الملاحظات في التاريخ تثبت أن في الطبيعة عقلاً
مدبراً) و(لوجيل) الفرنسي يقول . (إن كل القوى صادرة من قوة أزلية) ودائرة
معارف القرن العشرين تقول (إن للكائنات غاية) . و(ميلن ادوارد) يذكر ذلك
الطبر الذي يضع زاداً يكفي ذريته سنة وهي نفس المدة التي يحتاج إليها لا غير وقد
مات الألبان

ولا فائدة لها إلا في الظن والتخمين والحدس وتأخر الانسان في الوجود هو الذي وردت به السنة الصحيحة وأجمع عليه علماءنا .

هذا ملخص مذهب الرجل بحيث أنك لو قرأت كتبه من أولها إلى آخرها لم تستخلص منها سوى ما قلنا

(١) كفى كفى . عرفته وفهمته وتصورت كيف سار في أدلته وبراهينه وكيف دحض ذلك المذهب علماء القرن العشرين

وها أنا ذا الآن أتذكر ما سمعته منكم في المقال السابق ولقد حضر في ذهني صورة المذهبيين معاً فأولئك رأوا مشابهة الحيوانات والنباتات واقترافها واختلافها وترقى بعضها عن بعض في الشكل واللون والصورة والأعضاء والفرائز . وهكذا النباتات والمعادن والعناصر فأرجعوها إلى سلسلة واحدة تقتضيها الحكمة والنموذج الجميل وكأنهم رأوا أن كل شيء يجري في العالم بنظام واتقان كالزهرة فانا نرى أن أوراقها متناسبة ولونها جميل وهكذا أوراق الشجرة تحذو حذوا واحداً وبالجملة فانك ترى كل شيء حسناً في الحكمة والسنن الأصلح فحكموا أن لا فراغ بين الموجودات ولا درجة خالية وإلا لم يكن هناك تناسب فيكون التحسين في الأفراد لا في المجموع وهو خلاف للسكمال الذي نراه

أما (داروين) فانه أحضر بذهنه صورة أخرى عندما رأى هذا التشابه فانظر كيف اتحد النظران واختلفت النتيجةتان وإن كان ذا علم واسع نافع في تفصيله (ط) اعلم أن سلسلة العلم انقطعت من الشرق من نحو سبع قرون (اللهم إلا في العلوم الشرعية) حتى داهمنا الافرنج فنشروا كتبهم بيننا فقرأها الناس فظنوها مذهباً جديداً وما هو بمجديد . نعم الجديد فيه الاشتقاق أما مشابهة الحيوان بعضه بعضاً وأن القرد

يستدل من هذا كله أن طائفة عظيمة من المتعلمين في بلاد الشرق مغرورون بزعمهم أن نبي الخالق علم أوروبي ، فهاهم أولاء يكذبون هذا الرأي وهؤلاء المتعلمون بالشرق لم يبلغهم خبر هذا التكذيب

ملاصق للانسان في المرتبة فهذا أمر قديم بل الأقدمون كانوا أعلم من هؤلاء في هذا المقام ألا ترى أنهم عدوا بين الحيوانات الملاصقة للانسان القرد والحسان والفيل والطاووس والبلبل في الصورة والأدب والذكاء والجمال والكلام

أما داروين فلم يقل إلا بالقرد وحده ، وبالييت كانت تامة في نفسها إذ لم يتمكنوا من وصل الانسان بالحيوان إلا في عروة واحدة كما علمت مما فصل فيما مضى وها نحن أخذنا على عهدتنا نشر مذهب العرب بين الناس

(١) هل مذهب داروين يناهض الدين وقصة آدم في القرآن الشريف .

(ط) ان هذه القصص التي ورد بها القرآن الشريف ليس كل المراد منها مصادرها ل غاياتها وعليه فهي ليست تاريخاً طبيعياً فقط وإنما جاءت بنوع أخص لمصالح عامة كسياسة البشر في أحوالهم النفسية والعامة وسنريك بأجلى بيان سرها وكيف كانت مبدأ للحكومات النيابية لتقف على جمال هذه القصة بحيث تقول عند مانريك عجائبا وغرائبها (فنحن بواد والحبيب بواد) ان الذي ورد في القرآن الحكيم جاء عظات وضرب أمثال للناس لعلمهم يفقهون فيكون ذلك كنايةات يراد ظاهرها وباطنها

فان قلت ان ظاهرها مخالف لمذهب الاشتقاق فاعلم أنهم لا يؤولون من الآيات الشريفة الا ما ثبت منها بالعقل مخالفته لظواهرها . فلن ثبت ما نسب لداروين ولم يبق مجال للشك فيه فضلا عن وجود ما هو أرق منه فلاحالة يؤولونها ويرجعونها الى مذهبه والمجاز شيء سهل في العربية . أما وقد علمنا أن هناك شكاً في كلامه إذ كثير من العلماء في أوروبا ألفوا كتباً وردوا عليه وشنعوا فضلا عن أن ماسطره فلاسفة المسلمين في مباحثهم أقوى وأجمل فكيف تؤول الآيات له وهو لم يزل مذهبا ضعيفا

(١) لم ذا ذكر الله تعالى هذه القصة على لسان رسله الكرام وهو سبحانه وتعالى يعلم ما ينتج منها من الشكوك والأوهام . فان الشبان الشرقيين يشكون في عقائدهم بكامة مثل هذه وإن لم يفقهوا معناها وهل ينزل الله تبارك وتعالى قصة تكون سبباً في إثارة الشكوك والأوهام والخلاف والجدل وهو سبحانه أعلم بعباده وبمصلحتهم

ويعلم أنه سيخلق دروين ويسمع الناس كلامه قبل ظهور رسالتك هذه فكيف هذا وهو عز وجل يقول (الذى أحسن كل شئ خلقه الآية) فما أحسن في هذا (ط) اعلم أن أنزال هذه القصة قصد به ترقى الأمم وذلك أن الناس متى قارنوا بما سمعوه عن العلماء ماقرأوه في الكتاب السماوى ثارت الشكوك والشكوك مبدأ العلوم وكما أن الحرب روح الاجتهاد ومحور دولاب العمل والنشاط والرقى فهكذا الشكوك عليها يدور فلك الحركة الفكرية الموجبة للسعى فى تحصيل العرفان وكما أن الجوع باعث على طلب الطعام فكهكذا الشك يكون موجبا للعرفان بل قال بعض علماء التوحيد : أول واجب على المكلف الشك وهذا الكلام وإن يكن خلاف الأحق والأولى ولكنه تنبيه على ألا يقين إلا بالبحث والتنقيب . فرجع القول الى أن هذه القصة من أسباب الرقى الذى وضعه الله عز وجل فى الأرض ، فنفس هذه الآية ونزولها وبحثك عن الحقيقة موافق كل الموافقة لمذهب الرجل

الله والناس

وترى بعض القوم لا يصلون للحقائق فى مثل هذا وهؤلاء لاعبرة بهم بل المقصود بالقول هم أولوا العلم والعرفان ومن غدامهم فتمسكهم بالظواهر أسلم لهم وترى الله تعالى فى تعليمه الناس وإرشاده إياهم (وله المثل الأعلى) كاستاذ يعلم تلاميذه فتراه يعرب فى مقاله وقد يصرح تارة ويرمز أخرى رمزا لا يخفى على أولى الأبواب فتلك الارشادات واللطائف لا يفهمها الا الراسخون فى العلم (١) قد فهمت هذا ولكنى أحب أن أفهم ماهو المقصود من قصة آدم وما تلك النتيجة التى استخلصتها منها

(ط) خلاصتها وثمرتها أمران سياسة النفس وسياسة الأمة أما الأول فانه يشير بخلقها إياه من فخار الى قوة الشهوة والغضب فى الانسان فاولاهما بطبيعته الأرضية التى هى مادة الغذاء والثانية بالحرارة الواردة عليها التى أوصلتها الى الفخارية وما الشهوة

فينا الا ما يدعو الى الغذاء المشتق من الطين وما الغضب إلا النار في النفوس وقد أوضح هذا الامام الغزالي في الاحياء

وأما سياسة الأمة فان خلافة آدم في الأرض انما هي أن يسلك مسلك ملك الملوك ومدير شؤون العالم الأَرْضِي . ولا ريب أن كل بني آدم مستعدون لهذا فترى كلا منهم ركب فيه غريزة فائضة عليه من سماء القدس الأعلى واستوت على قلبه فأنارت له سبيل حالكه الظلام في دجنة الطبيعة فكل آدمي مأثور من قبل مدير العالم ومنظمه أن يسير على ماسنه مبدع الكون من النواميس ليحقق الخلافة قال الله تبارك وتعالى (أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) فكل بني آدم خلفاء الأرض كأبيهم فهم وارثون له

وينشأ ناشئ الفتيان منا على ما كان عوده أبوه

وفي الحديث الشريف (كلكم راع وكل راع مسؤول عن رعيته) وقال تعالى مخاطباً للعالمين كافة (أَمِنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ خَلْفَاءَ الْأَرْضِ الْآيَةِ) فانظر كيف ذكر كل مسلم وسماه خليفة واذا علمت ذلك أقول ان الأمة اذا سمعت بهذه الخلافة فان كانت من الأمم المنحطة اعتبرت ذلك في واحد وجعلته نائباً عن الله تعالى وحكمته في أرواحها وأنفسها وأهلها فغفر الذنوب لها وقتل الأبرياء وهؤلاء هم كهنة المصريين القدماء أو قدماء الأوروبيين الذين لم تزل لهم باقية إلى الآن فبعض الممالك يظنون ملكهم نائباً عن ربهم ومثلهم في الاسلام من آمنوا بالحاكم بأمر الله وهكذا نرى كثيراً ممن فسدت طرقهم من السوفية الجهلة فاذا ارتفعت الأمة واستنارت عقول أفراد أيقنت أن الحكومة المطلقة لا أصل لها لا عقلاً ولا شرعاً وان كل فرد خليفة فيبدي آراءه في الأمور العامة والخاصة وينشر مبادئه على الملا ويكون على قدم أبيه ابراهيم (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا) وهذا معنى (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) بالعقول والآراء والاستنتاج ولذلك قال بعدها (تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)

فكوننا خير أمة إنما يكون بهذه الثلاثة الخصال وهل يأمر بالمعروف ويؤثر في الناس من لم تستقر آراؤه وهل ينهى عن المنكر بالتأثير المعتقد الضرر فيه . ولا معنى للإيمان إلا الاطمئنان بالبرهان والنظر وعليه قال كثير من علمائنا إيمان بلا نظر شجر بلا ثمر ينفع في الدنيا وهو في الآخرة هباء في الهواء وذرة طارت في الرياح ومتى تعلم المرء الحرية في قوله وعملة طالب الحكومة وأزمها وأقنعها وجاهر برأيه وعليه فكل امرئ في الحياة يجب عليه أن يجد في انتشار أمته ولا يتقاعد اتكالا على سواه لأنه الخليفة وعليه يصبح الرعاة من الملك إلى العامل إلى الكاتب منفذين لرغائب الأمة خداما لها لأنهم هم المسيطرون عليها القاهرون لها . فعامة الأمة يفهمون أن الخلافة خاصة والخاصة يفهمون أنها عامة فالعموم للخصوص والخصوص للعموم . ولذلك ترى الأمة كلما سارت على سنن المدنية والعرفان أوقفت الرؤساء عند حدهم وأرتهم أنهم نواب لا قاهرون (١) كلام الله منزل من عالم القدس على قلوب البشر فكيف يكون له فهمان وهل تفهم العامة مالا تفهمه الخاصة ؟

(ط) ان مثل كلام الله كمثل فعله فكما ان الغذاء فعل الله فهكذا كلامه فمرى المريض يتناول الخبز فيضره ويؤخر شفاؤه ويتناولوه الأصحاء فلا يمرضون بل اذا تركوه مرضوا فهكذا فليكن كلامه عز وجل يسمعه الرجل المعتل النفس فيفهمه بمقدار ما أعطى من العقل وترى ذلك الحكيم ينزل الكلام منزلته من السمو والعلو والحكمة والشرف وهل تسمع دليلا على قولنا أقوى من قوله تعالى (يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يَضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ) فمسألة الخلافة في الأرض ترجع إلى كل امرئ . وهم بطريق الانتخاب يصطفون منهم أوسطهم وأعلمهم ويقرب هذا قول الاعرابي لعمر رضى الله عنه (لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا) فمعنى هذا انه كان نائبا عنهم في شؤونهم العامة تحت مراقبتهم ونظرهم فهذا مقصد الآية

أما الأمم المنعطة فتخضع للحاكم الجائر ظنا منها أنه خليفة يتصرف في الأرض فاذا أقبل هلمت القلوب ووجلّت النفوس وأرهب بخيله ورجله وشارك الرعية في الأموال

والأولاد وأوعدهم ووعدهم وإذا أدبر ترك أثر السطوة في النفوس والقهر في القلوب وهذا ناشئ من الجهل بأسرار الخليفة الانسانية فاذا عرفتها الأمة فليس لها مناص من الثورة العامة والمجاهدة واستحلاء مرارة الموت واستمراء طعمه الزؤام فهل نزل القرآن لمثل هذه أم للبحث عن أصل خلقة القرد والحمار وغيرهما كلاثم كلالا فان الدين مبنى على النصح والارشاد .

آراء علماء العرب ومذهب دروين

النتيجة من ذلك المقال

العلماء قديما وحديثا يبحثون عن هذا العالم ففلاسفة العرب يقولون ان المعدن والنبات والحيوان سلسلة متصلة الحلقات كأنما أفرغت في قالب من الجبال يهبط أبصار الناظرين ويشغل تصور المفكرين كما شغلهم بالنظر إلى الورد وغيره من الزهور في جمالها وانتظام أوراقها وسير الكواكب وحساب السنين . وبعض القدماء من اليونانيين يقولون أن الانسان أصله خنزير وصار إلى ماترى بالاشتقاق والتوالد والتكاثر والترقى والتباين والأثر وبقاء الأصلح وجوز داروين أنه اشتق بعضه من بعض كما قال من قبله والانسان من القرد لامن الخنزير .

الحقيقة

الحقيقة ان هذا العالم موضوع على غاية من الاتقان والتناسق وكل قوم يعبرون عن هذا الاتقان بما تسمعه مخيلاتهم وتصل إليه تصوراتهم ففلاسفة العرب رجعوا في حكمهم الى الحكمة والكمال وغيرهم رجع إلى العادة وما يجرى أمام عينيه كل يوم وان كان فيه نقص اذ أن الحكم بالجزئى على السكلى ظنى لا يفيد في المنطق وهذه الأقوال وإن كانت ظنوناً ولكن فما رآه العرب أقرب إلى الصواب .

أما الدين فلا علاقة له بهذه المسألة أصلاً ومن الصقها به فقد جهل من حيث يدري

ولا يدري وانك ترى الرجل المدعى أنه متدين ينكر على قوم آراءهم ومذاهبهم التي تلقوها فيقابلونه بالمثل ويشكون في عقائدهم ونحن تلقاء هذه المسئلة نرجع الى رأى السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين ، ونفوض علم خلق الانسان الى الله تبارك وتعالى وهو عز وجل يقول في كتابه العزيز (أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ) ثم بين تبارك وتعالى خلق الانسان في آية أخرى فقال عز وجل (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعِئَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَاهُ الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ) ولم يبين لنا في هذه الآية الشريفة أدوار حياة آدم وقلبه وكيفية فطرته وما الذى طرأ عليه فاذا سئلنا عن ذلك من حيث الدين قلنا لا علم لنا بذلك ونكل العلم بكل ذلك الى الله تبارك وتعالى وديننا الشريف لا يجزم بشئ لا بمذهب الاشتقاق ولا بغيره ولا بمذهب بعض اليونان

فيا عجباً كيف يدعى قوم ان القرآن جاء لمثل هذا ومبدع هذا النظام خلق العقول وأمرنا بالتفكر فهل قرأنا الشريف كرة يتلقفها أصحاب مذهب بعد أصحاب مذهب آخر ولو رأينا ما ذهب اليه اليوناني لقلنا أن الانسان مر على الخنزير فى أدوار حياته ولو رأينا المذهب المنسوب لداروين لقلنا أن أصله القرد ومن لنا أن يقف العقل الانساني عند هذا الحد . هل نأمن أن تقوم مذاهب أخرى جديدة فيتبع الجهلاء القرآن الشريف لها انه اذن يكون (والعياذ بالله) فى أيدي البشر يؤولونه كما يشاؤون والله در القائل :

كرة طرحت بصوالجة فتلقفها رجل رجل

فليتروك أولئك الناس القرآن الحكيم على ظاهره ولا يقطع فيه بمذهب من المذاهب وليرجع فى تلك الآيات الشريفة الى الحكم العالية المقصودة منها
ولقد ذكرنا فى مقالنا السابق ما فيه كفاية لمن اقتنع وترك للعقول مجال البحث

والتنقيب . لأنه باتحاد الشرق والغرب وتجدد الآراء تتولد علوم ومعارف وتسمو آداب وتظهر ناشئة يقومون بالأمة وينهضون باخوانهم الى المدنية والحضارة ولماذا يا أيها القوم نترك آداب السلف الصالح

فاذا سألك سائل عن مذهب دروين وعلاقته بالدين فقل انه لا علاقة له به وأما من جهة آراء العقلاء فكما تكاد تكون متقاربة على ان أقربها للصواب كما قلنا عدم الاشتقاق . ولعل هذا المقال الذي حررناه يكفي لحسم الكلام في هذا المقام . والله التوفيق

(١) أنت ذكرت الفخر الرازي فهلا ذكرت رأيه (ط) الفخر الرازي رحمه الله يميل في كلامه الى عدم الاشتقاق كما هو مذهب حكمائنا رحمهم الله تعالى ولكنه لم يستدل الا باذا الفجائية في قوله تعالى (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ) هذه المفاجأة دالة على ان الانسان لم يمر على المعدن فالنبات فالحيوان بل خلق من التراب مباشرة وهذا مجرد استدلال للاستظهار لا انه قاطع بذلك والا فان اذا الفجائية كثير ورودها في القرآن الشريف وفي كلام الفصحاء من العرب وهي في كل جملة بحسبها ألا ترى انه ورد في الذكر الحكيم قوله تعالى (أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ) مع انك ترى ان بين كون الانسان نطفة وبين جداله طبقات كثيرة علقه فمضغة فعضا فخلقا آخر فطفلا فمراهقا فشابا ففتى وهنا يكون الخصاص ومن ذلك تعلم انه ليس عندنا دليل على أحد المذهبين بل ذلك موكل الى الله عز وجل

وقد روى أن سيدنا أبا بكر الصديق رضي الله تبارك وتعالى عنه لما سمع قول الله عز وجل (هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا) قال ياليتته تم فعلم من ذلك أن هل بمعنى قد لانها للاستفهام والحين المقدار من الزمن وان أردت زيادة الايضاح والافصاح قلنا ان العلامة الفخر الرازي رضي الله عنه قال ان آدم مكث أربعين سنة وهو طين الى أن نفخ فيه الروح

وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه ان آدم بقى طيناً أربعين سنة وبقى صلصالاً كذلك وبقى أربعين أيضاً وهو حياً مسنون وعلى ذلك يكون قد تم خلقه بعد مائة وعشرين سنة وما ندرى ما تلك السنون أهى مثل سنينا أم هى من أيام الله تعالى التى يعد كل يوم منها بمقدار ألف سنة أو خمسين ألفاً أو أكثر أو أقل كل هذا فى علم الله تعالى وإنما ذكر لكى يتفكر البشر ويعقلوا ويعلموا ما هيئات الأشياء بعقولهم ويحصل الترقى بواسطة البحث والتنقيب وقال الحسن رضى الله تعالى عنه خلق الله الأشياء ما يرى منها وما لا يرى من دواب البر والبحر فى الأيام الستة التى خلق فيها السموات والأرض وآخر ما خلق آدم عليه السلام وكل هذا يدل على اتفاق العلماء عامة وأهل ديننا خاصة ان الانسان آخر المخلوقات وفقاً لما اكتشفه الافرنج وراه حكماء العرب وأن هناك مدة مرت على تكويينه عبر الله سبحانه وتعالى عنها بلفظ الحين والحين مجهول فنسكل علمه الى الخالق عز وجل

بهجة القول وجماله

لقد أوضحنا المقام ايضاحاً يفهمه المتوسطون فى العلم والأذكياء ولعمري أن من يظن لما رسمنا وقرأ ملياً ما كتبنا وتأمل فيما نظمنا لاح له من خلال جمال قصة آدم والكون وجماله أمران على محورهما يدور دولاب الحياة الدنيا والآخرة الا وهما الاعتقاد والعمل فان قصة آدم وخلق من طين وخلافته فى الأرض مارسمت فى الذكر الحكيم الا لترشد فى الدارين وتهدى الى أجمل النجدين والسير على المنهاج السوى يقول الله تبارك وتعالى (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ) وهذا هدى للعقول وسوق لها الى منابع الحكم ومجامع الجمال فيا عجباً كيف يشتق من تراب يرد طبعه واسود وجهه وأغبرت أرضه وداسته الاقدام وسيم الخسف فسكنت حركته وكان على الأرض تصرفه الرياح أنى شاء أثقل المخلوقات وأبعداها عن الحركة جذبه القوة المركزية فاعتلى عليه الماء والهواء فاذا كانت هذه

هى حال التراب فى خلقته ودأبه فى فطرته فكيف تقلب فى أطوار وتشكل فى أدوار
وتحمر ثم صار سلالة من الكدر وغدا (بعد أيام لا يعرف مبتداها ولا يدرى منتهاها)
بشرا سويا فصر الوجه باسم الثغر (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ) بعد ان لم
يكن شيئا مذكورا . ثم انه بعد امتزاج هذه العناصر وتكونها وتنسيقها وتحسينها صار
بشرا سويا بتلك الحكمة الباهرة وقد ورد فى آية أخرى (إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ
نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا) ولعمر الحق أن من العجيب أن ترسم
على شبكية الحدقة جميع المشاهدات فى الأرض والسماء والعين نظير غيرها من الحواس
والأعضاء مخلوقة من التراب والأعجب أن تلك الحدقة الصغيرة البهية المصقولة تسع
هذه الصور والأشباح بلا تزام ولا تدخل

وكيف تكون هذه الغرائب والبدائع كلها من الطين المخلوق منه أول انسان
وبنوه اذ هم باغتنائهم من الحيوان والنبات المعتدين من الطين يتغذون منه بهذه
الواسطة فياليت شعرى كيف صور ذلك الجمال ومن ذا الذى يرى التراب ثم يفكر
يوما ما انه يتشكل سمعا يميز الأصوات الدقيقة والألحان الرقيقة ويحكم عقله بين العباد
ويرى العالم كله وينتقل من مكان إلى مكان ويرسم ما فى العالم على الورق ويعبر عنه
بحروف وأشكال وأصوات أو يرسم لتلك الكلمات صوراً أو يخزن ذلك كله فى عالم
عقله المجهول الذات المعلوم الصفة

أليس ذلك الجمال والبهاء دالا على حكمة بالغة وقدرة عجيبة وتديير محكم . هذا هو
الوجه الاعتقادى العلمى الذى يرجع النفس الى التبصر والتفكير . والوجه الثانى ان الله
تعالى يقول عن آدم وذريته انهم خلفاؤه (وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ) ولا بد أن يكون
فى الخليفة نموذج ممن استخلفه وهو الله عز وجل وهذا تنبيه على ان كل فرد من نوع
الانسان خلق بفطرته مستعداً للحرية فى الرأى والعمل مع نهج الصراط السوى ولا ريب
أن ذلك يدعو الى أن يعرف المرء ماله وما عليه فيخدم الأمة وتخدمه ويرحمها وترحمه
ويقاتل أعداءها ويوالى أولياءها واذا كان كل فرد كأنه أمة فى نفسه وخليفة عن ربه

فلا جرم لا يسود عليهم الا من اتسم بأظهر شروط القيادة العامة وأتمها ومتى عرف كل
انه محاسب على أمتة وخليفة على ما أودع من الأسرار والعلوم والقوة والنطق وبذلها في
منفعتها الخاصة بها حفظاً لمركز الخلافة كثر الاختراع والاكتشاف والنظم والتحرير
اذ كل يعلم انه أمة في نفسه

انظر معي الى هذا الجمال

دع الفلاسفة وشؤونهم وآراءهم واختلافهم . وقف معي في هذا الفضاء الشاسع
وحدق ببصرك فيما لا يتناهى بعده من العالم تجده ذا رقص وتقس وعجائب وغرائب
أصلها الاثير لالون له ولا وصف ولا جرم عرفه الحكماء بقولهم أبعد عن الحواس بعد
المادة عنه ثم أخذ يقرب من الحس شيئاً فشيئاً (طبقاً عن طبق) عبر عنه بالدخان
(ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ) ولعمري ما الدخان الا المادة في ابان عمائتها
وتبعثرها وهي تتحرك ذات اليمين وذات الشمال وأعلى وأسفل فتطورت وتصورت
وتكورت كرة كرة فكانت شمساً وبدرأً وأهلاً وسيارات وتوابع ونيازك (فَأَشْرَقَتْ
الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا)

وأخذت تلك الكرات تدور وتسير في مدارات متناسقة متتابعة . فلورأيت قوانينها
وخواصها لأدهشك جمال وضعها كما بهرك حسن ضيائها (فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ)
وقد كان من تلك الكرات أرضنا وقد ضمت عناصر ومعادن تربو على السبعين
فانظر كيف حمل الاثير

وتخض عناصر مختلفات ومعادن أبهى منظراً وأجمل نفعا وتلك المعادن درجات
وطبقات ذات بهجة في المنظر والتركيب والنظام والترتيب والابداع وعليها أنهار جاريات
وبحار شاسعات وعيون نابعات وجبال شائحات وثلوج بيض ناصعات ورياح ذاريات
وأشجار مشوات وأزهار باهرات وحدائق وجنات وقد تكون الانسان فخلق في أحسن
تركيب وأجمل صورة وأبدع منظر (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ) .

إذا تأملت في العقد النضير والجوهر الثمين رأيت نعمًا وملكا كبيرا وسعدت نفسك
بجمالها وبهاثها بما ارتسم من حكمة واتقان صنع فانظر ماترى في الانسان
قائمة اعتدلت ونفس استوت وسمع وبصر وشم وذوق ولمس ومنظر باهر وحسن
ظاهر فتبارك الباري جل وعلا . ثم تتأمل فترى عقلا وفكرا وذكرآ وخيالا فانظر
معي أليست نفس الانسان نتيجة هذا الابداع أليست تحوى ما ارتسم على شبكية العين
وما أودع في الأذان من النغمات والأصوات والحروف وما ذاقه الذوق وأوصلته الخياشيم
من الروائح فما النفس الا لوح ترسم عليه الصور التي تكونت فيما مضى وفيما هو آت
فانظر ماهو المبدأ وما هو المنتهى ، أليس من العجيب أن ينقلب الطين في أدواره
حالا بعد حال نباتا فطعاما فكيماوسا وكيلوسا فمادة صفراء فدما في الكبد فالقلب
فلحما فشحما فيفاض عليه نفس وعقل وترسم فيه جميع ماضوته وسطرته يد الحواس
وما ألقى عليه من دروس الاحساس والوجدان وكل ما حوت الدفاتر وأوحى إلى الأنبياء
فياليت شعري أين هذا الجمال والبهاء من ذلك الطين المظلم الكدر (انَّ رَبَّكَ هُوَ
الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ) ويشير الى ذلك الابداع في ترتيب المواليد وخلق الانسان في قوله :
(الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ) وفيه اشارة الى سلسلة الموجودات وهذا نموذج من
آراء الغرب والشرق والعجم والعرب .

أيها الانسان

سجدت الملائكة لأبيك آدم ولكن ذلك السجود سجود حب لا سجود قهر
لما ظهر لهم وبهر من العلم والعرفان والعالم العامل محبوب فلماذا لا تحس بمقامك وعظيم
قدرك وتوجه عنايتك الى ما ذرا لك ربك وأفاضه في العالم بما أملاه على صفحات الطبائع
وجه قلبك وفكرك الى كنوز الأرض ومعادنها وخيراتها ومطالبها يفتح لك باب
الخير والسعادة لأن الأشياء تحبك اذ سجدت الملائكة لأبيك محبة وشوقا ومن أحب
إنسانا أعطاه ماملكت يده عن طيب خاطر ومحبة وشوق فالعالم مسخر لك بدليل
مقوله تعالى (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا) أيها الانسان أنت مخلوق من

طين مودع فيك العقل والعرفان والعلم والقدرة والفهم والمزاج والفكر يصل الى الأفلاك في علوها ويدارج النمال في مداها ويناله القبض والبسط فلا تيأس أيها الانسان من روح الله ان كنت في جهل أو فقر أو مرض فانك في مرضك وذلك وجهلك وفقرك أقرب إلى الصحة والعز والعلم والغنى من طين لم يكن شيئاً مذكوراً ثم أفاض عليك النعمة مفيض الخير فصرت بشراً سوياً ولو أنك قست لوجدت أن النسبة بين هذين أبعد بالآلاف مما بين المريض والصحيح والفقير والغنى والعالم والجاهل (لا تيأسوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَاسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ) لأنهم لم يعقلوا نواميسه التي وضعها ولم توقظهم حكمة الله في خلقه ولم يفظنوا أنهم كانوا طيناً حيناً ما فصاروا أعلى العالمين .

ترشدك قصة أهلك آدم ان استعدادك يصل بك الى أرقى ما يصل اليه فكر الانسان ثم متى تم استعدادك واقترن به اسعادك فلتجد ولتتعرض لنفحات الله عز وجل (ان لربكم في أيام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها) وأنى أسأل الحق سبحانه وتعالى أن يجعلنا جميعاً صالحين مصلحين وترشدك قصة أهلك أن تكون أباً شقيقاً برّاً رحيماً تراعى الوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وتقول للناس حسناً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وترشد الضال وتعلم وتنادى بالاصلاح وتكون كالشمس في النفع والاضاءة وكالنجم في الرفعة والهدى

﴿ تم الجزء الأول ويليه الجزء الثاني ﴾



خطاب المؤلف لأذكاء الأمة

كم غير الغربيون الشرقيين بأن قوام العقلية وغرائزهم الفطرية لن تسمو الا الى
الأدب ولن تعانق الا الخيال وأنهم من الحكمة محرومون وعن العلوم العقلية والطبيعية
عاجزون

إليك أيها القارىء أهدى هذه الكتب مفصلة موضحة ما بين مختصر ومطول
فاذا صفا الوقت وطاب الزمان واجتدل الهواء فاجلس في حديقتك وسامر الزهور وباسم
النور ثم مد يدك الى كتاب جمال العالم تجده جنة زاهية الأفنان زاهرة الأغصان تقرأ
فيه غرائب الحكمة وعجائب الخلقة ثم طالع جواهر العلوم تجد محاورة جميلة ما بين
فتى وفتاة يتسامران في أنواع العلوم العقلية والنقلية ما بين علوى وسفلى فبينما هما يقتطفان
الزهور من أغصانها تراهما رصد النجوم في أبراجها والسيارات في مداراتها وتارة تراهما
يتناقشان الهندسة والحساب وطوراً تلحظهما يتهاديان الملح والآداب . وآونة تلقاها
حكيمين يتناظران وأنا تجدهما محدثين ومفسرين للقرآن فاذا فرغت منه فاقراً ميزان
الجواهر وهناك ترى الحكمة قد جلست في حبرها وأضاءت في لألائها . ترى فلسفة
المحدثين والقدماء اتحدتا وامتزجتا بعبارة يألفها المتوسطون في العلم ولن تشذ عن المبتدئين
ويشتاقها المنتهون ثم النظام والاسلام وهناك ترى مقالات تسر الناظرين ثم اقرأ هذا
الكتاب (نظام العالم والأمم) فاذا فرغت منها فاقراً النظام والاسلام ونهضة الأمة
وحياتها وكتاب الجواهر في تفسير القرآن وكتاب أين الانسان وكتاب جوهر التقوى
في علم الأخلاق فاذا فرغت منها فقد قرأت الحكمة بأسرها وصرت مع أولى العلم الذين
قال الله فيهم (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقِسْطِ)
ولعمري لن يعرف القسط والعدل الا من عرف هذه العجائب وشاهد حساب
النجوم وترتيب الأمم ونظامها (أُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ
وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا)

فهرست الجزء الاول

من نظام العالم والامم

صفحة	
٢	كلمة الناشر
٥	تخريظ كتاب نظام العالم والامم
١٤	مقدمة الطبعة الاولى
١٧	الزهرة
١٩	موازنة بين آراء علماء المشرق والمغرب
٢٣	سلف الأفرنج قلا عن السير جون لوك
٢٧	القرآن والمسلمون ومتأخرو الأفرنج
٢٩	مقاصد كتاب نظام العالم والامم
٣٢	جمال النبات وبهجته في الأزهار ونظامها
٣٣	لطيفة
٣٩	الكلام على الزهر ذى الأقفال والمفاتيح وهو عشب الذئب والزهر ذى الحراس ، والزهر ذو الجند ، والزهر ذى السياسة الحقيقية والوهمية
٤٢	عجيبة عن الحشرات والنحل وأنها كالدول في السياسة
٤٣	الزهر المنظم كالجند
٤٣	زهر عجيب محكم الترتيب
٤٥	نوم الزهر

الباب الأول

۵۱

وبیان فصوله العشرة

- ۵۲ الفصل الأول في شوق النفوس إلى العلوم وكيف كمن فيها علم الحساب وكان
مبدأ العلوم ومعنى كون العالم موسيقياً
- ۵۸ اتفاق علماء الشرق والغرب على هذا المبدأ
- ۶۳ الكلام على النفس وقوله تعالى (وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ)
- ۶۵ كيف كمن علم الحساب في النفوس وعرفه الانسان
- ۶۹ الفصل الثاني أقسام العد
- ۷۶ دقائق من خواص علم الحساب والارتماطيقى غير ما تقدم
- ۷۴ الفصل الثالث (۱) بدائع الحساب (۲) الواحد الحقيقي والواحد المجازى
- ۷۸ لطائف ودقائق من الحساب والحكمة
- ۸۰ الحساب كامن في النفس والتعليم يظهره
- ۸۲ الفصل الرابع عجائب الموسيقى — اتفاق غريب وحادث عجيب
- ۸۵ الفصل الخامس في الكلام على الشطرنج
- ۸۶ الفصل السادس في حساب بيوت الشطرنج
- ۹۰ الفصل السابع في أن الشطرنج والنرد قصد بهما ما هو أرقى من اللعب
- ۹۴ لطيفتان — اللطيفة الأولى في ضرب الأمثال
- ۹۵ اللطيفة الثانية — في فوائد شتى على الوحدة وما تفرع عنها
- ۹۶ بدائع العلم
- ۹۷ حكاية واقعة للمؤلف
- ۹۸ الفصل الثامن في أن حساب الناس نزر يسير بالنسبة لحساب الله

صفحة

١٠١ الفصل التاسع فى الاستشهاد على أن الايمان لا يكون يقينياً إلا بهذه العلوم

١٠٣ الفصل العاشر فى إثبات أن العلوم الحديثة مصداق للنبوّة

١٠٤ زيادة شرح وتفصيل

الباب الثانى

١١٠

فى تدبير الأمور وتفضيل الآيات وفيه مقامان الأول فى الفلك وحسابه والثانى فى عجائب الظلال وفى المقام الأول مقدمة ومقاصد المقدمة فيها خمسة فصول وفى المقاصد قسمان القسم الأول فصلان ، والثانى خمسة فصول

١١١ الفصل الأول من المقدمة فى حيرة العقلاء فى نظام الأفلاك

١١٣ الفصل الثانى من المقدمة فى الحب والعشق

١١٥ الفصل الثالث من المقدمة فى أن جمال السموات الباطنى الذى يلحظه العقل أبهى من الجمال الظاهرى الذى تدركه العين وذلك ببدايع الحساب والهندسة

١١٧ الفصل الرابع من المقدمة فى شواهد القرآن على حساب الكواكب وانتظام سيرها وعموم علمه تعالى

١١٩ الفصل الخامس فى ذم من أعرض عن التفكير فى السموات

١٢٢ الفصل الأول من القسم الأول من المقاصد فى مجمل ما عرفته الأمم قديماً وحديثاً

١٢٤ بهجة السموات كيف تعرف صور النجوم السماوية

١٢٤ وصف السماء ، الصور السماوية ، النجوم المشهورة

١٣٠ الفصل الثانى من القسم الأول من المقاصد ما ترجمته من اللغة الانجليزية من كتاب اللورد أوفيرى فى الشمس وسياراتها والقمر والثوابت — الكواكب

١٣١ القمر

١٣٢ دورته

صفحة

المد والجزر	١٣٢
جغرافية القمر	١٣٣
عجائب القمر المجهولة	١٣٤
الشمس	١٣٥
معجزة القرآن في آخر الزمان	١٣٥
حرارة الشمس	١٣٦
منافع الشمس	١٣٦
عجائب الشمس ومعجزة القرآن في تركيبها	١٣٧
معجزة أخرى للقرآن	١٣٨
نظام الكواكب وترتيبها	١٣٨
السيارة	١٤٣
عطار	١٤٣
الزهرة	١٤٣
الأرض	١٤٣
المريخ	١٤٤
زحل	١٤٤
المشتري	١٤٥
أورانوس	١٤٥
نبتون	١٤٧
مسألة تشد أذهان الرياضيين في الفلك	١٤٧
الكواكب الثابتة وأعدادها وأضواؤها وأبعادها	١٤٨
الفصل الأول من القسم الثاني في اختلاف الليل والنهار	١٥١

- ١٥٩ الفصل الثاني من القسم الثاني في حكم السنة الشمسية والقمرية والفرق بينهما
- ١٦٥ التقويم
- ١٦٧ الفصل الثالث من القسم الثاني في تقويم السنة العربية وشهورها
- ١٦٩ حساب الشهور القمرية أيضا
- ١٧٣ العلم هو أعلى السعادات لنوع الانسان
- ١٧٣ حقائق العرفان وآيات القرآن
- ١٧٧ حقائق ورفائق
- ١٨٠ الفصل الرابع من القسم الثاني اختلاف الأمم والممالك المناسبة لاختلاف الليل والنهار
- ١٨٢ الفصل الخامس في حوادث الأرض المهولة وما يتبعها من فوائد أخرى
- ١٨٤ حكمة
- ١٨٥ حل معضلات
- ١٨٥ لا تيأسوا من روح الله
- ١٨٧ بيان سبعة فصول المقام الثاني من الباب الثاني
- ١٨٨ الفصل الأول في أن جميع الظلال حسابها كحساب الشمس
- ١٩١ الفصل الثاني في الكلام على غفلة العقلاء عن النظر في ظلال الأشجار والأبنية
- ١٩٥ الفصل الثالث في النظر في الظلال أيضا (لمناسبة إن ربكم لرؤوف رحيم)
- ١٩٧ المزولة المعتدلة
- ٢٠١ الفصل الرابع في أعجوبة الظلال وملح الهندسة
- ٢٠٣ لطيفة أدق وعجيبة أبهج في الظلال
- ٢٠٤ الفصل الخامس عجائب مساحات المثلثات الظلية التي ترسمها الأعداد التسعة البسيطة
- ٢١١ الفصل السادس في الكلام على ما يأتي أعرض الظل أم جوهر أم عدمي
- ٢١٢ الفصل السابع دلالة الظلال على الله

الباب الثالث

٢١٤

الكلام على نظام الأرض وما عليها من البسائط

٢١٥ بيان أربعة فصول الباب الثالث

٢١٦ الفصل الأول في نظام الموازين وحركات الأحجار الساقطة وإنها تشبه

الكواكب في حسابها

٢٢٠ الفصل الثاني في أحوال القطبين وفيما فيها من البلج والعجائب

٢٢٢ خلق عجيب

٢٢٢ اختلاف القطبين منظرًا

٢٢٢ الفصل الثالث في الكلام على دائرة الوجود

٢٣٠ لطائف وبدائع

٢٣١ الفصل الرابع في الكلام على أن الأمة كالفرد

الباب الرابع

٢٣٥

في عجائب النبات وفيه مقدمة وثلاثة فصول

٢٣٥ المقدمة في قول عام في النبات وبعض صلته بالحيوان

٢٣٦ إيضاح هذا المقام

٢٣٧ العجب العجائب

٢٣٧ الحيوان والنبات

٢٣٨ كيف يتكون الحيوان

٢٣٩ الجذور وعجائبها

٢٤٠ الفصل الأول في أوصاف عامة لأشجار الحدائق

صفحة

٢٥٥ الفصل الثانى فى نقص معارف الانسان وعدد النبات على سطح الأرض
وفوائد أخرى

٢٥٦ الغابات والحقول

٢٥٧ أيتحرك النبات ويعقل

٢٦١ الفصل الثالث فى حديثى مع فلاح مصرى فى أمر النبات

٢٧٢ الباب الخامس

فى علم الحيوان وفيه مقدمة وخمسة فصول

٢٧٢ المقدمة فى درس عام فى تقسيم الحيوان عامة

٢٧٤ أقسام الحيوان أربعة

٢٧٧ الفصل الأول فى الكلام على نظام الحيوان وعلاقته بالنبات من جهة وبالقرآن
من جهة أخرى

٢٨١ الفصل الثانى فى الجمهوريات فى الحيوان

٢٨٦ النمل

٢٨٦ مساكن النمل

٢٨٨ أعمال النمل

٢٨٨ قرية النمل وطبقاتها

٢٨٩ النحل والأرضة وعجائبها

٢٩٠ هل للحيوان حاسة غير الخمس

٢٩٣ الفصل الثالث فى الكلام على حيوان يعيش ملايين السنين

٢٩٤ الفصل الرابع فى عجائب الألوان فى الحيوان

٢٩٧ سؤال عجيب

صفحة

- ۲۹۹ الفصل الخامس في الكلام على العقد الثمين في آراء العرب ومذهب داروين
- ۳۰۱ مذهب العرب العلمي — المعدن
- ۳۰۲ النبات
- ۳۰۳ أقسام النبات ثلاثة
- ۳۰۸ الحيوان — الحيوانات الدنيا
- ۳۰۸ الحيوانات البائضة
- ۳۰۸ الحيوانات اللابنة
- ۳۰۹ الانسان ومصاقبته للحيوان
- ۳۰۹ استنتاج ترقيمهم العلمي
- ۳۱۱ المذهب العلمي لفلاسفة العرب
- ۳۱۲ مذهب داروين العلمي والقرآن الشريف
- ۳۱۳ مسائل موضحة لما تقدم
- ۳۱۳ آراؤه في الاعتقاد
- ۳۱۸ الله والناس
- ۳۲۱ آراء علماء العرب ومذهب دورين النتيجة من ذلك المقال
- ۳۲۱ الحقيقة
- ۳۲۴ بهجة القول وجماله
- ۳۲۶ انظر معي إلى هذا الجمال
- ۳۲۷ أيها الانسان
- ۳۲۹ خطاب المؤلف لأذكاء الأمة
- ۳۳۰ الفهرس
- ۳۳۸ الخطأ والصواب

الخطأ والصواب

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٣	٦	التي نباشر طبعه	الذي نباشر طبعه
٦	٢٢	فاستنتج الى قوله الدائرة	يحذف
٦	٢٧	السكون	السكون
١٥	٥	للعصر	العصر
٢٠	٢٠	محاطه	محوطة
٢٧	١٠	فلا جرم تعدها	لعدتها
٢٨	١٩	او ما هو اخصر	أو بما يقرب منه
٢٨	٢٣	يُحْصَوْهَا	لَا تُحْصَوْهَا
٤٠	٧	احسن	احسن
٤١	١٥	في سريه	في سر به
٤٥	٤	تزود	تزور
٤٦	١٥	كواكب	كواكب
٥٨	١١	وأحد	واحد
٦٦	١٧	منها الواحد	لها الواحد
٦٨	٦	للعالمين	للعالمين
٦٩	٨	ببعضه	بعضه
٧١	١٠	رقم ١	رقم واحد
٧٢	١٧	والسماء	والسماء
٧٣	٦	أو القمر	والقمر
٧٣	١٢	يات	آيات
٧٥	١٠	عنده	عندها
٧٧	٢	الطائفه	لطائفه

صواب	خطأ	سطر	صفحة
والوا نكم	والوا نكم	٨	٧٧
	كان تلميذا لسيدنا سليمان	١٢	٧٧
فلذة	فلذه	١٢	٧٨
ونبات	اونبات	٢١	٨٠
مفصلة	مفصلا	١٦	٩٦
القطرات	الوابورات	٢٣	١١٨
وان كان	ان كان	٢	١٢٢
للكواكب	للواكب	٥	١٣٩
الصوتين	الضوتين	١٠	١٤٢
٣٥٠٠٠ مليون ميل وبعده عن	٣٣٠٠٠ ميل وبعده عن الارض	٦٥٥	١٤٧
الشمس ٢٧٨٠ مليون ميل	نحو ٢٧٨ مليون ميل		
الثابته	الثانية	١٧	١٤٧
الكوكب	الكواكب	٦	١٤٨
لسكنا كم	لكنا كم	٨	١٥٢
للفت	لالفات	٢٠	١٥٢
المذكورة	المذكور	١٤	١٥٣
ثلاث سنين	سنة واحدة	١٢	١٩٥
كله	كله مدبره	١١	١٦٠
التناقض	التناقض	١٩	١٦٣
الاهو	الاو هو	٢٢	١٦٤
إن	انه	١٩	١٨٤
المواليد	مع المواليد	٦	١٩٢
والضوء والظل	والضوء الظل	١٢	١٩٣
بعلمه	يعلمه	١٩	٢٠٦

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢٠٨	١٦	لها	لما
٢٠٨	١٧	للمصمرات	للمضممرات
٢١٤	١٩	السوره	السور
٢١٥	٨	البارده	البارده
٢١٥	٨	وذلك كل	وذلك من كل
٢١٥	١٤	وانه	وانها
٢١٨	١٨	تجد	نجد
٢٢٥	٨	صغطوا	ضغطوا
٢٢٥	١٥	فلاشبهان	فله شبهان
٢٢٧	٢	تخير	تخير العلماء
٢٣٠	١٣	هذا كلها	هذه كلها
٢٣٣	١١	كان فلا بد	كان ناقصا فلا بد
٢٣٨	٤	للهواء	للنبات
٢٣٩	٢١	ومخرج الميت	ومخرج الميت
٢٤٢	٨	وجرمها	
٢٥٦	١	نبأ	نباتا
٢٥٨	١٢	الا الالهام	الالهام
٢٦٠	٩	تفسها	نفسها
٢٩٢	٣	ولا طائر	ولا طائر
٢٩٧	١٢	فيه يحمى	فيه يحمى

